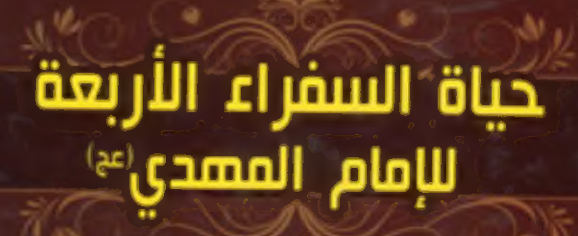




الشيخ محمد الإزيرجاوي

حياة السفراء

الأربعة للإمام المهدي

تأليف

الشيخ محمد جليل خَلَف الإزيرجاوي



سرشناسنامه	: الأزيرجاوي ، محمد جليل خلف
عنوان ونام پديد آور	: حياة السفراء الأربعة للامام المهدي (عج)
مشخصات نشر: قم	:انتشارات العطار: ۱۳۹۴
مشخصات ظاهری	: ۲۷۲ص
شابک	: ۳-۳۵-۷۲۲۶-۶۰۰-۹۷۸
وضعيت فهرست نويسى	: فيپاى مختصر
يادداشت	: عربى .
يادداشت	: فهرستنويسى اين اثر در نشانى www.opac.nlai.ir قابل دسترسى است
يادداشت	: كتابنامه به صورت زير نويس .
شماره كتابشناسى ملى	: ۳۸۱۱۳۵۶



منشورات العطار

ALATTAR PUBLICATION

alattar_pub@hotmail.com

اسم الكتاب : حياة السفراء

الأربعة للامام المهدي (عج)

المؤلف : الشيخ محمد جليل خلف الأزيرجاوي

الناشر : العطار

الطبعة : الأولى ٢٠١٥م ١٤٣٧ هـ . ق

عدد الصفحات : ٢٧٢ص - وزيري

الكمية : ٥٠٠ نسخة

المطبعة : احسان

الترقيم الدولي: ٣-٣٥-٧٢٢٦-٦٠٠-٩٧٨

٠٧٨٠٦٨٥٧٥٨٩
المؤلف

مراكز التوزيع

ايران . قم المقدسة ، النقال 09121519904

العراق . النجف الأشرف ، سوق الحويش ، مؤسسة العطار الثقافية

النقال 07801036008 ، 07801581471

الإهداء

إلى الرموز الذين حملوا فكرة المنقذ بكل امانة وبكل ثقة عالية وبذلوا جهوداً رائدة جبارة تحمل للشيعة وللإنسانية جمعاء امل المخلّص والمنقذ للشعوب من الظلم والاضطهاد والحرمان .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن حتى قيام يوم الدين .

وبعد : هذا هو الكتاب الرابع من سلسلة معرفة أولياء الله ، بعد ما منّ الله تعالى علينا بتمام الكتاب الأول الذي تضمن حياة الحواريّ كميل بن زياد النخعي ، ثم شرعنا في البحث عن حياة سيدتنا الطاهرة نفيسة بنت الحسن رضي الله عنها وأرضاها ، ثم البحث عن دور سيدتنا الطاهرة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، السياسي في مواجهة السلطة آنذاك ، وقد قسمنا حياتها المباركة إلى ثلاث مراحل ، الأولى منها بداية الولادة ، والثانية في كنف أبيها ، والثالثة مرحلة المواجهة مع مغتصبي حقها وما آلت إليه الأمور من تدهور الأمة إلى الانحطاط ، لذا أحببنا أنْ يكون هذا الكتاب مخصوص بحياة النواب الأربع لمولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفدا فأني لم أجد كتاباً شافياً وافياً يجمع معالم حياة هؤلاء العظماء ، أو يعطي صورة واضحة لعملهم وانجازهم الذي قدموه للأمة الإسلامية ، إلا كتيبات صغيرة تضمن اسمائهم وسنة وفاتهم وما شاكل من الأبحاث الهزيلة ، لذا عمدنا أن يكون هذا الكتاب جامعاً ـ بالقدر الممكن ـ لحياتهم ، فقد سلّطنا الضوء على

دورهم ونشاطهم ، وكيف رسخوا الاعتقاد بالإمام الغائب في وسط الجماهير الشيعية ، رغم تلبّد الأجواء بالاضطرابات ، الأفكار المنحرفة عن خط أهل بيت العصمة عليهم السلام ورغم مراقبة السلطات لحركاتهم ووضعهم تحت الأنظار وغيرها من الظروف التي احاطت بحياتهم المباركة وقد نجحوا وتجاوزوا كل تلك العقبات ببركة وتوجيهات الإمام المهدي عجل الله فرجه وسهل الله مخرجه .

هذا وقد ضَمَّنا الكتاب بعض الأبحاث التي لها علاقة بالموضوع وجعلنا هذه الأبحاث كتمهيد لما رأيناه من الفائدة . ومن الله التوفيق .

ولا يفوتني شكر كل من الاخوان جناب السيد قصي الشرع وجناب الشيخ كريم حبيب الكمولي ، وجناب الشيخ أمين النجار ، والاخ جناب الشيخ عقيل الشويلي ، والشيخ فلاح الفرطوسي ، والشيخ رسول الشويلي مما ابدو ليّ بعض المساعدة والملاحظات ومراجعة الكتاب وتصحيح الاخطاء أو حذف أو تبديل بعض العبائر ، فأجرهم على الله تعالى ، واسأله أن يمُن عليهم بالتوفيق والسداد .

محمد جليل خلَف الازيرجاوي

٧ صفر الخير ١٤٣٥ هـ

النجف الاشرف

* * *



بحث تمهيدي

- مفهوم السفارة
- مفهوم الغيبة
- اهم أحداث الغيبة الصغرى
- موقف الحجة بن الحسن
- الإمام والاوضاع السياسية
- علامات السفير
- فلسفة الغيبة

مفهوم السفارة

السفارة : فعيل وهي الرسالة ، والسفير الرسول المصلح بين القوم والجمع سفراء كفقيه وفقهاء ، وفي لسان العرب عند حديث علي عليه السلام لعثمان أن الناس استسفروني بينك وبينهم ، أي جعلوني سفيراً ، يقال سفرت بين القوم إذا سعيت بينهم أي جعلوني سفيراً ، يقال سفرت بين القوم إذا سعيت بينهم في الإصلاح[١]. والسفير في عصرنا الحالي هو الذي الدولة لدى الدول الأخرى .

والوكيل : يقال : وكّله بأمر كذا توكيلاً ، والاسم الوكالة بفتح الواو وكسرها ، ويقال وكَلَ إليه الأمر سلّمه وتركه وفوّضه إليه واكتفى ، ووكّل الرجل الذي يقوم بأمره سُمّيَ وكيلاً ، فهو مُوكَّلٌ إليه الأمر ، والوكيل على هذا القول فعيل بمعنى مفعول[٢].

والوكالة : في الاصطلاح الشرعي : هو تولية الغير في إمضاء أمر واستنابة في التصرف ، وهي العقود الجائزة ولابد فيها من الإيجاب والقبول بكل ما يدل عليها الوكيل في اللغة .

---

(١) الصحاح الجوهري / ٥٩١ ، لسان العرب ابن منظور / ٤/ ٣٧٠ ، البستان عبد الله البستاني/٧/١٠٠ / المصباح الفيومي ، قاموس المحيط الفيروزآبادي مادة سفر .

(٢) مختار الصحاح محمد بن أبي بكر الرازي / ٧٣٤ ، لسان العرب / ١١/ ٧٣٦

والوكيلُ رُبّما يكونُ له مطلقُ التصرّف كوكلاء أو سفراء الإمام المهدي عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه ، وربّما يكون الوكيل في الأمور الادارية أو المالية أو بالأمور الحسبية ، وربّما يطلق في بعض الأحيان بالنواب .

والنائب : يكون على قسمين نائب خاص ، ونائب عام .

والنيابة الخاصة : هي عبارة عن منصب يتبوؤه شخصٌ من قبل الإمام عليه السلام وهو منصبٌ خطيرٌ ويكون منصباً خطيراً ذات أهمية دينية وسياسية , فلا يكون صاحب هذا لأهميّته فيس الدين والسياسية ، فلا ينال هذا المنصب إلاّ ذو مكانة سامية أو درجة عالية ورفيعة ، أو تتوفر فيه صفات خاصة مثل الإيمان والعدالة والشجاعة والنزاهة ويكون قد وصل إلى مرتبة عالية من التقوى والإيمان .

وأما الباب : حينما يقولون : كان باباً للحُجّة بن الحسن عليه السلام فالمقصود ليس هو سفيراً للإمام أو كيلاً له ، وإنّما هو من ينصّبه السفير أو النائب ، وكيلاً يقوم ببعض الأعمال التي يولّيها له السفير ، مثلما يقولون ابن مهزيار كان وكيلاً لعثمان بن سعيد وغيره ، ممن كانوا وكلاء للسفراء الأربعة

وبعد معرفة هذه المفاهيم بمعناها اللغوي والاصطلاحي ، علينا أن نسلّط الضوء حول منشأ مصطلح السفير أو السفراء الأربعة من أين جاء ومن هو الذي أطلق عليهم هذا المصطلح ؟ فإنّ الروايات خالية من هكذا تعبير ، وإنّما تعبّر عنهم : ((ثقتي ووكلائي ، والمأمون ، والأمين على الدّين

والدنيا، والمؤدّي عنيّ)) وما شاكل ذلك من هذه التعابير، وسوف نقف على جملة من تلك الروايات الشريفة.

وهذه التعابير التي كان يستعملها الإمام عليه السلام نجدُها تختلفُ بحسب مقتضيات الأحوال، بمعنى: أنّ الإمام كان يخاطب الفقهاء وأصحاب الحديث بأنّ العُمَريَ ثقتي والمؤدّي عنيّ، كما نلمس ذلك من الرواية التي ينقلها لنا الشيخ الطوسي بعدما ينقل سندها عن أحمد بن إسحاق بن سعد القمي ـ وهو من الفقهاء وأصحاب الحديث الذي يُعوّلُ عليه بكثيرٍ من نقل الأخبار والأحاديث ـ ((قال: دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمّد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلتُ: يا سيدي أنا أغيب وأشهد ولا يتهيّأ ليّ الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت، فقول منْ نقبل وأمر منْ نمتثل؟ فقال ليّ صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي بقوله، وما أدّاه إليكم فعنيّ يؤدّيه، فلمّا مَضَى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه، فقال لي هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعنيّ يقوله، وما أدّى إليكم فعنّي يؤديه.

قال أبو محمد هارون: قال أبو علي: قال أبو العباس الحميري فكنّا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محلّ أبي عمرو))[1].

ومرة أخرى نجد الإمام عليه السلام يعبر للوفود من شيعته من غير الفقهاء وأصحاب الحديث بالوكيل والثقة والمأمون على قبض الأموال أو نقل إليهم

---

(1) الغيبة الشيخ الطوسي/٢٣٨.

الأجوبة عن بعض المسائل ، كما هو واضح من رواية الشيخ في الغيبة قال وروى أحمد بن علي بن نوح أبو العباس السيرافي قال : أخبرنا أبو نصر عبد الله بن محمد بن أحمد المعروف بابن برنية الكاتب قال : حدثني بعض الشَّرف[1] من الشيعة الإمامية أصحاب الحديث قال : حدثني أبو محمد العباس بن أحمد الصائغ قال : حدثني الحسن بن أحمد الخصيبي قال : حدثني محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا : دخلنا على أبي محمد الحسن بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته حتى دخل عليه بدر ـ خادمه ـ فقال : يا مولاي بالباب قوم شُعث غُبر ، فقال لهم : هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن ، في حديث طويل يسوقانه إلى أن ينتهي إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري ، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال ـ ثم ساق الحديث إلى أن قالا ـ ثم قلنا بأجمعنا : يا سيدنا والله إن عثمان لمن خيار شيعتك ، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى قال : نعم واشهدوا عليّ أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم[2].

---

(1) شراف بفتح أوله ، وآخره فاء ، وثانيه مخفف ، فعال من الشرف وهو العلو ، انظر القاموس المحيط ولسان العرب ، وتاج العروس / مادة شرف

(2) الغيبة / ٢٣٩

وهكذا نجد هذه التعابير تختلف بين الحين والاخر تارة بكلام الإمام عليه السلام وأخرى على لسان السفير أو الوكيل ، ومرة على لسان الوفود الذين يأتون لطلب الأجوبة أو لمعرفة المسائل الفقهية أو العقائدية وغيرها من الناحية المقدسة ، فأن هذا التعابير كانت تأخذ بعين الاعتبار بحسب ما كان على ألسنة القوم وبحسب مراتبهم ، والإمام عليه السلام وسفيره ووكيله يراعي ذلك الفهم ويخاطبهم بما اعتادوا عليه .

وهذا لا يضرّ ولا يدل على اختلاف مراتب السفير أو الوكيل أو النائب كما فهم البعض ، بأنّ السفير هو أعلى مرتبة من الوكيل والنائب والنائب أعلى مرتبة من الوكيل . فيكونُ الوكيلُ حينئذٍ أقل رتبة منهما . بل العكس من ذلك هو الصحيح ، لأنّ مصطلح وكيل شرعي ورد كثيراً في الروايات ، وأما ((سفير)) مصطلح متشرّعي كما يعبر في علم الاصول فبحسب تتبّعي لهذا المصطلح ـ الذي يطلق على السفراء الأربعة ـ وجدته قد اشتهر في زمن الشيخ الطوسي رحمه الله المتوفى سنة ٤٦٠ هـ وهو أول من عقد بحث تحت عنوان ((السفراء الممدوحون في زمان الغيبة الصغرى))[1] ولا نجد هكذا عنواناً في زَمَنِ الشيخ الكُليني المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ الذي عاصر الغيبة الصّغرى ، ولا في زمن الشيخ النعماني صاحب كتاب الغيبة المتوفى سنة ٣٦٠ هـ ولا في زمن الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ ولا في زمن

---

(1) الغيبة الشيخ الطوسي / ٢١٤ .

الشيخ المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ[١] وإن كان قد أشار إلى هذا المصطلح اشارة عابرة عند تعرّضه في تحديد الغيبة القصرى ، بقوله رحمه الله : فأما القصرى منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة[٢] فإن هؤلاء الأعلام رضوان الله عليهم لم نجد في كتبهم مصطلح يطلق على السفراء الأربعة بسفير الإمام عليه السلام وإنما نجد مصطلح وكيل أو ثقة الإمامين عليهما السلام نعم قد وجدت هكذا مصطلح على لسان السفير الثاني عندما سأل عن الخلَف من بعده قال : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسّفير بينكم وبين صاحب الأمر والوكيل له والثقة الأمين فارجعوا إليه في أموركم وعوّلوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت[٣]. وكما ترى يدلُّ على أنّ هذا المصطلح متشرعي .

هذا ولعل السبب الذي حدا بالشيخ الطوسي رحمه الله أن يعطي هكذا مصطلحا مخصوصاً بالسفراء الأربعة هو أنّ في زمانه كثر الفقهاء وقد اشتهر عليهم أنهم وكلاء أو نواب للحُجّة بن الحسن عليه السلام فأرادَ الشيخُ أن يميزّهم بمصطلح خاص وأنّ الأنسب والأشد لصوقاً في النفس هو مصطلح سفير وإذا أطلق هذا المصطلح في محافل أهل العلم ، أو في أوساط الشيعة يتبادر ذهنهم إلى أولئك النواب المخصوصون للحجة بن الحسن عليه السلام دون سواهم

---

(١) انظر كمال الدين و عيون أخبار الرضا ، غيرها من كتب الشيخ الصدوق ، والكافي لثقة الإسلام الكليني ، والغيبة للشيخ محمد بن إبراهيم المعروف بالنعماني ، والارشاد للشيخ المفيد وغيرها من كتب الأوائل

(٢) الارشاد الشيخ المفيد / ٣٤٦ .

(٣) الغيبة / ٢٤٧ ، بحار الأنوار ٥١ / ٣٥٥

أمّا مصطلح وكيل في زمن الغيبة الكبرى هو المجتهد من كانت تتوفّر فيه شروط الافتاء.

وعلى كلّ حالٍ فإن هذا المصطلح بعد الشيخ الطوسي أصبح مشهوراً شهرة عظيمة يطلق على السفراء الأربعة الذين تواترت وثاقتهم وعدالتهم عند الطائفة الإمامية الحقة الذين عاشوا في بغداد في النصف الأخير للقرن الثالث إلى شطرٍ من القرن الرابع أي: من سنة ٢٦٠ إلى سنة ٣٢٩ هـ وكانوا يتحمّلون مسؤولية الوكالة والنيابة الظاهرة للإمام عليه السلام الغائب عن الأبصار وكانوا مراجع للشيعة الإمامية عامة، ومقابرهم لا زالت موجودة في نواحي بغداد القديمة إلى هذا العصر وتزار من قبل الشيعة زادهم الله علوا وشرفا.

مفهوم الغيبة

الغيبه عبارة عن احتجاب الإمام المعصوم (عليه السلام) عن أنظار الناس وايصال ارشاداته عن طريق سفراء خاصين به (عليه السلام) وقد وردت فيها روايات كثيرة لا يتطرق شكٌ إليها ولا ريب ، ومن جملة ذلك ما روى إبراهيم الحارثي عن ابي بصير عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : قلت له كان أبو جعفر (عليه السلام) يقول لآل محمد غيبتان واحدة طويلة والأخرى قصيرة قال ، فقال ليّ : نعم يا أبا بصير إحداهما أطول من الأخرى ثُمّ لا يكون ذلك ـ يعني ظهوره ـ حتّى يختلف ولد فلان ونضيّق الحلقة ويظهر السفيانيّ ويشتد البلاء ويشمل الناس موت وقتل ويلجؤون إلى حرم الله تعالى وحرم رسوله (صلى الله عليه وآله)[1].

وهي على قسمين صغرى وتبتدئ من وفاة الإمام العسكري سنة ٢٦٠ هـ إلى وفاة السفير الرابع سنة ٣٢٩ هـ وهي تسع وستون وبضعة أشهر وأيام حافله بالأحداث الجسام والتقلبات العظام انتقل فيها عمر التاريخ الإسلامي من القرن الثالث إلى القرن الرابع وانتقلت الوكالة الخاصة أو السفارة الإمام الحجة بن الحسن (عليه السلام) بين أربعة من خيار خلق الله وخاصته وهم عثمان بن سعيد العمري ، وأبنه محمد بن عثمان ، والحسين بن روح ، وعلي بن محمد السمري (رضي الله عنهم) وسوف نذكرهم بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

---

(١) بحار الأنوار ٥١/ ٣٦٤

والغيبة الكبرى وهي بعد الأولى ، وفي اخرها يقوم الحجة بن الحسن عليه السلام بالسيف قال الله عز وجل : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [1] وقال جلّ اسمه : ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [2] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلما وجوراً)) [3] وروى الشيخ الصدوق عن سلسلة من الرواة عن أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري قال : دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام وأنا أريد أن اسأله عن الخَلَف من بعده ، فقال لي مبتدئاً : ((يا أحمد بن إسحاق إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق ادم عليه السلام ولا يخليها إلى أنْ تقوم الساعة من حُجّة الله عَزّ وجلّ على خلقه . به يدفع البلاء عن أهل الأرض ، وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض .

قال : فقلت له : يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك ؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل البيت ، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر من أبناء الثلاث سنين ، فقال : يا أحمد بن إسحاق لولا كرامتك على

---

(١) سورة القصص الاية ٥ ــ ٦

(٢) سورة الأنبياء الايه ١٠٥ .

(٣) الارشاد / ٣٤٦ .

الله عز وجل وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا ، إنه سَميّ رسول الله ﷺ وكنيّته ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يا أحمد بن إسحاق مثله في هذه الأمة مثل الخضر عليه السلام ومثله مثل ذي القرنين ، والله ليغيبنَّ غيبة لا ينجو فيها من الهلكة إلا من ثَبَّتَهُ عَزّ وجلّ على القول بإمامته ووفّقَهُ فيها للدُّعاء بتعجيل فرجه .

فقال أحمد بن إسحاق فقلت له : يا مولاي فهل من علامة يطمئنُّ إليها قلبي ؟ فنطقَ الغلام عليه السلام بلسانٍ عربي فصيح فقال : أنا بقيَّةُ الله في أرضه والمنتقم من أعدائه ، فلا تطلب أثراً بعد عين يا أحمد بن إسحاق .

فقال أحمد بن إسحاق : فخرجت مسروراً فرحاً ، فلمّا كان من الغد عدْتَ إليه فقلت له : يا ابن رسول الله لقد عظم سروري بما مننتَ به عليّ فما السُّنة الجارية فيه من الخضر وذي القرنين ؟ فقال : طولُ الغيبة يا أحمد قلت : يا ابن رسول الله وإن غيبته لتطول ؟ قال : إي وربّي حتّى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به ولا يبقى إلا مَنْ أخذ الله عَزّ وجلّ عهده لولايتنا وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه .

يا أحمد بن إسحاق : هذا أمر من أمر الله ، وسرٌّ من سرّ الله ، وغيْبٌ من غيْبِ الله ، فخذ ما آتيتك وأكتمه وكُنْ من الشاكرين تَكُنْ معنا غداً في علّيين))[1].

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة / ٢/ ٤١٦ .

اهم أحداث الغيبة الصغرى

والغيبة القُصرى أو الصغرى هي من اشد فترات التاريخ وطأة على الطائفة الإمامية أَيَّدَهُمُ الله وأعَزَّهُم ، فأن وفاة الإمام العسكرى عليه السلام قد أحدَثَتْ هزَّةً عنيفة في كيانِ شيعَتهِ وأتباعِهِ من بعده ، فقد اضطرَبَ الموقفُ واملكت الحَيْرَةُ الكثيرين منهم ، وبدأ التساؤل هل للإمام الحسن العسكري عليه السلام وَلَدٌ يخلفه في الإمامة ؟ أم أنَّ الإمامة انقطعت من بعده ، وليس له ولد ؟ فكانت الأجوبة شتّى والفرق متعددة .

ينقل الشيخ الصدوق عن تلك الحقبة الزمانية في كتابه كمال الدين عن سلسلة من الرواة عن أبي حاتم قال : سمعتُ أبا محمّد الحسن بن علي عليه السلام يقول : في سنة مائتين وستين تَفَرّقُ شيعتي ، ففيها قُبِضَ أبو محمد عليه السلام وتَفرَّقَتْ شيعته وأنصاره ، فمنهم مَنْ انتمى إلى جعفر ، ومنهم من تاهَ وشكّ ومنهم مَنْ وَقَفَ على تحيّره ، ومنهم مَنْ ثَبَتَ على دينه بتوفيق الله عزّ وجل[1].

وفيما يأتي نوردُ جانباً من حوادث تلك المرحلة والصّراع الفكريّ الذي جرى فيها بين الشيعة والأتباع وما استقرّ عليه الرأي عندهم ولاستيضاح تلك الصورة التاريخية فلنقرأ ما كتبه أبو محمد الحسن النوبختي

---

(١) كمال الدين الشيخ الصدوق / ٢ / ٤٣٥ ، بحار الأنوار / ٥١ / ١٦١ .

من أعلام القرن الثالث الهجري ، ومن علماء الشيعة البارزين في تلك الفترة وممن عاش في تلك الحقبة التاريخية ، وكتب عن الآراء والفرق التي نشأت بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما نصه : وولد الحسن بن علي عليهما السلام في شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وتوفي بسرّ مَنْ رأى يوم الجمعة لثمان ليالٍ خلوْن من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين ، ودفن في داره في البيت الذي دفن فيه أبوه وهو ابنُ ثمان وعشرين سنة وصلّى عليه أبو عيسى بن المتوكل[1] وكانت إمامته خمس سنين وثمانية أشهر وخمسة أيّام وتوفّي ولم يُرَ له أثر ، ولم يُعْرفْ له وَلَدٌ ظاهر ، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر ، وأمّه ، وهي أم ولد يقال لها عسفان ، ثمّ سمّاها أبو الحسن حديثاً فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة .

ففرقة منها قالت : إنّ الحسن بن عليّ حي لم يمُت إنّما غاب وهو القائم ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر ، لأنّ الأرض لا تخلو من إمام .

وقالت أخرى : إنّ الحسن بن عليّ مات ، وعاش بعد موته وهو القائم المهدي .

---

(١) الظاهر من النصوص التاريخيه أن الإمام العسكري عليه السلام صُلّي عليه عدة مرات مره ، منها هي ما ذكره النوبختي ، ومنها صلّى عليه عثمان بن سعيد السفير الأول ، وتكفل بدفنه وتجهيزه ، لما سوف يأتي ومنها أخوه جعفر بن علي ونحّاه الحجة بن الحسن عليه السلام وظهر للناس عياناً ، وقد كرّست السلطات كل امكانياتها لكي تقبضوا عليه فلم يستطيعوا ، فلا داعي أنْ نقول . أنّ النصوص في هذا المورد متعارضه ومضطربه ومشوّشه فلا يمكن الاعتماد عليها البته

وقالت فرقة: بل ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر وأنَّ الذين ادّعوا له ولداً في حياته كاذبون مبطلون في دعواهم، لأنَّ ذلك لو كان لم يخف ولكنه مضى ولم يعرف له ولد.

وقالت فرقة: إنَّ الحسَنَ بن عليٍّ قد صَحَّتْ وفاةُ أبيه وجدِّه وسائر آبائه عليهم السلام فكما صَحَّتْ وفاته بالخبرِ الذي لا يكذَّب مثله فكذلك صحَّ أنه لا إمام بعد الحسن وذلك جائز في العقول والتعارف.

وقالت فرقة: إن الحسن بن علي كان إماماً وقد توفّيَ وأنَّ الأرض لا تخلو من حجّة ونتوقّفُ ولا نقدّم على شيء حتى يصحَّ لنا الأمرُ ويتبيّن.

وقالتْ فرقَةٌ: وهم الإمامية ليس القول كما قال هؤلاء كلّهم، بل لله عزَّ وجَلَّ في الأرض حُجّة من ولد الحسن بن علي وأمرُ الله بالغ وهو وصيّ لأبيه على المنهاج الأول والسنن والماضية.

فنحن مسلّمون بالماضي وإمامته مُقرّون بوفاته معترفون بأنَّ له خلفاً قائماً من صلبه وأن خلفه هو الإمام من بعده حتى يظهر ويعلن أمره إذ هو عليه السلام مغمور خائف مستور بستر الله تعالى[1].

وهكذا توضّح لنا هذه القراءة لتلك الفترة اضطراب الاراء، وتعدّد الفرق في صفوف الشيعة في تحديد وتشخيص شخصّية الإمام المهدي عليه السلام بسببِ الظّروف السياسية والتعقيدات الصّعبة التي كانوا يعيشونها انذاك واستقرَّ الأمر على ما قالت به الشّيعة الإمامية وهو الإمامُ المهديّ هو محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام الذي ولد بسر مَنْ رأى قبل وفاة أبيه بخمس

---

(١) فرق الشيعة النوبختي/ ١٠٥ وما بعدها

سنين وشاء اللهُ أنْ يؤجّل ظهوره ليملأ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما ملئت ظُلماً وجورا.

موقف الحجة بن الحسن

لم يقف الحجّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه مكتوف الأيدي اتّجاه هذه الانشقاقات في صفوف شيعته فهو يرى هذا الاضطراب والغموض على الكثير من الناس ، وتشكيك الغالبية منهم في وجود شخصه المبارك ولأهمّية هذه النقطة ، والتي أصبحت مفرق طرق بالنسبة للشيعة ، عليه أنْ يقوم بدوره الرّسالي الأول في بداية إمامته المباركة ، ويركّز على النقاط الأساسية التي من خلالها يلمّ الشمّل من جديد ويوحّد صفوف شيعته عقائدياً وفقهياً ، كمنظومة واحدة قوية ، تقف في وجهِ التيّارات المعادية لمبادئ أبائه واجداده عليهم السلام ويجيب على كل من يشكك في إمامته وإمامة أبائه واجداده لذا فقد قام عليه السلام بعدة خطوات :

الأولى : تنشيطُ جهازٍ من الأتباع ، مَكوَّنٍ من مئات الوكلاء والقيّمين والممثّلين في كلّ أنحاء العالم الإسلامي ، الذي ورثه من الإمام العسكري عن أبيه الهادي عليهما السلام ووسع عليه السلام دائرة عملهم ، فقد احدث نوعاً جديداً من ايصال فكرة وجود شخصه المبارك عن طريق بابٍ يكونُ لسفيره ـ كما مر علينا التعريف بذلك المصطلح ـ ومن خلاله تكون الفكرة قد وصلت إلى أكثر عدد ممكن من الناس .

الثانية : الحفاظُ على العمل السرّي ، والتركيز على الرّكائز الأساسية لبنية هيكلِ الأتباع والأنصار والمتعاطفين ، وإدارته فكرياً وعقائدياً وسياسياً

والتولّي لأهل البيت الأطهار عليهم السلام وتعْمَلُ بمَنهجِهم الفقهي والسياسي والتربوي، والحفاظ على أصالة ونقاء الرسالة الإسلامية، والدعوة إلى العمل بها، ومقاومة الحكّام الظالمين ونُصرة المستضعف والمظلوم.

الثالثة: إبراز شخصه المبارك بين الحين والأخر لمواليه وغيرهم حتى إلى أعدائه كما وقع ذلك عندما أرادوا أن يُصلّوا على جثمان الإمام العسكري الطاهر فتقدّم جعفر بن عليّ ليُصلّي على أخيه، فلمّا هَمَّ بالتكبير خرج صبيٌّ ـ كما تقول الرواية ـ بوجههِ سُمرة بشعره قَطَطٌ، بأسنانه تفليج فجبذ برداء جعفر بن علي وقال: تأخّرْ يا عمّ فأنا أحقُّ بالصّلاة على أبي فتأخّرَ جعفر، وقد اربدّ وجهُهُ واصفرّ، فتقدّم الصبيُّ وصلّى عليه ودُفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام ثمّ قال: يا بَصْرِيّ هات جوابات الكتبِ التي مَعَك[1].

الرابعة: نشر خبر وجوده المبارك قصداً وإيصال رسالة إلى السلطات الحاكمه انذاك، لكي تتحرّك السُلْطَةُ بالقبض عليه، وبهذا التحرُّك من قبلها تحدثُ ضَجَةٌ وإرباك في عملها ومن خلاله يلفتُ أنظار الناس إلى خبر وجوده المبارك

وعن طريق الوفود التي كانت تقصد بيت أبيه عليه السلام ولم يرسل إليهم عبداً أو خادماً ينتظرهم على أبواب المدينة ويخبرهم بالعلامة التي كانت بينهم وبين الإمام العسكري عليه السلام كما هو المعروف والمعهود إلّا بعد عرضهم على الخليفة واستجوابهم عن قدومهم إلى بيت أبي محمد العسكري عليه السلام وبعد ذلك يبيّن عليه السلام لهم من هو الإمام والحجّة بعد ابي محمد العسكرى

(١) كمال الدين وتمام النعمة / ١/ ٥٠٣ واربد وجهه: أي تغير إلى الغبرة.

ﷺ كما يروي الشيخ الصَّدوق بعد سلسلة من الرواة عن الموصلي قال : لما قبض سيّدنا أبو محمّد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليهما وفد من قُمْ والجبالِ وفودٌ بالأموال التي كانت تُحْمَلُ على الرّسم والعادة ، ولم يكن عندهم خبرٌ وفاةِ الحسن ﷺ فلمّا أنْ وَصَلوا إلى سرَّ مَنْ رأى سألوا عن سيّدنا أبي الحسن ابن علي ﷺ فقيل لهم : إنه قد فُقد ، فقالوا : ومنْ وارثه ؟ إلى أنْ قال وادخلوا على الخليفة ، وقال لهم : احملوا هذا المال إلى جعفر ، قالوا : أصْلَحَ اللهُ أمير المؤمنين إنّا مُستأجرون وكلاءٌ لأرباب هذه الأموال ، وهي وداعة لجماعةٍ وأُمرنا بأنْ لا نُسلّمها إلّا بعلامة ودلالة وقد جرت بهذه العادة مع أبي محمد الحسن بن علي .

فقال الخليفة : فما كانت العلامة التي مع أبي محمّد ، قال القوم ، كان يصفُ لنا الدنانير وأصحابها والأموال وكم هي ؟ فإذا فعل ذلك سلّمناها إليه ، وقد وفدنا إليه مراراً فكانت هذه علامتنا معه ودلالتنا ، وقد ماتَ ، فإنْ يكن هذا الرّجل صاحب هذا الأمر فلْيقِمْ لنا ما كان يُقيمه لنا أخوه ، وإلا رَددْناها إلى إصحابها .

فقال جعفر : يا أميرِ المؤمنين إنَّ هؤلاء قومٌ كذّابون يكذبون على أخي وهذا علم الغيب ، فقال الخليفة : القومَ رُسَلُ وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين ، قال : فبهت جعفر ولم يردّ جواباً ، فقال القوم بتطوّل أميرِ المؤمنين بإخراج أمره إلى من يبدرقنا حتى نخرج من هذه البلدة ، قال فأمر لهم بنقبب فأخرجهم منها ، فلمّا أنْ خرجوا من البلد خَرَجَ إليهم غلامٌ أحْسَنُ النّاس وَجْهَاً كأنّه خادم ، فنادى يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أجيبوا مولاكم

قال : فقالوا : أنت مولانا ، قال : معاذ الله أنا عبد مولاكم فسيروا إليه ، قالوا فسرنا معه حتّى دخلنا دارَ مولانا الحسن بن علي عليه السلام فإذا وَلَدَهُ القائم عليه السلام سيّدنا قاعدٌ على سرير كأنه فلقة قمر ، وعليه ثياب خضر فسلّمنا عليه فَرَدَّ علينا السّلام ، ثمّ قال : جملةُ المال كذا وكذا ديناراً ، حمل فلان كذا وحمل فلان كذا ، ولم يزل يصفُ حتّى وصف الجميع .

ثمّ وصفَ لنا ثيابنا ورحالنا وما كان معنا من الدّواب فخررنا سُجّداً لله عزّ وجلّ شُكراً لما عرّفنا ، وقبّلنا الأرض بين يديه ، وسألناه عمّا أردنا فأجاب فحملنا إليه الأموال وأمرنا القائم أنْ لا تحمل إلى سُرَّ مَنْ رأى بعدها شيئاً من المال ، فإنه ينصّب لنا ببغدادَ رَجُلاً يحمل إليه الأموال ، ويخرج من عنده التوقيعات ، قالوا : فانصرفنا من عنده ودَفَعَ إلى أبي العبّاس محمّد بن جعفر القمّي الحميري شيئاً من الحنوط والكفن فقال له : عَظَّمَ اللهُ أجركَ في نفسك قال : فما بَلَغَ أبو العبّاس عُقْبَةَ هَمْدان حتّى توفي رحمه الله.

وكان بعد ذلك نحمل الأموال إلى بغداد إلى النوّاب المنصوبين بها ويخرج من عندهم التوقيعات .

قال الشيخ الصّدوق رحمه الله : هذا الخبر يَدُلُّ على أن الخليفة كان يعرف هذا الأمر ، كيف هو ؟ وأين هو ؟ وأين موضعه ؟ فلهذا كفَّ عن القوم عمّا معهم من الأموال ، ودَفَعَ جعفراً الكذّاب عن مطالبتهم ولم يأمرهم بتسليمها إليه إلا أنّهُ كان يحبّ أنْ يخفى هذا الأمر ولا ينشر ، لئلا يهتدي إليه الناس فيعرفونه وقد كان جعفر الكذّاب حمل إلى الخليفة عشرين ألف دينار لّما توفي الحسن بن علي عليه السلام وقال : يا أمير المؤمنين تجعل لي مرتبة أخي الحسن

ومنزلته ، فقال الخليفة : اعلم أنَّ منزلة أخيك لم تَكُنْ بنا إنّما كانت بالله عزَّ وجلّ ونحن كنّا نجتهد في حَطّ منزلته والوضع منه ، وكان اللهُ عزَّ وجلَّ يأبى إلا أن يزيله كُلَّ يومٍ رفعة لما كان فيه من الصيانة وحُسْن السَمْت والعلم والعبادة ، فإنْ كنتَ عند شيعة أخيك بمنزلته فلا حاجةَ بك إلينا ، وإنْ لم تكن عندهم بمنزلتهِ ولم يكن فيك ما كان في أخيك لم نغن عنك في ذلك شيئاً[1] .

الخامسة : نقل جهاز من الاتباع والمنظومة من الوكلاء والنواب والأبواب والخدم وغيرهما من سامراء إلى بغداد كما يذكر ذلك الخبر المتقدم وهذه الخطوة بالذات من أهمّ ما قام عليه السلام به حيث كانت الأوضاع مضطربة في سامراء حول وجوده المبارك كما تقدم ذلك ، وفي بغداد يكونُ الوضعُ هادئ ومهيّئ لقبول فكرة السّفارة والوكالة ، وبدوره السفير يتحرّك بحرّية تامة ولم يلفت أنظار الدولة له ، وبغداد آنذاك هي مدينة تابعة إدارياً للعاصمة وليس فيها ثقلُ الدولة من المنظومة الاستخباراتية والكتلة العسكرية ، فان هذه المنظومة كانت في سامراء لأنها العاصمة في ذاك الوقت .

وهذه الأجواء تسمح لوكلائه وسفرائه واستقبال الوُفودِ وإعطائهم الإرشادات بحرّية تامة بعيدةٍ عن مراقبة السُلُطات والعُيون المتخفّية ، لذا نجدُ أنَّ السُفراء الثلاثة الذين قَضَوا مُدَّةَ سفارَتهم في بغداد لم يمتهنوا أىّ عملٍ للتخفّي ورائه ، بخلاف ما نجده عند السفير الأول .

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة /٢/ ٥٠٦ .

الإمام والأوضاع السياسية

إنّ الحياة السياسية التي أفرزتها ممارسات السلطة العباسية الحاكمة عبر تولّيها مقاليد الأمور بمختلف مراحلها كانت تقوم على أساس البطش و القهر والارهاب ضد معارضيها العلويين بصورة خاصة ، فقد سارت على هذه السياسة من عصر أبي جعفر المنصور ومواقفه من الإمام الصادق عليه السلام وحتى المعتمد ومعاصره الإمام العسكري عليه السلام والتي دامت من سنة ١٣٦ هـ وحتى سنة ٢٦٠ هـ ولم يكن الحكم العباسي ليسلم من الصراع الداخلي على السلطة ومقاليد الأمور فهو بالإضافة إلى الخلاف المحتدم بينه وبين المعارضه العلوية التي اتخذت طابع المواجهة السياسية والفكرية والإعلامية تارة ، وطابع الكفاح والثورات المسلّحة تارة أخرى ، فقد عُرّض للصراع الداخلي والتصفيات الدّموية وتعمّق الصراع داخل البيت العبّاسي وأصبحَ ظاهرة مألوفة .

فقد نَشبَ الصّراعُ بين الأمّين وأخيه المأمون واستولى على السلطة بهذه الطريقة المقيتة ، وخلع محمّد المنتصر بن جعفر المتوكل بعد توليه الخلافة أخويه المعتزّ والمؤيّد اللذين كان أبوهما المتوكّل قد عهد إليهما بالخلافة الواحد تلوّ الآخر من بعد المنتصر ، وأُجبرَ المستعين العباسي على خلع نفسه من الخلافة وتسلّيم السلطة إلى المعتز ، فخَلَعَ نفسه مرغماً وكتب كتاب الخلع على نفسه ، وخلافة القاهر الذي بويع بعد المقتدر ولم يبقى في

الحكم إلا سنتين وخلعوه وسملوه حتّى سالت عيناه على خدّيه ، وحبس عدة مرات حتّى تقلبت به الأحوال ، فخرج يوماً ووقف بجامع المنصور يطلب الصدقة من الناس ، وقصد بذلك التشنيع على المستكفي فراه بعض الهاشميين فمنعه من ذلك وأعطاه خمسمائة درهم .

وخلافة الرّاضي وفي أيّامه ضَعُفَتْ الخلافة العباسية ، فكانت فارس في يد علي بن بويه ، والرّي وأصفهان والجبل في يدِ أخيه الحسن بن بويه والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج ، ثمّ في أيدي الفاطميين ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمّد الأموي ، وخراسان والبلاد الشرقية في يد نصر بن أحمد الساماني ويقى الحال على هذا حتّى هلاك الراضي وذلك في سنة ٣٢٩ هـ .

وخلافَةُ المتقّي لله الذي كانت أيامه أيّام حروب وفتن واضطربت عليه الأمور حتّى هَرَبَ ومعه أبنه إلى الموصل خوفاً على نفسه من حرب بغداد ووصل الأمر إلى نهب دار الخلافة وأُخذ ما كان بها ، ثمّ كَتب إلى المتقي أن أقدم إلى بغداد ، فاغتر المتقي بذلك وانحدر من الموصل إلى بغداد وبعد وصوله إلى منطقة السندية قبض عليه وسمل عينيه وخلعه[1] .

قال المؤرخون : أن شوارع بغداد ابتليت باثنين من خلفاء بني العباس انتهت بهم الأحوال التسكّع والتسّول وطلب الصّدقة من الناس هما

---

(١) الفخري في الاداب السلطانيه والدول الإسلاميه / ٢٧٦ ، تاريخ اليعقوبي / ٢ / ٤٩٣ ، والكامل في التاريخ ابن الأثير / ٨/ ٣٦٣ ، والمنتظم ابن الجوزي ، ووفيات الأعيان ابن خلكان في تراجم هؤلاء الخلفاء وغيرها من كتب السير والتراجم

القاهر والمتقي. وبقي على هذا الحال من التجدّي إلى الناس حتّى هلك في سنة ٣٥٠ هـ وفي مثل هذه الأوضاع والظروف السياسية والاخلاقية مارس أئمه أهل البيت دورهم السياسي المعارض للحكام كقادة للرأي العام وللقطاع الواعي لتلك الانحرافات السلطوية.

وكان لتلك الأوضاع المأساوية داخل البيت العبّاسي آثارها السياسية على مركزيّة السّلطة وهيبتها وقوّتها، وعلى عموم وضع الأمة وظروف حياتها. فقد كانت تلك الأوضاع من الأسباب الأساسية التي نخرت جسم الخلافة وأصابته بالضّعف والتدهور، وجرأت عليه الحواشي والوزراء بل الجواري والخدم، فأصبحوا يتدخلون في شؤون الخلافة ويقومون بعزل الخليفة وتعيينه فضلاً عن تيسيرهم لشؤون الدولة والتلاعب بأموال الأمة ومصالحها ومقدراتها.

وأمّا من الجانب الاقتصادي الذي رافقه بداية الغيبة الصغرى والتدهور الذي وصل إليه الناس، وطبعاً مثل هكذا ظروف ترافقها عوامل أخرى من انتشار السرقات. والاعتداء على الأملاك والأعراض وتفشّي للأمراض يصف لنا المحدث والمؤرخ الطبري عن الفقر والغلاء الذي اصاب الناس في تلك الحقبة بقوله:

وفي سنة ٢٦٠ هـ اشتد الغلاء في عامة بلاد الإسلام فانجلى فيما ذكر عن مكة من شدّة الغلاء من كان بها مجاوراً إلى المدينة وغيرها من البلدان،

ورحل عنها العامل الذي كان بها مقيماً وهو بُريه وارتفع السعر ببعداد فبلغ الكر الشعير عشرين ومائة دينار ، والحنطة خمسين ومائة ودام ذلك شهوراً[١].

ونقل اليعقوبي صورة أخرى للغلاء بقوله : وغلت الأسعار في بغداد وبسرّ من رأى حتّى كان القفيز بمائة درهم ودامت الحرب وانقطعت الميرة وقلّت الأموال[٢].

وفي الوقت الذي يعاني المجتمع الفقر والجوع والأمراض ، ويعاني من اضطراب السلطة وسوء الإدارة تعج القصور بالجواري الحسان يَلْعَبن بالجوهرات مع البذخ واللهو الماجن ، ونستطيع أن نعرف حياة القصر العباسي ، وما فيه من العبث واللهو بالدرجة التي دعت بعض الخلفاء أن يتهكّم على بعض فيكشف صوراً من ذلك العبث والتبذير واللعب ببيت المال .

فقد نقل الطبري ذلك بالنص التالي : وكانت أمّ محمّد بن الواثق توفيت قبل أنْ يبايَعْ وكانت تحت المستعين ، فلمّا قُتل المستعين صيّرها المعتز في قصر الرّصافة الذي فيه الحرم ، فلمّا ولي الخلافة المهتدي ، قال يوما لجماعه من الموالي : أمّا أنا فليس لي أمُّ أحتاج لها إلى غَلّة عشرة الاف ألف في كلّ سنة لجواريها وخدمها المتّصلين بها .

وروى أيضاً أنّ قبيحة وهي من جواري المتوكّل وأمّ ولده المعتزّ وكانت لها أموال ببغداد فكَتَبَ في حملها ، فاستخرج وحمل منها إلى سامراء فذكر أنه

---

(١) تاريخ الطبري /٨/ ١٧ .

(٢) تاريخ اليعقوبي / ٢ / ٤٩٩ .

وافى سامراء يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان من هذه السنة أي سنة ٢٥٥ هـ قدر خمسمائة ألف دينار ، ووقعوا لها خزائن ببغداد فوجه في حملها منها فحمل إلى السلطان من ذلك متاع كثير وأحيل من بغداد من الجُند والشاكرية المرتزقة بمال عظيم ، ولم تباع تلك الخزائن متصلاً ببغداد وسامراء علّة شهور حتى نفذت ولم تزل قبيحة مقيمة .

ثمّ روىَ أن صالح بن وصيف قد استولى على خزانة من الذهب والجوهرات والأحجار الكريمة ... لقبيحة لا يقدّر ثمنها بمال . فقد قال الشخص الجوهري الذي أرسله صالح لحمل المال وتقويمه :

وصرنا إلى دار تحت الدار التي دخلناها على بنائها وقسمتها فوجدنا من المال على رفوف في أسفاط زهاء ألف دينار فأخذ أحمد منها ومن كان معه قدّر ثلاثمائة ألف دينار ووجدنا ثلاثة أسفاط ، سفطاً فيه مكوك زمرد إلا أنه من الزمرد الذي لم أر للمتوكل مثله ولا لغيره ، وسفطاً دونه فيه مقدار كليجة ياقوت أحمر لم أر مثله ولا ظننت أن مثله يكون في الدنيا ، فقوّمت الجميع على البيع فكانت قيمته ألفي ألف دينار[1] .

تلك صورة من حياة البذخ واللهو لقصر الخلافة تقابلها صور أخرى من الجوع والفقر والمرض والإرهاب .

---

(١) تاريخ الطبري / ٧ / ٥٣٦ . الدينار من الذهب ووزنه ثلاث على اربع ، ثلاث ارباع المثقال . وأسفاط جمع سفط وهو وعاء تخزن فيه الأشياء الثمينة ، ويعبأ فيه الطيب وما أشبه من أدوات النساء ، والمكوك طاس يشرب به اعلاه ضيق ووسطه واسع

هـذا بالإضـافة إلى تـردي الوضـع الأخلاقـي والسياسـي والإداري والفوضى الفكرية ، فكان طبيعياً أنْ يتصدَّى الإمام العسكري عليه السلام فيعـارض سياسة الدولة ويتصدّى الثّوارُ مـن ال علـي عليه السلام فيعلنـوا الثـورات لإنقـاذ الأمة من هذا العبث وتلك الفوضى ، لذا فقد عملـت السـلطات العباسية الثلاث التي عاصَرَهَا الإمـامُ العسـكري عليه السلام وهـي سـلطة المعتـز والمهتـدي والمعتمد إلى مواجهة الإمام العسكري والتضييق عليـه بالإرهـاب والسـجون والملاحقة والحصار السياسي .

علامات السفير

اختص السفراء الأربعةُ بعلاماتٍ ودلالات خاصّة بهم ميّزتهم عن باقي الناس، وعرفوا بها بين أوساط الشيعة، وميّزتهم أيضاً عمّن يدعي السفارة زوراً وكذباً، وهذه العلامات والدلائل لا تختصُّ بزمانٍ دون زمان ترفعْ عنهم الملابسات والأوهام، وتحفظ الاتباع من خطر الانحراف والانحراف عن أتباع كُلّ منْ يدّعي هذا المنصب الخطير والجليل في نفس الوقت، ويُمكنُ لنا أنْ نقسّم هذه العلامات إلى قسمين علاماتٍ عامّة وعلاماتِ خاصة، أمّا العامّة منها، فهي كالتالي:

١- حسن السيرة والسلوك والاشتهار به عند العامّة والخاصّة.

٢- الصدق في الحديث والأمانة.

٣- الورع والإخلاص والتقوى.

٤- كمال العقيدة وسلامة العمل.

٥- قيامه بالوظيفة المنوطة إليه من الواسطة بين الإمام عليه السلام وشيعته وقضاء حوائجهم من هذه الجهة.

وأمّا العلاماتُ الخاصّة فهي كالتالي:

١- نص الإمام عليه السلام على سفارته وتنصيبه له، وتعيين من قبله، كما صنع الإمام العسكري بل الإمام الهادي عليهما السلام من تنصيب وتعيين السّفير الاول في حياتهما، أي قبل زمن الغيبة تمهيداً وتهيئةً لنفوس الشّيعة وسوقاً

لهم نحو ما سيؤول إليه الأمر كي لا يفاجئوا ولا يتحيَّروا فيها، من باب توصيف العلاج قبل وقوع الحدث، وترُّقب الحدث قبل وقوعه، والإعداد والاستعداد له قبل حلوله وأيضاً ما وَرَدَ في توقيعِ مولانا الحجّة صلواتُ الله عليه من تنصيبهم جميعاً.

٢- أنْ يتمّ تعيينُ اللاحق وتنصيبه والإشهاد على ذلك من قبل سلفه فيكونُ السّابق قد عيّن اللاحق وأشهد الخواصّ على ذلك.

٣- أنْ يظهر ارتباطه واتّصاله الصادق بالإمام عليه السلام وظهور ذلك يتبيّن من خلال التوقيعات والمراسلات التي يتمّ استلامها وإيصالها، فالنّاقد البصير وحتّى السّاذج من العوام، لا جَرَم يكشف الصادق من الكاذب، ويميّز بينهما ولو بعد حين، إذ حبل الكذب قصيرٌ مهما طالَ وطالت الأيام.

٤- ظهورُ بعض الكرامات والمعجزات على يديه، بأنْ يجيب السائل أحياناً قبل أن يسأل، أو يخبره عمّا أخفاه عن كلّ أحدٍ من الناس، أو غيره ذلك لتقوم الحجّة على مَنْ شاء اللهُ تعالى منهم، وليس هذا على الله ببعيد ولزوم إقامة الحجّة لمن ينوب مقامَ صاحب الغيبة عليه السلام ودرءاً للشبهات التي قد تخلقها تلك المزاعم الباطلة الصّادرة من ذوي الأهواء بين شيعتهم.

فإنّا نجدُ أمثال هذه الكرامات والمعجزات والإخبار بالمغيّبات الكثير فيما نقله المحدثون في كتبهم وآثارهم، فمِن ذلك ما قاله الحسين بن روح رضي الله عنه للرّاوي الذي شك في ما قاله هل هو من عنده أم من الإمام عليه السلام فابتدأه الحسين بن روح قائلاً: يا محمد بن إبراهيم لئن أخِرّ من السماء فتخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ إليّ من أنْ أقول

في دين الله برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك من الأصل، مسموعٌ من الحجَّةِ صلوات الله عليه[١]. ومن ذلك أيضاً ما ورد في الخبر: أن ابن روح رضي الله عنه تكلّم مع امرأة من أهل آبة بلغة قومها، فإنّها جاءت تحمل معها ثلاثمائة دينار لكي تسلّمها إلى السفير واستصحبت معها مترجماً ليترجم لها لعلمها أو ظنّها أنّ السفير لا يعرف لغتها لكنّه كلمها بلغتها، بل بدأ بالسؤال عنها وعن حال صبيانها وأولادها وتفاصيل أخرى[٢] وهي لا تعرفه والمظنون أيضاً أنه لا يعرفها.

وكذلك إخبار السّمري وهو أحد السفراء بوفاة علي بن الحسين بن بابويه القمي، والأول في بغداد والثاني بقم وبينهما مئات الفراسخ فكتب المشايخ تاريخَ ذلك اليوم حتّى وَرَدَ الخبرُ بعد أيّامٍ أنّه توفيّ في ذات اليوم والتاريخ الذي أخبر به السفير[٣].

ومن ذلك أنّ أبا جعفر العمري رضي الله عنه وصله رسولٌ من قُمْ إلى بغداد يحملُ أموالاً للإمام عليه السلام وعندما دفعها إليه وأراد الانصراف، قال له أبو جعفر: قد بقيَّ شيء مما استودعته فأين هو؟ فقال الرجل: لم يبق شيء يا سيّدي في يدي إلا سلمته، فقال له أبو جعفر: بلى قد بقي شيء فارجع إلى ما معك وفتّشه وتذكّر ما دفع إليك، فمَضى الرجل واجتهد في البحث حتى يئس وعاد إلى أبي جعفر فقال له أبو جعفر: فإنه يقال لك: الثوبان

(١) الغيبة الشيخ الطوسي/١٩٩.

(٢) الغيبة/١٩٥

(٣) الغيبة/٢٤٢، منتخب الأثر فخر الدين الطريحي/٣٩٩.

السرداتيان اللذان دفعهما إليك فلانٌ بن فلان ما فعلا ، فقال له الرجل : إيّ والله يا سيّدي لقد نسيتهما حتّى ذهبا عن عقلي ولستُ أدري الآن أين وضعتهما . ثم بحث عنهما حتى أعياه البحثُ فعاد إلى أبي جعفر الذي قال له هذه المرة : يقال لك امضِ إلى فلان بن فلان القطّان الذي حملت إليه عدلي القطن في دار القطن فافتق أحدهما وهو الذي مكتوب عليه كذا وكذا فإنّهما في جانبه...»[1].

ومن ذلك أنّ الشلمغاني لما انحرف وادعى السفارة أرسل إلى الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه يسأله أنْ يباهله وقال : أنا صاحبُ الرجل - يعني الإمام المهدي عليه السلام - وقد أمرت بإظهار العلم وقد أظهرته باطناً وظاهراً فباهلني فأنفذ إليه الشيخ رضي الله عنه في جواب ذلك : أيّنا تقدَّم صاحبه فهو المخصوم فتقدم العزاقري فقتل وصلب وأخذ معه ابن أبي عون ، وذلك في سنة ٣٢٣ هـ[2]، وسوف نذكر ذلك مفصلاً .

وهناك الكثير من التوقيعات والمراسلات المكتوبة والمشّافهة التي خرجَتْ من ناحية الإمام عليه السلام وفيها المعجزاتُ والإخبار بالغيبيات وكانوا يبلّغونها أصحابها ، وبالتالي فإنّها وإنْ كانت من قبل الإمام عليه السلام إلا أنّ في تبليغهم ووساطتهم ثمّ ظهور صحّة ما نقلوه من مكتوب أو مقول أمكن

---

(١) الغيبة / ١٧٩ .

(٢) الغيبة / ١٨٧ .

نسبةُ هذه المعجزات والكرامات إليهم أيضاً ، لتكـونَ أدلّـةً صـارمةً وبـراهين ساطعةً على صِدق ادّعائهم[1].

---

(١) خاتم الأوصياء محمد مهدي المؤمن / الحلقة الثانية / ١٤٥ .

فلسفة الغيبة

ويمكنُ تلخيصُ وجوهِ الحكمة في غيبة مولانا القائم صلوات الله عليه وأسبابها التي نطقت بها رواياتُ أهلِ البيتِ صلوات الله علىهم في النقاط التالية :

أ- أنّها محنةً من الله تعالى لشيعته عليه السلام حتّى يفيئوا إلى أمر الله ويصلحوا أنفسهم ، قال تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[3] .

ب- امتحان واختبار منه تعالى لشيعته عليه السلام .

ت- تمحيصٌ وغربلة حتّى يميزَ الخبيثُ من الطيّب ، والصّادق من الكاذب .

ث- لئلا تكونَ في عُنقهِ بيعةٌ لأحدٍ من الحكّام والسلاطين .

(١) سورة النحل الآية/١١٨ .

(٢) سورة فصلت الآية/٤٦ .

(٣) سورة الرعد الآية/١١ .

ج- ليحفظه الله تعالى من الأعداء، خوفاً عليه من القتل كما خاف على موسى عليه السلام وقال عنه القران الكريم: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ (2) وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (3) قوله حكاية عن موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (4).

ح- ليرضى عن عبادة المؤمنين بعد طول انتظار وصبر على المكاره بعد غيبة إمامهم، إذ آمنوا به ولم يروه وهو من الإيمان بالغيب الذي مدح الله تعالى أهله، بل جعل الإيمان بالغيب أول علائم المتقين لقوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (5).

خ ليشتد غضبُ الله تعالى على أعدائه المنكرين لحجته صلوات الله عليه بسبب جرائمهم ومروقهم عن الدّين، واغتصابهم للخلافة الحقة من أهلها.

---

(1) سورة الشعراء الآية / ٢١.

(2) سورة القصص الآية / ١٨.

(3) سورة القصص الآية / ٢١.

(4) سورة القصص الآية / ٣٣.

(5) سورة البقرة الآية / ٢-٣.

د- التعبّد المحض له ولشيعته بما اختار الله له ولهم من المصير في هذه الدنيا ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾[1] ، لقول مولانا الصادق عليه السلام يصنع الله بالسادس ما أحب .

ذ- استيفاءً لفترة غيبات الأنبياء عليهم السلام حتّى تجري سننهم فيه ويغيب كما غاب أولئك الصّفوة عن أقوامهم .

ر- العّلة خافيةً علينا لا يعلمها إلا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى عليهم السلام لأنها سرٌ من الأسرار ، وهناك حكمة هي الأهم بين هذه الحكم والأسباب خافية علينا وستنكشف بعد ظهوره عليه السلام إذ جميع أفعال الله سبحانه وتعالى مبنية على الحكمة .

فهذه أهم ما نطقت به الأخبار من الحكم والأسباب التي من أجلها وقعت غيبة مولانا وسيّدنا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه .

بيد أنَّ هذه التوجيهات للغيبة لم تكن لتُقْنِعَ الخصم ، ومع تطوّر المباحث الكلامية وانتشار علم الكلام لم تفِ الجوامِعُ الرّوائيةُ التي جمعها وصنّفها الأعلام الكليني والنعماني والصدوق رضوان الله عليهم ، وإنْ كان أبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي من قبل قد صنَّف في القرن الثالث للهجرة كتاباً في فلسفة الغيبة عند المتكلمين وعلى ضوء علم الكلام وهو السبّاق في هذا المضمار وحذى حذوه كل من أبي الحسن بشر السوسنجردي وأبي الحسن علي بن وصيف الناشئ الأصغر المتوفى ٣٦٥ هـ وابي الجيش مظفر بن محمد البلخي المتوفى ٣٦٧ هـ والشيخ المفيد ، والسيد الأجل علم

---

(١) سورة آل عمران الاية/ ٢٨ .

الهدى المتوفى ٤٣٦ هـ وشيخ الطائفة الطوسي رضوان الله عليهم جمعاً فنقلوا ـ أي عن ابي سهل النوبختي ـ بالواسطة أو غير واسطة وتلقوا علومهم عنه كذلك، وقد أورد الشيخُ الصّدوق أعلى الله مقامه في كتابه كمال الدين شطراً من كتابه التنبيه ونقل جملة من ارائه هناك.

وقد تصدّى المرحوم النوبختي للردّ على مزاعم الحسين بن منصور الحلاّج البيضاوي الصوفي الشهير، حين تعمَّد إلى بثّ البدع والأباطيل في المراكز الشيعية أنذاك، لاسيّما مدينتي قم وبغداد حيثُ ادّعى البابية والنيابة الخاصّة، وأنّه رسولُ الإمام الغائب، مُلْحِقاً به هزيمةً نكراء بإبطال حججه ودحض مزاعمه خلال مناظرتين بين عامي ٢٩٨ هـ و ٣٠١ هـ.

وقد صنف الشيخ أبو جعفر بن قبة الرازي من أعاظم متكلمي الشيعة كتاباً سمّاه الإنصاف، اعتمد عليه الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين عند التعرض لفلسفة الغيبة، وكان ابن قبة معتزلياً سنياً ثم اهتدى واعتنق المذهب الحق ولم يألُ جهداً في نصرته والذبّ عنه.

فهذا الشيخ الصدوق ﷺ المولود بدعاء مولانا صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه، إذ تصدّى لدفع الشُبَهِ والأوهام التي كثرت في عصره لا سيّما دفاعُهُ عن الغيبة حيث كانت ولا تزال مناظراته وتأليفاته ضربةً على هامة الأعداء وبَلْسماً يشفي صدورَ المؤمنين.

فقد قال عن فلسفة الغيبة : وفي قول الله عز وجل : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] حُجَّةٌ قوية في غيبة الإمام ، وذلك أنه عزّ وجلّ لما قال : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أوجب بهذا اللفظ معنى وهو أنْ يعتقدوا طاعته فاعتقد عدوّ الله إبليس بهذه الكلمة نفاقاً وأضمره حتّى صار به منافقاً ، وذلك أنّه أضمر أنه يُخالِفُهُ متى استعبد بالطاعة له ، فكان نفاقه أنكر لأنّه نفاق بظَهر الغيب ولهذا من الشأن صار أخزى المنافقين كلّهم ... إلى أن قال : فالطاعة والمولاة بظهر الغيب أبلغ في الثواب والمدح لأنه أبعد من الشبهة والمغالطة ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه قال : ((من دعا لأخيه بظهر الغيب ناداه ملك ولك مثله))[2] وأن الله تبارك وتعالى أكّدَ دينه بالغيب فقال : ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[3] فالإيمانُ بالغيب أعظمُ مثوبةِ لصاحبه لأنه خِلو من كلّ عيبٍ وريب ، لأنه بيعة الخليفة وقت المشاهدة قد يتوهّم على المبايع أنّه إنما يطيع رغبةً في خيرٍ أو مال أو رهْبة من قتل أو غير ذلك ممّا هو عادات أبناء الدُنيا في طاعةِ ملوكهم ، وإيمان الغيب مأمون من ذلك كله ومحروس من معاييه بأصله ، يدلُّ على ذلك قول الله عز وجل : ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ

---

(١) سورة البقرة الآية / ٣٠ .

(٢) الفهرست ابن النديم / ١٧٨ .

(٣) سورة البقرة الاية / ٢ـ٣

﴿يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[1] ولمّا حصل للمتعبّد ما حَصَلَ من الإيمان بالغيب لم يحرِم الله عزّ وجل ذلك ملائكته ، فقد جاءَ في الخبر أن الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام ، وكان يحصل في هذه المدة الطاعة لملائكة الله على قدرها .

ثمّ قال ﷺ : ولو أنكر منكرٌ هذا الخبر والوقت والأعوام ، ولم يجد بُداً من القول بالغيبة ولو ساعة واحدة ، والساعة الواحدة لا تتعرى من حكمة ما ، وما يحصل من الحكمة في الساعة حصل في الساعتين حكمتان ، وفي الساعات حكمٌ وما زاد في الوقت إلا زاد في المثوبة ، وما زاد في المثوبة إلا كشف عن الرحمة ودلَّ على الجلالة فصَحَّ الخَبَر أنَّ فيه تأييدُ الحكمة وتبليغ الحجة

ثم وضع النقاط على الحروف وفَصَّل بعد إجمال قائلاً : وفي قول الله عز وجل : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ حجة غيبة الإمام عليه السلام من أوجه كثيرة :

أحدها : أنَّ الغيبة قبل الوجود أبلغ الغيبات كلّها ، وذلك أنَّ الملائكة ما شهدوا قبل ذلك خليفة قط ، وأمَّا نحن فقد شاهدنا خلفاء كثيرين غير واحد قد نطق به القران وتواترت به الأخبار حتى صارت كالمشاهدة والملائكة لم يشهدوا واحداً منهم ، فكانت تلك الغيبة أبلغ .

---

(١) سورة غافر الآية / ٨٤ ـ ٨٥

وآخر : أنها كانت غيبة من الله عز وجل وهذه الغيبة التي للإمام عليه السلام هي من قبل أعداء الله تعالى ، فإذا كان في الغيبة التي هي من الله عز وجل عبادة لملائكته فما الظنُّ بالغيبة التي هي من أعداء الله .

وفي غيبة الإمام عليه السلام عبادة مخلصة لم تكن في تلك الغيبة ، وذلك أن الإمام الغائب عليه السلام مقموعٌ مقهورٌ مزاحم في حقّه ، قد غلب قهراً وجرى على شيعته قسراً من أعداء الله ما جرى من سفك الدماء ، ونهب الأموال وإبطال الأحكام والجور على الأيتام ، وتبديل الصدقات وغير ذلك مما لا خفاء به .

ومن اعتقد موالاته شاركه في أجره وجهاده ، وتبرّأ من أعدائه وكان له في براءة مواليه من أعدائه أجر ، وفي ولاية أوليائه أجر يربو على أجر ملائكة الله عز وجل على الإيمان بالإمام المغيّب في العدم ، وإنما قصّ الله عز وجل نبأه قبل وجوده توقيراً وتعظيماً له ليستعبد له الملائكة ويتشمّروا لطاعته[1].

ثم أردف قائلاً : فمثل من آمن بالقائم عليه السلام في غيبته مثل الملائكة الذين أطاعوا الله عز وجل في السجود لآدم ومثل من أنكر القائم عليه السلام في غيبته مثل إبليس في امتناعه من السجود لآدم .

وكذلك روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام : أنّ الله تبارك وتعالى علّم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلها ثم عرضهم ـ وهم أرواح ـ على الملائكة فقال : ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2] ، بأنّكم أحقّ بالخلافة في

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة / ١ / ١٢ .

(٢) سورة البقرة الآية / ٣١ .

الأرض ، لتسبيحكم وتقديسكم من ادم عليه السلام ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾(١) قال الله تعالى ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾(٢).

وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره ، فعلموا أنَّهُم أحقُّ بأنْ يكونوا خُلَفاء الله في أرضه وحججه على بريّته ، ثمّ غَيَّبَهُم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم ، وقال لهم : ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٣) ثم قال رحمه الله : وهذا استعباد الله عز وجل للملائكة بالغيبة ، والاية أولها في قصّة الخليفة ، وإذا كان اخرها منها كان للكلام نظمٌ ، وفي النظم حجّة ، ومنه يؤخذ وجهُ الإجماع لأمة محمد صلى الله عليه وآله اولهم واخرهم .

وقال رحمه الله عن الغيبة : وذلك أن الأئمة عليهم السلام قد أخبروا بغيبته عليه السلام ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم ، واستحفظ في الصحف ودوّن في الكتب المؤلّفة من قبل أنْ تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقلّ أو أكثر ، فليس أحدٌ من أتباع الأئمة عليهم السلام إلا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودَوَّنَهُ في مصنّفاته ، وهي الكُتُبُ التي تُعْرَفُ بالأصول مُدوّنة مستحفظه عند ال محمد من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين ، وقد أخرجتُ ما حضرني من الأخبار

(١) سوره البقره الايه / ٣٢
(٢) سوره البقره الايه / ٣٣ .
(٣) سوره البقره الايه / ٣٣ .

المسندة في الغيبة في هذا الكتاب في مواضعها، فلا يخلو حال هؤلاء الأتباع المؤلفين للكتب أنْ يكونوا علموا الغيب بما وقع الان من الغيبة، فألفوا ذلك كتبهم ودوّنوه في مصنّفاتهم من قبل كونها، وهذا محالٌ عند أهل اللب والتحصيل، أو أنْ يكونوا قد أسسوا في كتبهم الكذب فاتفق الأمر لهم كما ذكروا، وتحقيق كما وضعوا من كذبهم على بُعد ديارهم واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم، وهذا أيضاً محالٌ كسبيل الوجه الأول، فلم يبقَ في ذلك إلا أنّهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عن رسول الله ﷺ من ذكر الغيبة وصفةً كونُها في مقامٍ بَعْدَ مقام إلى اخر المقامات ما دّونُوهُ في كتبهم وألّفوه في أصولهم، وبذلك وشبهه فلج الحقّ وزهق الباطل انّ الباطل كان زهوقاً.

وأنّ خُصُومَنا ومخالفينا من أهلِ الأهواءِ المضلّة قصدوا لدفع الحق وعناده بما وَقَع من غيبة صاحب زماننا القائم عليه السلام واحتجابه عن أبصار المشاهدين ليلبسوا بذلك على مَنْ لم تكُنْ معرفته متقنةً ولا بصيرته مستحكمة[1].

* * *

(١) كمال الدين وتمام النعمة /١/ ٢٠.

حياة السفير الأول

- نسبه وكنيته
- خلفاء وأحداث عصره
- مهامه ومواقفه
- أحاديثه والروايات التي نقلت عنه
- مدعوا السفارة في عصره
- وكلائه وأبوابه
- التوقيعات التي صدرت بواسطته

حياة السفير الأول

نسبه : هو عثمانَ بن سعيد بن عمرو الأسدي ، كذا اقتصرت كتب السير والتراجم على هذه الصّورة من نسبه واسمه عن طريق الأب[1] هذا وأنّ أغلب الظن أنّ اسمه ليس بعثمان وإنّما أُعطيّ هذا الاسم تقية وخوفاً عليه لَما أوكل إليه من مهمة صعبة ، ويحتاج أيضاً عمله التنقّل بين بلدٍ وآخر وبين زقاق وزقاق ، وهذه البلدان والأزقة أكثرها تسكنها طائفة مخالفة لما كان يعتقد من إمامة أهل البيت ، واسمُ عثمان يتلائم مع مَذَاقِ القوم لكي يتحرّك ويتنقّل بحرّية كاملة ، لذا عَمَدَ لتغيير اسمهُ أو أُمِرَ بتغييره ، مثلما يفعل ذلك في زماننا هذا بعض السياسيين والحركيين الذين لديهم مهمة سرية لأجل حزبه أو بلده ، يغيّر اسمه وكنيته ويسمّى بالاسم أو الكنية الحركية ويشْتَهرُ به شهرةً عظيمة حتّى ينسى اسمه الحقيقي ، لعلّ هذا السفير رضي الله عنه يكون من هذا القبيل وإنْ كان اثبات ذلك صعباً جداً عليّ من كتب التاريخ والسير ، لأنّها خالية من ذكر اسمه الكامل الذي يوصله إلى الجدّ الخامس أو

---

(١) انظر ترجمه في الغيبة الشيخ الطوسي / ٢١٤ ، رجال الشيخ الطوسي / ٤٢٠ ، رجال النجاشي / ٣٢٠ رجال الكشي/٤٨٥ خلاصه الأقوال العلامه الحلي الباب ٨ القسم الأول من حرف العين ، سفينة البحار الشيخ عباس القمي/ ١/ ١٥٨ ، معجم رجال الحديث السيد الخوئي/ ١١ / ١٢٠ ، بحار الأنوار العلامة المجلسي / ٥١ / ٣٤٥ ، كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق / ٤٦٩ ، غيبة الشيخ النعماني / ٢٢١ مناقب ال ابي طالب ابن شهر اشوب / ٤/٤٦٩ ، الاحتجاج الطبرسي / ٢٧٧ .

الرابع مثلاً ، والذي حدى بنا أن نقول ذلك لَمَا رأينا ما كان يناسب عمله ومهنته والظروف التي أحاطت به ، وكلّ ذلك مجرّد احتمال ونظر وتأمّل والله أعلم بحقائق الأمور .

أمّا نسبه عن طريق الأم فقد ينتهي إلى عمر الأطرف بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فنُسب إلى جدّه أبي أمّه أبي جعفر العَمْري[1] بفتح العين وسكون والميم .

كنيته : اشتهر بالعَمْري قيل : إنّ أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام أمر بكسر كنيته فقيل العمري ، لعل ذلك لانتسابه عن طريق الأم إلى أمير المؤمنين عليه السلام وابي عمرو ، وأبي جعفر ، وأبي عمر ، ويقال : له العسكري كذلك لأنّه كان يسكن عسكر سامراء ويقال له : السمان أيضاً لأنّه كان يتّجر بالسّمن تغطيةً للأمر ، وكان الشيعة إذا حملوا إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ما يجب عليهم من المال جعله أبو عمرو في زقاق السّمن وحمله إليه تقيّة وكان الإمام علي الهادي عليه السلام نصبه أولاً وكيلاً ، ثمّ ابنه الحسن العسكري عليه السلام ثمّ كان سفيراً للمهدي عليه السلام كذا ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله وسار عليه أكثر القوم .

ويذكر ابنُ شهر آشوب أنّه كان باباً في بدايةِ أمره للإمام الجواد محمد بن علي التقي عليه السلام[1] . ومثل ذلك العلاّمة الحلي فقد عَدّهُ من أصحاب الإمام

---

(١) انظر دلك في المجدي نجم الدين علي بن محمد العمري/ ٤٥١ ، تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب ابو الحسن العبيدلي/ ٢٩١ / الفخري في أنساب الطالبين إسماعيل بن الحسن المروزي/ ١٧٣ ، لباب الأنساب علي بن ابي القاسم الشهير بابن فندق/١/ ٣٥٧ الشجرة المباركة في أنساب الطالبية فخر الدين الرازي / ١٧ ـ ٢٠٣

الجواد عليه السلام قال : خَدَمَهُ وله إحدى عشرةَ سنة وله إليه عَهْدٌ معروف[٢].
والمقصود بالعهد الذي ذكره العلامة هو قولُ الإمام عليّ الهادي عليه السلام : ((هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤديه)).
وسأله بعضُ أصحابه لمن أعامل وعمَّن آخذ ، وقول مَنْ أقبل ؟ فقال عليه السلام : ((العمري ثقتي ، فما أدّى إليك فعنيّ يؤدي ، وما قال لك فعنيّ يقول ، فاسمع له وأطع ، فإنه الثقة المأمون)) .

وكذلك جاءَ هذا العَهْدُ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حقه بعد مُضِيّ أبيه : ((هذا أبو عمرو الثّقَةُ الأمين ، ثقةُ الماضي ، وثقتي في المحيا والممات فما قاله لكم فعنيّ يقوله ، وما أدّاه إليكم فعني يؤديه))[٣].

والغريب من بعض الباحثين لم يرتض دعوى ابن شهر آشوب والعلامة الحلي ، معلّلاً ذلك بعدم الاهتداء لتاريخ ولادة الشيخ العمري أولاً وثانياً لقصر مدّة سفارته للإمام المهدي عليه السلام وثالثاً عدم تحديد تاريخ نسخة العهد الذي أشار إليه ابن شهر آشوب والعلاّمة الحلي ، فهذه الأمور الثلاثة جَعَلَهُ يَقْطَعُ بأنَّ العَمْري كان التحاقه في بداية أمره بالإمام الهادي عليه السلام وأنّ العهد الذي صدر بحقه منه عليه السلام لا من الإمام الجواد عليه السلام ثمّ ذكر بعد ذلك مؤيداً لما ذهب إليه بقوله : يُضَاُف إلى ذلك أنّا لا نجُد في تاريخ الإمام الجواد والروايات عنه والعلاقات المتصلة به شيئاً يتّصلُ بالشيخ العمري السّمان

---

(١) المناقب/٤/ ٤٦٩ ـ ٤٨٣ إمامة الإمام الجواد عليه السلام .

(٢) الخلاصة الباب ٨ القسم الأول من حرف العين .

(٣) الغيبة الشيخ الطوسي / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

عدا ما أشرنا إليه ، خلافاً لما بعده فإن ما ذكره الشيخ الطوسي ﵀ ـ بحكم ذلك ـ يكون متعيّناً[1].

والتحقيق في ذلك : أنّ نقول : هذا التعليل الذي ذكره يجري حتّى ببداية أمره مع الإمام الهادي ﵇ ، فإنّ عدم معرفة ولادته وقصر مدّة سفارته ليس لها ربطٌ في أصل موضوع تحديد بداية حياته مع الإمام الجواد ﵇ وأمّا عدم معرفة تاريخ نُسْخَةِ العهد الذي ذَكَرَهُ ابنُ شهر آشوب والعلامه رحمهما الله فإنّهما يقصدان بالعهد الذي اشتهر بزمان الإمام الهادي ﵇ وليس المقصود منه زمان الإمام الجواد ﵇ وكلُّ مَنْ راجع عبارتهما يتّضح له ذلك وأمّا عدم وجود ذكر له في تاريخٍ أو اتّصالٍ أو معرفةٍ وثيقةٍ بالإمام الجواد ﵇ ليس ذلك صحيحاً ، فإنّ هذه الوثيقة التاريخية مهمّة جدّاً ، حيثُ تكون فاتحة باباً ونافذة لتحقيق ومعرفة بدايات حياته الأولية ، وكذلك نكون نحدبداً لعمره ، وكُلُّ ما في الأمر أنّ السفير الأول حينما التحق بخدمة الإمام الجواد ﵇ كان عمره صغيراً ، وليس له الأهلية لحمل مسؤولية نحث الحديث أو تلقّي الوفود وغيرها من الأعمال التي عملها أثناء سفارته ، وليس له الشُّهْرَةُ العظيمة بين أوساط الشيعة انذاك ولم تُعَرَفْ له أيضاً منزلة رفيعة ، وإنّما عُرف واشتهر بين أوساط الشيعة في حياة الإمام الهادي ﵇ بعدما عَرّف الإمام منزلته بالعهد المشار إليه ، لذا نجد الفقهاء وأهل الحديث والوفود ينقلون لنا منزلته بعد عصر الإمام الجواد ﵇ كما يذكر الشيخ في الغيبة عن جملةٍ من الرّواة بعد نقل السلسلة قال : ((أبو محمد هارون قال أبو علي :

---

(١) الإمام المهدي المنتظر وادعياء البابية والمهدوية بين النظرية والواقع السيد عدنان البكاء/١٤٨ .

قال أبو العباس الحميري ـ وهؤلاء كلهم من أهل الحديث وحملة الفقه ـ فكنّا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلالة محل أبي عمرو))[1].

إضافةَ إلى ذلك أنَّ هذه الوثيقة التي ذكرها ابن شهر آشوب تكشف عن مهنه عمله وهي أنّه كان باباً، أي كانت وظيفته أنْ يقف على باب الإمام عليه السلام يستقبل الزائرين، وليس المقصود بالباب هو الوكيل أو النائب ... حتّى يلتبس الأمر على الباحث، فإن هذا المصطلح لم يكن يُعرَفُ بهذه المهنة في ذلك الزمان ـ كما مَرَّ علينا تعريفه ـ وإنّما أخذ يشتهر بمعنى الوكالة أو النيابة في عصر الإمامين العسكري والحجة ابنه صلوات الله وسلامه عليهما حتّى أنّ السفير الأول لم يكن خادماً للجواد بمعنى الملازمة له عليه السلام فأن الوثائق التاريخية التي بين أيدينا تشيرُ أن خادمه كان أسمه ((موفق)) وله ذكر جميل مع الإمام الجواد عليه السلام فإن ما ذكره ابن شهر اشوب والعلامة الحلي رحمهما الله يكون متعيناً.

وعلى ذلك يمكن لنا أنْ نَبْحثَ حياة السّفير الأول مُنْذُ التحاقه بالإمام الجواد عليه السلام فإنّ الوثيقة التي تذكر ذلك تفتحُ لنا باباً واسعاً لمعرفة حياته أكثَرَ مّما ذكر الشيخ الطوسي رحمه الله ويبقى هنا تساؤل وهو تحديد الفترة التي التحق بها مع الإمام الجواد عليه السلام فإنّ الوثيقة التاريخية التي ذكرها ابن شهر آشوب تحدد لنا العمر وهو إحدى عشرة سنة، والمعلوم أن الإمام الجواد عليه السلام دخل بغداد مرتين، مرة حينما استدعاه المأمون وذلك في سنة ٢١١ هـ وأراد أنْ يزوّجه ابنته أمّ الفضل زينب وعمره عليه السلام يومذاك يتراوح بين خمسة أو ستة

---

(١) الغيبة الشيخ الطوسي / ٢٣٨.

عشر سنة ، واحتجَّ العباسيون على المأمون بفعله هذا ، فقال لهم : وأمّا ابنه محمّد فاخترته لتبريزه على كافّة أهل الفضل في العلم والحلم والمعرفة والأدب ، مع صغر سنه ، فقالوا : إنّ هذا صبيٌ صغير السن ، وأيُّ علم له اليوم ، أو معرفة أو أدب ، دعه يا أمير المؤمنين ، ثمّ اصنع به ما شئت ، قال : كأنّكم تشكّون في قولي إنْ شئتم فاختبروه أو ادعوا مَنْ يختبره ثمّ بعد ذلك لوموا فيه أو اعذروا قالو : وتتركنا وذلك ؟ قال : نعم ، قالوا : فيكونُ ذلك بين يديكَ يترك من يسأله عن شيءٍ من أمور الشّريعة ، فإن أصاب لم يكن في أمره لنا اعتراض ، وظَهَرَ للخاصّةِ والعامة سديدْ رأي أمير المؤمنين ، وإنْ عجز عن ذلك كفينا خطبه ، ولم يكن لأمير المؤمنين عذرٌ في ذلك ، فقال لهم المأمون شأنكم وذلك متى أردتم .

فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على القاضي يحيى ووعدوه بأشياءِ كثيرة متى قطعه وأخجله ، ثمّ عادوا إلى المأمون وسألوه أنْ يعيّن لهم يوماً يجتمعون فيه بين يديه لُمساءلته ، فعيّن لهم يوماً ، فاجتمعوا في ذلك اليوم بين يدي المأمون ، وحضر العبّاسيون ، ومعهم القاضي يحيى بن أكثم ، وحضر خواصّ الدولة وأعيانها من أُمرائها وحُجّابها وقوّادها ، وأمَر المأمون بأنْ يَفْرُشَ لأبي جعفر محمّد الجواد فُرُشٌ حسن ، وأنْ يجعل عليه مصوّرتان ففعل ذلك ، وخرج أبو جعفر فجلس بين المصوّرتين ، وجلس القاضي يحيى مقابله وجلس الناس في مراتبهم على قدر طبقاتهم ومنازلهم ، فأقبل يحيى بن أكثم على أبي جعفر فسأله عن مسائل أعدّها له ، فأجاب بأحسن جواب ، وأبان فيها عن وجه الصّواب ، لسانٌ ذَلِقٌ ، ووجهٌ طَلِقٌ ، وقلب جسور ومنطق ليس

بِعَيٍّ ولا حَصورٍ ، فعجب القوم من فصاحة لسانه وحسن اتساق منطقه ونظامه ، فقال له المأمون : أجدت يا أبا جعفر[1].

ودخلها عليه السلام مَرَّةً أخرى عندما آلتْ الخلافة للمعتصم ، فكان كسلفه العباسيين على خوفه من إمامة أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم ، فاستدعى الإمام الجواد عليه السلام من المدينة المنورة إلى بغداد عام ٢١٩ هـ خوفاً مِنْ تألُّقِ نَجْمِهِ واتّساع تأثيره ، وليكونَ على مَقْرَبةٍ من مركز السُّلطة والرّقابة ، ولعزله عن ممارسة دوره العلمي والسياسي والشعبي .

وفعلاً تَمّ استقدامُ الإمام الجواد عليه السلام من المدينة إلى بغداد ولم يبق في بغداد إلا مُدَّةً قصيرةً حتّى تُوفيّ سنة ٢٢٠ هـ يقول ابنُ شهر آشوب : لمّا بويع المعتصم جعل يتفقّدُ أحواله ، فكَتَب إلى عبدِ الملك الزيّات أنْ ينفذ إليه التقي ، وأمّ الفضل فأنفذ الزيّاتُ عليّ بن يقطين[2] إليه فتجَهَّزَ إلى بغداد فأكرمه وعَظَّمَهُ وانفذ أشناس ـ وهو خادم المعتصم ـ بالتُّحَفِ إليه وإلى أم الفضل[3].

---

(١) الفصول المهمة في أحوال الأئمة ابن الصباغ المالكي / ٢٦٨ ، الارشاد المفيد / ٣٢٠ ، تاريخ بغداد الخطيب البغدادي / باب ذكر من اسمه محمد واسم ابيه علي رقم ٩٧٧ .

(٢) قد ذكرنا في كتابنا تاريخ وزراء الشيعة الجزء الثاني عند ترجمتنا للوزير علي بن يقطين ، ان هذا الوزير توفي بعد وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سنة ١٨٣ هـ بسبعة ايام تقريباً ولم يعاصر المعتصم لعله وقع اشتباه لابن شهر اشوب .

(٣) مناقب ابن شهر اشوب / ٤ / ٤٩٦ .

ويروي بعض المؤرخين أنَّ المعتصم اقترفَ جناية قتل الإمام الجواد عليه السلام عن طريق دسِّهِ السمّ إليه ، وفي ذلك يقول ابن بابويه : سَمّ المعتصمْ محمد بن علي[1].

تحقيق في مسألة ولادته : هذه الصورة الموجزة التي تذكر لنا دخول الإمام الجواد عليه السلام بغداد تضعنا أمام ثلاث احتمالات لتحديد التحاق عثمان بن سعيد العمري في خدمته للإمام بهذا العمر الصغير ، فالاحتمالات هي :

الأول : أن يكون ألتحاقه بخدمة الإمام عليه السلام عند دخوله بغداد الأول أي سنة ٢١١ هـ والثابت في كتب التاريخ والسير أنّ الإمام عليه السلام لم يبق ببغداد أكثر من سنة واحدة[2] ، وعلى ذلك أمكَنَ لنا تصوُّرُ ولادته كانت سنة ٢٠٠ هـ أو قبلها ، أو بعدها بقليل ـ بناءً على ما ذكره ابن شهر اشوب من أنّه التحق بخدمة الإمام الجواد عليه السلام وعمره إحدى عشر سنة ـ فيكونُ عمره حينئذٍ خمس وستون سنة ، لأنّه توفي سنة ٢٦٥ أو ٢٦٦ هـ فتكون فترة خدمته للإمام الجواد عليه السلام تسع سنوات لأنّ الإمام الجواد عليه السلام توفي سنة ٢٢٠ هـ أو أربعة عشر سنة بناءً على الرواية التي تقول أن الإمام عليه السلام توفي سنة ٢٢٥ هـ على ما يذكره الشيخ المفيد رحمه الله.

الثاني : أنْ يكون التحاقه بخدمة الإمام عند دخوله عليه السلام بغداد للمرّة الثانية ، أي عام ٢١٩ هـ وعلى ذلك تقلّ مدّة خدمته للإمام الجواد ، وعمره

---

(١) مناقب / ٤ / ٤٩٦ ، بحار الأنوار / ٥٠

(٢) موسوعة العتبات المقدسة جعفر الخليلي / قسم الكاظمية / ١ / ٢٣٢

يكون ستّ وخمسون سنة ، أمّا مدة سفارته فهي خمس أو ست سنوات ممّا تقرب دلك النصوص التاريخية .

الثالث : أنْ يكون التحاقه بخدمة الإمام عليه السلام ليس ببغداد وإنّما تكونُ في المدينه المنوّرة بعد رجوعه عليه السلام الأوّل إليها أي من السنة الواقعة بين ٢١٣ هـ وبين سنة ٢١٨ هـ على اعتبار أنّ الإمام عليه السلام لم يبق ببغداد أكثر من سنة واحدة كما تقدّم ذلك ، حين استدعائه من قبل السلطات آنذاك ، وعلى هذا الاحتمال الأخير يصعُبُ علينا تحديد خدمته وعمره .

وعلى كلّ هذه الاحتمالات يكونُ عمره قد كَمُلَ وتهيأ للمهمّة التي سوف تُلَقى على عاتقه ، وكذلك يحتمل جداً أنه قضى بقيّة حياته بعد وفاة الإمام الجواد عليه السلام مع ابنه الإمام الهادي عليه السلام ويحتمل أيضاً أنه صاحب الإمام الهادي عليه السلام عندما استدعاه المتوكّل العبّاسي إلى سامراء وذلك في سنة ٢٣٨ هـ وبقيّ فيها واستقرّ مع الإمام هناك ، وبدء نشاطه يبرز ويرد اسمه أوّل ما يرد كوكيل خاصّ للإمام الهادي عليه السلام وكان يستوثقه ويمدحه بمثل قوله : ((هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ما قاله لكم فعنّي يقوله ، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤديه وسأله بعض أصحابه : لمن أعامل وعمّن آخذ وقول مَنْ أقبل ؟ فقال عليه السلام : العمري ثقتي ، فما أدّى إليك فعني يؤدي وما قال لك فعني يقول ، فاسمع له وأطع ، فإنه الثقة المأمون))[1].

وهذا النّص بنفسه يدلّ على نوع النشاط الذي كان يقومُ به أبو عمرو وهو نقل المال والمقال من الإمام الهادي عليه السلام وإليه ، فكان يمثّل مع جماعة

(١) الغيبة الشيخ الطوسي/٢٣٩ .

آخرين دور الوساطة بينه وبين قواعده الشعبية في الفترة التي كان الإمام عليه السلام بدأ بتطبيق مسلك الاحتجاب عن مواليه تعويداً لهم على الغيبة التي سوف يواجهونها في حفيده المهدي عليه السلام.

وحين يلقى الإمام الهادي عليه السلام ربه سنة ٢٥٤ هـ يصبح أبو عمرو وكيلاً خاصاً موثوقاً للإمام الحسن العسكري عليه السلام ذا نشاطٍ ملحوظ وبراعة في العمل، فقد سمعنا كيف كان يحملُ المالَ في زِقاق السَّمن ويسيرُ على المسلك الذي يخطّه له الإمام في الإخفاء والتكتُّم، ويظهر أمام الناس كتاجرٍ اعتادى بالسَّمن تغطيةً على حاله ومسلكه وعقدته.

وكان الإمام العسكري عليه السلام يكثر من مدحه والثناء عليه في مناسبات مختلفة وأمامَ أُناسٍ كثيرين. فمن ذلك أنه عليه السلام قال: ((هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي، وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه ...)) وقال أمامَ وفد من اليمن: ((امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله))[1].

حتّى اشتهر حاله وجلالة شأنه بين عامة الموالي، قال أبو العباس الحميري: فكنّا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ـ يعني مدح الإمام العسكري عليه السلام له ـ ونتواصف جلالة محلِّ أبي عمرو... وقال وَفْدُ اليمن حينَ سمع من الإمام مدحه: ((يا سيدنا إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى))[2]. فلم تزل الشيعة مقيمة

---

(١) الغيبة الشيخ الطوسي/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٢) الغيبة الشيخ الطوسي/ ٢٣٨.

على عدالته وتسالم على وثاقته وجلالة قدره . وحينَ يُولَدُ للإمام العسكريّ ولده المهدي يَبْعَث إلى أبي عمرو يأمره بأنْ يشتري عشرة الاف رطل خبز وعشرة الاف رطل لحم ويفرّقه على بني هاشم وأنْ يعقّ بكذا وكذا شاة[1].

وينصّ الإمام العسكري عليه السلام في مجلس حافل بالخاصّة يعدون بأربعين رجلاً عَرضَ فيه ولده المهدي ، ونصَّ فيه على إمامته وغيبته... ينصّ على وكالة عثمان بن سعيد عن المهدي عليه السلام وسفارته له قائلاً : ((فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره ، وأقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر اليه))[2].

وحين يلقى الإمام العسكري ربّه سنة ٢٦٠ هـ يحضر أبو عمرو عثمان بن سعيد تغسيله ، ويتولّى جميع أمره في تكفينه وتحنيطه وإقباره . ويَبرِّر الشيخ الطوسي رحمه الله ذلك بأنّه كان مأموراً بذلك للظّاهر من الحال التي لا يمكن جحْدُها ولا دفعها إلاّ بدفع حقائق الأشياء في ظواهرها[3]، يشير إلى اختفاء المهدي عليه السلام وعدم تمكنه من القيام بتغسيل والده والقيام بأمره عليه السلام ولكننا قد ذكرنا في البحث السّابق من مهامّ الحجّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه ، كيف أنّ الإمام المهدي عليه السلام أقام الصّلاة على أبيه بنفسه ودفع عن ذلك عمّه جعفر أمام جماعةِ من النّاس ، منهم عثمان بن سعيد السَمَّان نفسه ومن ثم تمكن القولُ بأنه يمكن للإمام المهدي عليه السلام أنْ يغسّل أباه في داره سراً

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق / ٢١٦ .

قبل أنْ ينقل جثمانه أمامَ الجمهور ، وظاهرُ عبارة الشيخ الطوسي قيامه بالتغسيل بحضور أبي عمرو ، ثمّ قيام أبي عمر بنفسه بباقي شؤونه من تكفين وتحنيط وإقبار واللهُ العالم بحقائق الأمور .

وعلى أيّ حالٍ فهو يُصْبحُ من ذلك الحين السّفيرِ الأوّلُ للمهدي بنصّ الإمام العسكري عليه السلام ونص الإمامَ المهدي عليه السلام أمام وفد القمّيين ، فيضطلع بالمهمّة العظمى في ربط الإمام بقواعده الشعبية وتبليغ توجيهاته وتعاليمه وأنحاء تدبيره وإدارته إليهم وإيصالِ أسئلتهم ومشاكلهم وأموالهم إليه وتنفيذ أوامر الإمام وتوجيهاته فيهم .

ويبقى أبو عمرو مُضْطَلِعاً بمهامّ السّفارة وقائماً بها خيّر قيام إلى أنّ يوافيه الأجلُ ، فيقومُ ابنُهُ أبو جعفر محمّد بن عثمان بتغسيله وتجهيزه ويدفن كما قال أبو نصر هبةُ اللهِ بن محمد في الجانب الغربيّ من بغداد في شارع الميدان في أول الموضع المعروف بدرب جبلة في مسجد الدّرب ، يمنة الداخل إليه والقبر في نفس قبلة المسجد .

قال الشيخ الطوسي رأيتُ قبره في الموضع الذي ذكره ، وكان بني في وجهه حائط به محراب المسجد ، وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيّق مظلم ، فكنّا ندخل إليه ونزوره ، قال : وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد وهي سنة ثمان واربعمائة إلى سنة نيّفٍ وثلاثين وأربعمائة ثمّ نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وابرز القبر إلى برّا ـ أي إلى الخارج ـ وعمل عليه صندوقاً وهو تحت سقفٍ يدخل إليه من أراده ويزوره .

ويتبرك جيران المحلّة بزيارته ويقولون: هو رجلٌ صالح وربّما قالوا هو ابنُ داية الحسين ﷺ ولا يعرفون حقيقةَ الحال فيه وهو إلى يومنا هذا ـ وذلك سنة سبع وأربعين واربعمائة ـ على ما هو عليه[1].

وقبره في أيامنا هذه وهي سنة الف واربعمائة وخمس وثلاثين مُشيّدٌ معروف ببغداد يزار ويتبرّك به وقد أحدثت عليه بعض التغيّرات والإصلاحات والترميم ووسّع ضريحه المبارك.

ونستطيعُ أنْ نعرف من جهالة الناس لحقيقةِ قبره في زمان الشيخ الطوسي مقدار الغموض والكتمان الذي كان يحيطُ السِّفَارة المهدوية في حياه السفير وبعد مماته، بل بعد ما يزيد على مائتي سنة على دفنه.

ولم يَفُتْ أبو عمرو قبل وفاته أنْ يبلّغ أصحابه وقواعده الشعبية ما هو مأمورٌ به من قبل المهدي عليه السلام من إيكال السّفارة بعده إلى ابنه محمّد بن عثمان وجعل الأمر كلّه مردوداً إليه.

ويكون لوفاته رَنّة أسى في قلوب عار في فضله ومقدّري منزلته وخاصّةً الإمام المهدي عليه السلام نفسه، فنراه يكتب إلى ابنه السّفير الثاني يُعزّيه بأبيه قائلاً: إنّا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه، عاشَ أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم ساعياً في ما يقرّبه إلى الله عز وجل وإليهم، نَضّرَ الله وجهه وأقال عثرته.

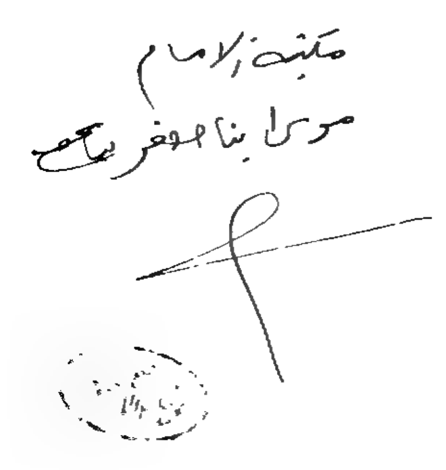
---

(١) الغيبة ٢١٧ ـ ٢٢١

وفي فصل آخر من كتابه إليه يقول عليه السلام : ((أجزل اللهُ لكَ الثواب وأحَسنَ لك العزاء ، رُزيتَ ورُزينا وأوحَشَك فراقُهُ وأوحشنا ، فسَرَّهُ اللهُ في منقلبه ، كان من كمال سعادته أنْ رزقه الله تعالى ولداً مثلك يخْلُفُه من بعده ويقوم مقامه بأمره ، ويترَحَّم عليه فيك وعندك ، أعانك الله وقوَّاك وعضدك ووفّقك وكان لك وليّاً وحافظاً وراعياً وكافياً))[1].

وفي هذين النَّصين من المعاني الإسلامية السّامية ، في أُسلوب الترحُّم على المؤمن والدُّعاءِ له والثَّناءِ عليه ، ما فيه بَصيرةٌ لمن ألقى السَّمْعَ وهو شهيد[2].

أمّا أولاده : فله محمد وهو السفير الثاني وسوف نذكر نفاصيل حياته إن شاء الله تعالى ، وأحمد وهذا له ولد أدّعى السفارة زوراً كذباً في حياة عمه وسوف تقف على تفاصيل ذلك .



(١) الغيبة / ٢٢٠ .

(٢) موسوعة الإمام المهدي السيد محمد صادق الصدر ١/٣٩٧.

خلفاء و أحداث عصره

بناءً على ما ذكرناه بأنّ السفير الأول كانت بداياتُ حياته في زمن الإمام الجواد عليه السلام يكونْ قد عاصرَ أربعةً من الأئمّة المعصومين ، وهم الإمام الجواد ، والإمام الهادي ، والإمام العسكري ، والإمام المهديّ صلوات الله وسلامه عليهم وعلى آبائهم اجمعين .

وأمّا الخلفاء الذين عاصرهم عثمان بن سعيد رضي الله عنه فقد عاصر تسعةً منهم : نصفٌ من حكم المأمون على أعتبار أنّا قد أوردنا علّة احتمالاتٍ من التحاقه بالإمام الجواد عليه السلام والمعلوم تاريخياً أن المأمون مات سنة ٢١٨ هـ وقد حدّدْنا ولادة عثمان بن سعيد رضي الله عنه أقلّ من هذه الفترة ، وعاصرَ المعتصم والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين ، والمعتزّ بالله ، والمهتدي أما المعتمد على الله فقد أدرك من خلافته تسع سنوات التيّ دامت اثنين وعشرين سنة تقريباً حتّى وافاه الأجل رضي الله عنه.

وقد ذكرنا سابقاً إنه في هذه الفترة الزمنية حدثت بعضُ التقلّبات السياسية والتغيرات الاجتماعية ، والثورات العلوية وغيرها التي كانت أهدافُها مشتركة وموحّدة ضدّ الحكم العبّاسي مثل خروج محمد بن جعفر الصادق عليه السلام بمكة وبويع بالخلافة وسمّوه أمير المؤمنين وكان بعضُ أهلِهِ قد حسّن حين رأى كثرة الاختلاف ببغداد وما بها من الفتن وخروج الخوارج ، وكان محمد بن جعفر شيخاً من شيوخ آل أبي طالب يُقرَأُ عليه العلم ، وقد

روى عن أبيه عليه السلام علماً جمّاً فمكث بمكّة مدّة ، وبعدها آلَ أمرُهُ إلى فشل حركته والظفر به وخرج أبو السّرايا وقويّت شوكته ودعا إلى بعض أهل البيت فقاتله الحسن بن سهل فكانت الغلَبَة للجيش المأمونّي وقُتل أبو السرايا[1].

وكانت الحروب في أطراف الدولة الإسلامية بين الطامعين والمترأسين قائمة على قدم وساق بنحوٍ خارجٍ عن اختيار العاصمة وأمرها على الأغلب ويكونُ هذه الحروب هي الحكم الفصل في إبراز أميرٍ وفشل أمير ، يكفيك ما كان يقوم به يعقوب بن اللّيث الصّفار في بلاد فارس والأهواز إلى أنْ مات سنة ٢٦٥ هـ فالت قيادة الحروب إلى أخيه عمرو[2]. فهذه هي الخطوط العامة الرئيسية لعصر عثمان بن سعيد رضي الله عنه .

ثمّ يمكن لنا أنْ نقسم هذه الأحداث إلى قسمين رئيسين :

الأول : ما كان منها قبل وقوع الغيبة الصّغرى ، وهذه الفترة كان الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام موجودين فالتّصدي للأمور العامّة والظروف المتقلّبة التي كانت تضرب البلدان انذاك ، كان الإمامان عليهما السلام يتصديان لها أمّا نشاط السّفيرِ الأوّل في هذه الفترة بالخصّوص يمكِنُ حصْرُ نشاطه في أمور :

---

(١) الفخري في الاداب السلطانية والدول الإسلامية لمحمد بن علي بن طباطبا المشهور بابن الطقطقي ٢١٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير / ٦ / ٢١

أ ترسيخ فكرة الوكالة الخاصّة عن الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام حتّى يكون محلّ ثقة عالية جّداً عند اتباع الإمام وقواعده، ويدَوْرِهِ إيصال تعاليم الإمام وأجوبَتِهِ إلى مَوَاليه، وكذا قبض الأموال التي كانت يؤتى بها من المدن البعيدة مثل قم وخراسان وغيرها، وهذه المهمة تحتاج إلى تَصريحٍ من قبل الإمام الهادي عليه السلام لذا نجد الإمامُ ينص على وكالته أمامَ الوفود وبدورها أنْ تبلّغه إلى الجماهير الموالين في المدن الأخرى، وهو عليه السلام يعطيهم أصل فكرة الوكالة وضرورة الرّجوع إلى الوكيل وعدم لزوم البحث عن الإمام في بَعْضِ الظّروف الخاصة.

ب-اتّخاذ عمَلاً معيّناً كالسّمانة والتّجارة، وغيرها من المهن التي بإمكانه أنْ يستتر وراءها حتّى لا يلفت أنظار السُّلطة إليه، وتكون حركته واسعة النطاق والتنقل بحرية تامة.

ج درْءُ الخطر عن الوفودِ القادِمَة من المدن البعيدة، في حالِ مُضايفه الإمام وفرض الإقامة الجبرية عليه عليه السلام وهذه تحتاجُ للجهودِ الواسِعَةِ التي كان يبذلها عثمان بن سعيد رضي الله عنه.

الثاني: ما كان في فترة الغيبة الصغرى وإنْ كانت فترة قصيرة وهي خمس سنوات إلاّ أنّه كان يبذل جهوداً جبارة، وبالخصوص فترة الحيرة لكثير من الموالين للإمام بعد موت الإمام العسكري عليه السلام كما مَرّ علينا ذلك فإن هذه الفترة تتطلب مجهوداً شاقاً ونشاطاً واسعاً، ويمكن لنا أنْ نحصُر نشاطه في هذه الفترة بالأمور التالية:

أ-إثبات وجود الإمام المهدي عليه السلام المفترض الطاعة للقواعد الشعبية الموالية، والتأكيد على الوفد الذي يتكون من أربعين رجلاً الذي نصّ الإمام العسكري على وجود ولده المبارك عليه السلام[1]، فهو عن طريق هؤلاء من أعيان قواعد الإمام يثبت دعواه، ويجعلهم شاهداً ودليلاً على ما يقوله ويأمُرُ الموالي بالرُّجوعِ إليهم عن طريقِ تَنْصيب أَحَدِهِم باباً أو وكيلاً على ما سوْف نذكرُ الأبواب والوكلاء الذين كانوا باباَ للسّفيرِ الأول، والواسطة بَيْنَهُ وبين قواعد الإمام عليه السلام.

ب-تهيئَةُ القواعد والموالي لنقل المهامّ من سامراء إلى بغداد وتحديد لهم أماكن خاصّة أو عامّة للّقاء بهم وإيصال تعاليم الإمام عليه السلام وقبض ما كان يحملون من حقوق، وأيضاً إيصال الأجوبة لهم.

ت-محاربة ظاهرة جديدة ظهرت في أوساط أتباع الإمام عليه السلام وقواعده وهي دعوى السفارة أو الوكالة الخاصّة من قبل الإمام المهدي عليه السلام وقد حاول عثمان بن سعيد رضي الله عنه أنْ يفضحهم والتشهير بهم والبراءة منهم عن طريق المناظرة تارةً، أوعن طريق التوقيعات التي تَصْدُرُ من الحجّة بن الحسن عليه السلام تارة أخرى.

ث-عَدَمُ التعرّض بالمدح أو الجرح للحركات المناهضة للسلطة آنذاك أو الانقلابات العسكرية التي كانت تتدخل بعزل أو إثبات الخلفاء من قبل الموالِي الأتراك، بحيثُ أصبحت هذه سمة ظاهرة في البلاط العباسي.

(١) الغيبة الشيخ الطوسي/ ٢٣٨.

ج- الحفاظ على سرّية وكتمان عمله ، بحيث يكون غير معروف عند العامة ويتحرك بدائرة محدودة ومعروفة عند موالي وأتباع الإمام المهدي .

مهامّه ومواقفه

أمّا مَهَامّ السّفراء التي كانت تُناط بهم فهي تختَلِفُ بحسب الزمان والمكان وبحسب ما يأمرُ به السّفير عادةً من قبل الإمام المهدي عليه السلام أو من قبل القواعد الشعبية ، فما ذكرنا سابقاً كان نشاطاً ودوراً لعمله الذي اقتضى أنْ يكون بهذه الكيفية ، أمّا هُنا نحاولُ أنْ نوضّحَ بَعضَ معالم مَهامّه ومواقفه ونعني بمواقِفِهِ اتّجاه الطرف الثاني من المخالفين الذين لم يكونوا يعتقدون بإمامةِ أهلِ البيت عليهم السلام فإن النّقول التاريخية لا تَذْكُرُ أنَّ السّفير الأول قام بمناظراتِ عقائديّةٍ بَينهُ وبينَ المخالفينَ وتطلب منه الأمر أنْ يعمل بالتقية كما هو الحالُ عن السّفير الثالث حُسين بن روح رضي الله عنه فإن هذه السّمة كانت بارزةً في حياته على ما سوف تَقِفُ عليه .

ولَعَلَّ السبب في ذلك يعود لثلاث أسباب :

١ أنّ فترةَ سفارَتِهِ لا تَسمَحُ له بذلك ، فهو مشغولٌ بأمورٍ أهمّ من هكذا مناظرات ، وعمله الأساس كان يدورُ حول محورين أساسيين ، هما إثبات وجود شخص الإمام المهدي عليه السلام ولَمّ شَملِ أتباع الإمام العسكريّ بعد وفاته عليه السلام فإنّهم أصبحوا ايادي سبا كما مرّ علينا ، والثاني التركيزُ على فكرة الوكالة الخاصة وقبولها عند الأتباع والموالين للإمام عليه السلام .

٢ يحتمل أنه قام بهكذا مناظرات وتناقلتها الخاصّة في ذاك العصر إلا أنَّ المؤرخين وأصحاب المجاميع من أصحابنا أهملوا التعرّض إليها لا لشيء

إلاّ لأنّهم يقتصرون في النقل على موارد فضائل أهل البيت الأئمة ومعاجزهم عليهم السلام.

٣-يحتمل أنْ تكونَ هكذا مناظراتٍ قام بها السّفير الأول مرويّة في بعض المجاميع التاريخية ولكنّها تلفت في عشراتِ الالاف من الكتب التي تلفت في حملات أعداء الإسلام على البلاد الإسلامية، كالمغول والصليبيين وغيرهم

أمّا مهامّهُ في فترةِ سفارته فيمكن لنا أنْ نتصوّرها بغرضين:

الغرض الأول: تهيئةُ الأذهان لغيبة الإمام عليه السلام وتعويد الناس تدريجياً على الاحتجاب وعدمِ مفاجأتهم بذلك، فإنّه ينتجُ نتيجةً سيئّةً لا محالة إذ قد تؤدي إلى الإنكارِ المطلقَ لوجود المهديّ عليه السلام وأنَّ الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام بدءا الاحتجاب عن الناس تدريجياً، وضاعفه الإمام العسكري عليه السلام فكانت فترة السفارة أيضاً إحدى الفترات المرحلية لتهيئة الأذهان لهذا التدرج.

ومن المعلوم أنّ هذا الغرض من السفارة يتحقّق بنفس فكرة السفارة ووجود السفيرِ في المجتمع ولو بأقلّ ما يقوم به من عملٍ فضلاً عن اضطلاعه بالمسؤولية بالنّحو المطلوب.

الغرض الثاني: القيامُ بمصالح المجتمع وخاصّة القواعد الموالية للأئمة عليهم السلام تلك المصالح التي تفوتُ بطبيعة الحال بانعزال الإمام واختفائه عن مسْرحِ الحياة شأنَ أيّ مَصْلَحةِ للمجموعِ تفوتُ بفواتِ القائد والموجّه.

ومن ثمَّ جعلت السفارة لكي يقود الإمام المهديّ برأيه إن فاتت قيادته بشخصه، ويكونُ التطبيق بين السّفراء في حدود الإمكان وبحسبِ المصالح والتصرّفات التي يراها ويخططها المهدي عليه السلام.

وهذا الغرض قد قامَ به كُلٌّ واحدٍ من السُّفراءِ خيرُ قيام، حيث اضطلَعَ بحفظ مصالح المجتمع، في حُدودِ الجوّ المكَهْرَبِ والمراقبة الشّديدة والتحفّظ، وهذا الجوّ مما لا ينتج أكثر من ذلك[1].

(١) موسوعة الإمام المهدي /٧/ ٤٢٦.

أحاديثه والروايات التي نقلت عنه

أمَّا الاحاديثُ التي نُقلت لنا من قبل أصحاب الجاميع والنقول التاريخية فهي لا تتعدى عن كونها أحاديث عن بعض المعجزات والكرامات التي كان يخبر بها الأئمة عليهم السلام الذين عاصرهم السفير الأول ، أو كونها إخبار من الائمة عليهم السلام عن بعض الحوادث فهي خاليةٌ عن اللَّمسة الفقهية أو الكلامية بخلافِ ما هو موجودٌ وملموسٌ من الاحاديث المنقولة عن باقي السّفراء الثلاثة وبالخصوص السفير الثاني .

وقبل أنْ ننقل بَعض تلك الاحاديث للتبرّك بها ، علينا أنْ نَذكُرَ بعض الأسباب التي أدَّتْ إلى تحجيم وتحديدِ هذه الأحاديث بهذه الصّورة التي ذكرناها ، ولعل الأسباب تعود إلى :

١-الأسئلة التي كانت تعرض على السفير الأول من قبل الموالين وأتباع الأئمة عليهم السلام فإنها كانت تَحمِل سِمَةً واحدةً وصورةً محددةً من الأسئلة لا تتعدَّى عن كونها تدور في محورٍ وموضوع واحد .

٢-قصرُ مدّة سّفارة عثمان بن سعيد رضي الله عنه فإنّه لم يكن معروفاً ومشهورا عند اتباع الإمام عليه السلام في بدءِ أمره كما مَرَّ علينا ذلك ، وإنما أصبح معروفاً ومشهوراً لدى القواعد الشعبية في وقت متأخر .

٣-إضمارٌ وعدم إفصاح بعض التوقيعات التي خَرَجَتْ من قبل الإمامين العسكريين وبالخُصوص الحُجَّة بن الحسن صلوات الله وسلامه

عليهم ، فإنّها قلّما تبيّن شكل السؤال ونوعه ، بل لم تذكر اسم السّائل واسم السفير الذي خرج التوقيع بواسطته ، وهذه من الأمور الاحترازية التي كانت تحافظ على كتمان وسرّ عَمَل السّفير وتُحافظُ أيضاً على رمُوز القواعد الشعبية وأتباع الأئمة عليهم السلام .

٤- كانت هكذا أحاديثُ موجودةً بكثرة في عصر السّفير الأول وبعد عصره ويتناقلها الموالي والأصحاب ، ولكنّها تلفت في عشرات الآلاف من الكتب التي تلفت في حملات أعداء الإسلام على البلاد الإسلامية كالمغول والصّليبيين وغيرهم ، حالها حال المناظرات التي تلفت كما احتملنا هناك .

٥- لعلّ عدم بحثه للأحاديث قصداً ، لأنّه مخالف لعمله الذي يتطلب منه السّر والكتمان التام ، فإذا روى أحاديثاً بهذه الكثرة المطلوبة ، فإن آثارها سوفَ تظهر لا محالة ولو بالوسائط ، ويكونُ أمرهُ قد انتشر ولفت أنظار السلطة إليه مما يوجب تسلّيط الخطر عليه ، ومن ثم على خط فكرة الغيبة والتمهيد لها وبالتالي تنتهي إلى خطَ المهدي عليه السلام كله .

وعلى أيّ حالٍ فمّما وصل إلينا من أحاديثه أو الأحاديث التي صدَرَتْ من الأئمة عليهم السلام في حقّه لها الأثرُ البالغُ على العَقيدَة الشيّعية بكونِهمْ سُفراء ومَحَلَّ ثقةٍ عالِيَةٍ جداً وهُمْ في نفس الوقت لهم مَحَلُّ الاحترام والتمّجيد والاعتزاز والفخر بهم ، فلا نجد في باقي الطّوائف الإسلامية وغير الإسلامية مثل هكذا رموزٌ حملوا فكرة المنقذ بكلّ أمانة ، وبكلّ ثقة عالية وبذلوا جهوداً رائدة وجبارة تحمل للشيعة وللإنسانية جمعاء أمل المخلّص والمنقذ للشعوب من الظلم والاضطهاد والحرمان .

نعم هو الحجّةُ بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه وعلى ابائه الكرام البررة ، ذلك الأمل الذي عبّر عنه نبيّ الرحمة يكون مستتراً خلف الغيوم ، ولكنّه يصل بريقُ أمله ويشقّ طريقه ويصلُ إلى قلوب المظلومين والمضطهدين والمحرومين ، فتتعلّق الآمل وتمتدُّ الأشواقُ وتنفتح الأبصار لطريق مقدمه المبارك .

((اللّهمّ ارني الطّلعةَ الرّشيدةَ ، والغرّةَ الحميدةَ ، واكحُلْ ناظِري بنظْرة منّي اليه ، وَعَجّلْ فرَجَهُ وَسَهّلْ مَخرَجَهُ ، وَاوْسعْ مَنْهَجَهُ وَسْلُكْ بي مَحَجّتَهُ وَانْفذْ امْرَهُ وَشْدُدْ ازْرَهُ ، وَاعْمُرِ اللّهمّ بهِ بِلادَكَ ، فَانّكَ قُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[1] فَظْهِرِ اللّهمّ لنا وَلِيّكَ وَابْنَ بِنْتِ نَبِيّكَ الْمُسَمّى بِاسْمِ رَسُولِكَ حَتّى لا يَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْباطِلِ إلاّ مَزّقَهُ ، وَيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُحَقّقَهُ وَاجْعَلْهُ اللّهمّ مَفْزَعاً لِمظْلُومِ عِبادِكَ ، وَناصِراً لِمَنْ لا يَجِدُ لَهُ ناصِراً غَيْرَكَ وَمُجَدّداً لِما عُطّلَ مِنْ احْكامِ كِتابِكَ ، وَمُشَيّداً لِما وَرَدَ مِنْ اعْلامِ دينِكَ وَسُنَنِ نَبِيّكَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاجْعَلْهُ اللّهمّ مِمّنْ حَصّنْتَهُ مِن بَأْسِ الْمُعْتَدينَ ، اللّهمّ وَسُرّ نَبِيّكَ مُحَمّداً صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ تَبِعَهُ عَلى دَعْوَتِهِ ، وَارْحَمِ اسْتِكانَتَنا بَعْدَهُ ، اللّهمّ اكْشِفْ هذهِ الْغُمّةَ عَنْ هذهِ الأُمّةِ بِحُضُورِهِ وَعَجّلْ لَنا ظُهُورَهَ ، اِنّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعيداً وَنَراهُ قَريباً ، بِرَحْمَتِكَ يا ارْحَمَ الرّاحِمينَ))[2] .

---

(١) سورة الروم الايه / ٤١ .

(٢) قطعة من دعاء العهد مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي / ٦١٨ .

نعود لما بدئنا به البحث من ذكر أحاديث السفير الأول ، فننقل بعض ما وصل إلينا من كتب التاريخ والحديث والسير للفائدة واتماماً للبحث ، فنقول : ذكر الشيخ الطوسي في الغيبة قول الإمام علي الهادي عليه السلام : ((هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعنّي يقوله وما أدّاه إليكم فعنّي يؤديه)). وسأله بعض أصحابه : لمن أعامل وعَمَّن اخذ ، وقول من أقبل ؟ فقال عليه السلام : العَمْريُ ثقتي ، فما أدّى إليك فعنيّ يؤدّي ، وما قال لك فعنيّ يقول ، فاسمع له وأطع ، فإنّه الثقة المأمون)) .

وكذلك جاءَ هذا العَهْدُ عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حقّهِ بعد مُضيٍّ أبيه : ((هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ثقةُ الماضي ، وثقتي في المحيا والممات فما قاله لكم فعنيّ يقوله ، وما أداه إليكم فعني يؤديه))[1].

واخرج المجلسي رحمه الله في بحاره بعد نقل سلسلة الحديث عن جعفر الحميري قال : ((اجتمعتُ أنا والشيخ أبو عمرو عند أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمّي فغمزني أحمد بن إسحاق أنْ اسأله عن الخَلَف .

فقلت له : يا أبا عمرو إنّي أُريدُ أنْ اسألك وما أنا بشاكٍّ في ما أُريد أنْ أسألكَ عنه ، فإنّ اعتقادي وديني أن الأرض لا تخلو من حُجّة إلاّ إذا كان قبل القيامة بأربعينَ يوماً ، فإذا كان ذلك رفعت الحجة وغلّق بابُ التوبة فلم يكن ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن امنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، فأولئك أشرار من خلقَ الله عَزَّ وجلّ ، وهم الذين تقومُ عليهم القيامة ، ولكن أحببتُ أنْ أزدادَ يقيناً ، فإن إبراهيم سأل ربه أن يريه كيف يُحيي الموتى فقال

---

(١) الغيبة الشيخ الطوسي / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، بحار الأنوار العلامة المجلسي / ٥١ / ٣٤٤

أولم نؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي ، وقد أخبرني أحمد بن إسحاق أبو عليّ عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته فقلت له : ((مَنْ أُعامل ؟ وعَمَّن اخذ وقول مَنْ أقبل ؟ فقال له : العَمْريُّ ثقتي فما أدّى إليك فعنيّ يؤدّي وما قال لك فعني يقول . فاسمع له واطع فإنه الثقة المأمون)) .

قال : وأخبرني أبو علي أنَّه سأل أبا محمَّد الحسن بن علي عن مثل ذلك فقال له : العَمْريُّ وابنه ثقتان فما أدّيا إليك فعنيّ يؤدّيان وما قالا لك فعنيّ يقولان فاسمع لهما وأطِعْهُما فأنّهما الثقتان المأمونان)) .

فهذا قول إمامين قد مضيّا فيك قال : فخرَّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثمَّ قال : سَلْ ، فقلت له : أنتَ رأيت الخلَفَ من أبي محمد عليه السلام فقال : إيّ واللهِ ورقبته مثل ذاَ وأومأ بيديه ، فقلت له : فبقيت واحدة فقال لي : هاتِ ، قلت فالاسم قال : مُحَرَّمٌ عليكم أنْ تسألوا عن ذلك ، ولا أقول هذا من عندي وليس لي أن أُحلل وأُحرّم ولكن عنه عليه السلام فإن الأمر عند السُّلطان أنّ أبا محمد عليه السلام مضى ولم يُخَلِّف ولداً وقسّم ميراثه وأخذه من لا حَقَّ له ، وصبر على ذلك وهو ذا عياله يجولون وليس أحد يجسر أنْ يتعرّف إليهم أو ينيلهم شيئاً ، وإذا وقع الاسم وقع الطلب فاتّقوا الله وأمسكوا عن ذلك))[1] .

وورد أيضاً في هذا المعنى ـ أي تحريم ذكر اسم الإمام المهدي ـ توقيع الإمام المهدي عليه السلام إلى السّفير الثاني محمَّد بن عثمان العمري رضي الله عنه يقول فيه : ((ليخبر الذين يسألون عن الاسم إمّا السكوت والجنة ، وإمّا الكلام

(١) بحار الأنوار / ٥١ / ٣٤٨

والنار فإنّهم إنْ وقَفَوُا على الاسم أذاعوه ، وإنْ وقفوا على المكان دلّوا عليه))[١].

لا يمكن لنا أنْ نقولَ بأنّ هذا التحريم يتناول ما وراء الغيبة الكبرى فإنَّ كثيراً من الروايات قد صرحت باسمه المبارك ، بل حتىّ منها ذكرته بالحروف المقطعة مثل ((م ح م د)) والبعض منها ذكرت كنيته وهو أبو القاسم والبعض منها صرّحت تصريحاً واضحاً لا يقبل الشكّ بأنّ اسمه وكنيته اسمُ وكنية النبي الاعظم ﷺ[٢] فأن هكذا الروايات ـ أي الى لسانها التحريم ـ يمكن لنا أن نحملها على محملين :

الأول : أن هذا التحريم هو خاصٌ بفترة الغيبة الصُغرى وذلك حفاظاً على مكان الإمام عليه السلام وحفاظاً أيضاً على أتباعه ، كما تشير إليه نفس الرواية المذكورة .

الثاني : أنّ هكذا تحريم مرتبطٌ بظروف التقية وجوداً وغايةَ كما يستفاد ذلك من بعض الروايات التي نطقت بذلك صراحة[٣].

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر بحار الأنوار جزء ٥٣ المخصوص بتاريخ الحجة بن الحسن عليه السلام .

(٣) انظر كمال الدين وتمام النعمة / ٤٥٠ ـ ٤٥١

مدّعوا السفارة في عصره

ظهرت حركة جديدة أطلق عليها دعوى السّفارة ، وهؤلاء من أئمّة الضّلال المنصيّدين في الماء العكر . لتبتلي الطائفة الحقة بجملة من طالبي الزعامة باسم الدّين والرئاسة على العوام ، ممن غَرَّتْهُم الدنُيا وحُبّ الجاه والمقام ، ممن كانت لهم أهداف مشؤومة وغايات شيطانية أخرى ، كالتامر لبثّ الفرقة والخلاف والشقاق بين صُفوفِ أهل الحقّ ، كما هو المعتادُ من صِراع الحقّ والباطل . وخُصُومةِ أهلِ الباطل لأهلِ الحقّ للنّيل منهم ، ومِنْ مبادئهم الحقه .

وهي ظاهرة لادّعاء السفارة وحركة لتزوير النيابة الخاصّة فحاول البعض التلبس بهذا المنصب الشريف كذباً وزوراً ، وسعى تقمُّص هذا المقام الرفيع ، ومنافسة بدعواه الباطلة ومزاعمه الزائفة لأصحاب السفارة الحقة والمحقّين من سفراء مولانا بقية الله الأعظم عجّلَ الله تعالى فرجه .

وهو ليس غريباً ، إذ علمنا أنّه ما من حَقّ إلا وفي وجهه باطل يعاديه ويصدّ عنه ، ومن الملفت أنّ مثل هذه الدعاوى لم يكن لها أثر في عهد السفير الأول الشيخ عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه كما تحُدِّثُنا كتُبُ التاريخ والسيرة إلاّ شخصية واحدة ادّعت هذا المنصب في زمانِ السفير الأول ، ولم تَطُلْ أيّامُهُ وأصبح سُخرية وأضحوكة للناس وهو على ما يذكره الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة بقوله : ((أوّلهُمُ المعروف بالشّريعي ، أخبرنا جماعة عن أبي محمد

التلعكبري ، عن أبي عليّ محمّد بن همام قال : كان الشريعي يكنّى بأبي محمد قال هارون : وأظنّ اسمه كان الحسن ، وكان من أصحاب أبي الحسن عليّ بن محمد ثمّ الحسن بن علي بعده عليهما السلام.

وهو أوّل من ادّعى مقاماً لم يجعله الله فيه ولم يكن أهلاً له . وكذب على الله وعلى حججه عليهم السلام ونَسَبَ إليهم ما لا يَليقُ بهم ، وما هُمْ منه براء فلعنَتْهُ الشّيعة وتبرّأتْ منه ، وخَرَجَ توقيع الإمام عليه السلام بلعنه والبراءة منه .

قال هارون : ثم ظهر منه القول بالكفر والإلحاد ، قال : وكلّ هؤلاء المدّعين إنّما يكونُ كَذِبُهُمُ أوّلاً على الإمام وأنّهم وكلاؤه ، فيدّعون الضّعفة بهذا القول إلى موالاتهم ، ثم يترقّى الأمرُ بهم إلى قول الحلاّجيّةُ كما اشتهر من أبي جعفر الشلمغاني ونظرائه عليهم جميعاً لعائنُ الله تترى[1]

وإنّما ظهَرتْ بكثرة ، منذُ عهد ثاني السّفراء وضَعُفَتْ وتلاشَتْ في عهد السفير الرابع ، لعلّ ذلك يعود للأسباب التالية :

١-كونُ أصل موضوعِ السّفارة بهذه الكيفية الخاصّة في غياب المعصوم عليه السلام ظاهرة جديدة وفكرة مستحدثة لم يسبق لها مثيل وعدم اعتياد الناس عليه.

٢- قوة شخصية السفير الأول وارتباطه الوثيق بالإمامين الهادي العسكري عليهما السلام.

٣- معرفة الشيعة بمكانته الرفيعة عند الإمامين العسكريين عليهما السلام.

٤- قُرْبُ عهده بزمن الحضور .

(١) الغيبة / ٢٦٧

٥- قصر مدة سفارته .

٦- جدّيّه السلطه في البحث عن المهديّ ومطاردته ومطاردة كلّ مَنْ يمتُّ إليه بصلة .

٧- عدمُ وجودِ الإغراءات الدّنيوية في تلك الفترة حول السَّفارة كي يسيل لعاب الطامعين .

٨- حاجة مدّعي السفارة إلى قاعدة شعبية ينطلق منها واعدادها يفتقر إلى فترة من الزمان وملائمة الظروف .

فوجودُ تلك الموانع بالإضافة إلى عَدَم وجودِ ما يقتضي دعوى السفاره لعدم وضوح الرؤية ، وما يترَّتبُ عليه من منافع ومصالح حَالَتْ دونَ ظهور تلك المزاعم على عهدِ السّفيرِ الأول .

وكلاؤه وأبوابه

وممّا امتازت به هذه الفترةَ أعنّي : الغيبة الصغرىَ أيضاً وجود وكلاء تمّ تنصيبُهُم من قبل السُّفراء ﴿رضي الله عنهم﴾ الأربعة بأمرِ الإمام العسكري ﴿عليه السلام﴾ والبعض الآخر بأمرٍ من مولانا صاحب الزمان ﴿عليه السلام﴾ يقومون بالوعظ والإرشاد لعامّة الناس بالإضافة إلى استلامِ الحقوقِ الماليّةِ والمكاتبات لإرسالها إلى السفراء ﴿رضي الله عنهم﴾ وقد أوردَ اعلامُنا المؤرّخون والمحدّثون أسماء هؤلاء في كُتُبهم ونحنُ ننقلُها عنهم زيادةً للفائدة ، لأنّهم قاموا بأدوارٍ جيّدة ساهمَتْ في تسهيل مُهِمَّة السُّفراء ، وشكّلوا حَلَقَةَ وصَلٍ بين النّاس وبين السّفراء المتّصلين مباشرةً بالإمام ﴿عليه السلام﴾ ممّا ساعَدَ كثيراً في توعيةِ الشّيعة ، لاسيَّما في البلادِ والمناطقِ النّائية التي كان يَصْعبُ فيها الاتّصال بالسُّفراء ، كما ساعَدوا بدَوْرهِم في تخفيفِ الأعباء والمسؤوليّات التي كانت تُثْقِلُ كاهِلِ السُّفراء ممّهدين لهم سبيلَ التفرُّغ لما هو الأهمّ من القضايا والشّؤون التي كانت تُحيطُ بالأمة يومذاك .

ونحنُ نَذْكُرُهُم هنا بحسب ما هو مُدوَّن في كتب الأعلام غير مراعين ما هو مناسب زماناً بحسب ترتّب السفراء وإنّما نذكرهم مجتمعين للفائدة :

١-**حاجز بن يزيد الملقب بالوشا**(١): فقد روى الشيخ المفيد أعلى الله مقامه بإسناده عن الحسن بن عبد الحميد قال: شككتُ في أمر حاجز فجمعتُ شيئاً ثمّ صِرتُ إلى العسكر - يعني سامراء - فخرَجَ إليّ: ليس فينا شكٌّ ولا في من يقوم مقامنا بأمرنا، ترد ما معك إلى حاجز بن يزيد(٢).

وروى الكليني بسنده عن محمّد بن الحسن الكاتب المروزي أنّه قال: وجّهْتُ إلى حاجز الوشّا مائتي دينار وكتبتُ إلى الغريم بذلك، فخرج الوصل وذكر أنّه كان قِبلي ألف دينار، وإنّي وَجّهْتُ إليه مائتي دينار، وقال إنْ أردتَ أنْ تعامل أحداً فعليكَ بأبي الحسن الأسديّ بالرّي، فوَرَدَ الخبرُ بوفاة حاجز رضي الله عنه بعد يومين أو ثلاثة(٣).

٢ **أبو طاهر محمّد بنُ عليّ بن بلال البلالي**: عَدَّهُ ابنُ طاووس رحمه الله من السُّفراء - أي: الوكلاء - المعروفين في الغيبة الصُّغرى، وخَرَجَ فيه التّوقيعُ التالي: أنّه الثّقةُ المأمون العارف بما يجب عليه(٤).

وعَدّهُ الشّيخُ الصّدوق رحمه الله من الوكلاء في القائمة التي أوردها بأسمائهم(٥) لكنّ الشيخ الطوسيّ رحمه الله ذَكَرَهُ في المذمومين(٦) وروى فيه أحاديث تدل على انحرافه بعد ذلك وادعائه السفارة زوراً.

---

(١) انظر منتهى المقال للمامقاني / ١/ ٢٤١.

(٢) الارشاد / ٣٣٣.

(٣) الكافي للكليني، الغيبة / ٢٥٧

(٤) رجال الكشي / ٤٨٥.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة / ٤٤٢.

(٦) الغيبة / ٣٥٣

٣-العطار[١]: وهو اسمٌ مشترك بين كثيرين أهمُّهم : محمد بن يحيى العطار وابنه أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، ويحيى بن المثنى العطار والحسن بن زياد العطار ، وإبراهيم بن خالد العطار . وعليّ بن عبد الله أبو الحسن العطار ، وعليّ بن محمّد بن عمر العطار ، ومحمد بن عبد الحميد العطار ، ومحمد بن أحمد بن جعفر القمّي العطار ، وداود بن يزيد العطار وغيرهم .

٤-العاصمي[٢]: وهو مشترك أيضاً بين شخصين : عيسى بن جعفر بن عاصم ، وهو الذي دعا له الإمام الهادي[٣]، وأحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة وكنيته أبو عبد الله ، قال النجاشي : ((كان ثقة في الحديث ، سالماً خيّراً أصله كوفي سكن بغداد وروى عن الشيوخ الكوفيين ، له كتب منها : كتاب النجوم وكتاب مواليد الأئمة وأعمارهم))[٤] إلاّ أنّهما لم يشتهرا بالوكالة ولم يعرف معاصرتهما للغيبة الصُغرى ، ولَعَلَ الشيخ الصَّدوق ﵀ أراد شخصاً ثالثاً لم نعرفه ولم ير له ذكرٌ في كتب الرجال[٥].

٥- محمد بن إبراهيم مهزيار[٦]: روى الشيخُ في الغيبة بسنده إلى الكُليني ﵀ مرفوعاً إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار قال : شككتُ عند مضيّ

---

(١) كمال الدين /٨ـ ١٧ ـ ٣٣ وغيرها .

(٢) المصدر السابق / ٤٤٢

(٣)رجال الكشي / ٥٠٢ .

(٤) رجال النجاشي / ٧٣ .

(٥) خاتم الأوصياء الحلقة الثانية / ١٩٦ .

(٦) جامع الرواة أحمد بن محمد الأردبيلي / ١ / ٤٤

أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام وكان اجتمع عند أبي مالٌ جليل فحمله وركب السّفينة وخرَجْتُ معه مشيّعاً له ، فوعك وعكاً شديداً ، فقال : يا بُنيّ رُدّني فهو الموت واتق الله في هذا المال ، وأوصى إليّ ومات ، فقلتُ في نفسي لم يكن أبي ليوصي بشيء غير صحيح ، أحملُ هذا المال إلى العراق وأكتري داراً على شط ، ولا أُخبر أحداً فإن وضح لي شيء كوضوحه أيّام أبي محمد عليه السلام أنفذته وإلاّ تصدقت به .

فَقدِمْتُ العراق واكتريت داراً على الشطّ ، وبقَيتُ أياماً ، فإذا أنا برسول معه رقعة فيها : يا محمّد معك كذا وكذا في جوفِ كذا وكذا ، حتّى قصّ عليّ جميع ما معي ممّا لم أُحِطْ به علماً ، فسلّمْتُ المال إلى الرّسول وبقيتُ أيّاماً لا يرفع لي رأس فاغتممتُ ، فخرجَ إليّ : قد أقمناك مقامَ أبيكَ فاحمد الله[1] .

وأمّا ما نُسِب إليه في رواية الإرشاد أنّه قال : ((وإلا أنفقته في ملذاتي وشهواتي))[2] أو ما نسب إليه في رواية الطبرسي أنه قال : ((وإلا قصفت به))[3] فلا يتاسب شأنَ هذا الرّجل ، ولا يروق لمقامِهِ الشامخ ، فهو قطعا موضوعٌ مدسوس .

---

(١) الغيبة / ١٧١

(٢) الإرشاد . ٣٣٦

(٣) اعلام الورى الطبرسي / ٤١٨ .

٦-**أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري القمي**[١] : وكان وافدُ القميين روى عن الإمامين أبي جعفر الثاني الجواد وأبي الحسن الهادي عليهما السلام وكان من خاصّة أبي محمد العسكري عليه السلام[٢].

وعدّ له الشيخُ الطوسي في الفهرست كُتُباً منها : كتابُ عِلَل الصَّلاة ومسائل الرّجال لأبي الحسن الثالث عليه السلام[٣]وعاش بعد أبي محمّد العسكري عليه السلام[٤]وعدّه الشيخ من الثقات المحمودين الذين كانت تردُ عليهم التوقيعات من قبل السفراء ، وممن خرج التوقيع في مدحه وتوثيقه[٥] وكان من خواص أبي محمّد العسكري عليه السلام ممّن بَشَّرَهُ بولادة الإمام صاحب عليه السلام الزمان إذ أرسل إليه كتاباً يقول عليه السلام فيه : ((ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً ، وعن جميع الناس مكتوماً ، فإنّا لم نظهر عليه إلاّ الأقرب لقرابته ، والموالى لولايته أحببنا إعلامك ليسَرَّكَ اللهُ به مثلما سرّنا به والسلام))[٦] وكان ممّن نالوا شَرَفَ رؤية الحجّة صلوات الله عليه بعد ولادته بأيام .

٧-**محمد بن صالح بن محمد الهمداني الدهقان** : من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وكيل الناحية[٧].

---

(١) كمال الدين / ٤٤٢

(٢) رجال النجاشي / ٧١ .

(٣) الفهرست الطوسي / ٥٠ .

(٤) رجال الكشي / ٤٦٧ .

(٥) الغيبة / ٢٥٨ .

(٦) كمال الدين / ٤٤٢ .

(٧) جامع الرواة / ١/ ١٣٦ .

جاء في التوقيع الذي خرج لإسحاق بن إسماعيل : فإذا وَرَدْتَ بغدادَ فاقرأه على الدهقان وكيلنا وثقتنا ، والذي يقبض من موالينا[١] ثمَّ إنّه غلا في آخر عمره[٢] وانحرف وخرج فيه توقيع يلعنه[٣].

٨- **الشامي**[٤]: لم نعرف نَسَبَهُ كان من أهل الرّي وكان من وكلاءِ القائم القائم عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه .

٩-الحسين بن محمد بن جعفر بن محمد بن عون الأسدي الرازي

كان أحد الأبواب[٥] يكنّى أبا الحسن ، له كتابُ الرَّد على أهل الاسنطاعة[٦] وهو كوفيّ سكن الرّي ، يقال له محمد بن أبي عبد الله ، كان ثقة ثقة صحيحَ الحديث ، إلاّ أنهّ روى عن الضعفاء ، وكان يقول بالجبر والتشبيه ، وكان أبوه وجهاً ، روى عنه أحمد بن محمّد بن عيسى وغيره[٧].

قال عنه الشيخ في الغيبة : ((وكان في زمان السُّفراء المحمودين أقوامٌ ثقات تردُ عليهم التوقيعات من قِبل المنصوبين للسّفارة من الأصل ، منهم أبو الحسين بن محمد بن جعفر الأسدي رحمه الله وخرج فيه توقيع يمدحه ويوثقه))[٨]

---

(١) رجال الكشي / ٤٨٥

(٢) جامع الرواة / ١/ ١٣٦ .

(٣) جامع الرواة / ٢/ ٤٤٧ .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة / ٤٢٢ .

(٥) جامع الرواة / ٢/ ٨٣ .

(٦) الفهرست الشيخ الطوسي / ١٧٩ .

(٧) رجال النجاشي / ٢٨٩ .

(٨) الغيبة / ٢٥٧ .

وبعد هذا فلا معنى لما نُسِبَ إليه في قول النّجاشي من القول بالجبر والتشبيه حتى وإن قال بهذه المقالة فلا تسقط وثاقته.

١٠-القاسم بن العلا: وهو من أصل آذربيجان، قال ابن طاووس: إنه من وكلاء الناحية ويكنىّ بأبي محمد[1].

قال الشيخ ﷺ: عمّر مائة وسبع عشرة سنة، منها ثمانون سنة صحيح العينين لقيَ الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وأُصيبَ بالعَمَى بعد الثمانين وكان مُقيماً بمدينة الرّان من آذربيجان، وكانت لا تنقطع توقيعات مولانا صاحبُ الزمان إليه على يدِ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري، وبعده على أبي القاسم بن روح قدس الله روحهما، وقد أورد الشيخ والراوندي حديثاً مُفَّصلاً، وتوقيعاً إلى وَلَدِهِ يدلاّن على جلالةِ قَدْرِهِ وعَظَمةِ شأنه[2].

١١-محمد بن شاذان بن نعيم النُعيمي النيسابوري[3]: عَدَّهُ ابن طاووس من وكلاءِ النّاحية وممّن وَقَفَ على مُعجزاتِ مولانا صاحب الزمان ورآهُ عليه الصلاة والسلام[4]. جاء في التوقيع الشريف: ((وأما محمد بن شاذان من شيعتنا أهل البيت))[5].

---

(١) جامع الرواة / ٢/ ١٩.

(٢) الغيبة / ١٨٨، الخرائج والجرائح الراوندي / ٦٩

(٣) كمال الدين / ٤٤٢.

(٤) جامع الرواة / ٢ / ١٣٠.

(٥) إعلام الورى / ٤٢٤.

١٢-إبراهيم بن مهزيار أبو إسحاق الاهوازي[(١)] : والد محمد بن إبراهيم بن مهزيار ، جاء في التوقيع الشريف الموجه إلى أبنه محمد : ((قد أقمناك مقام أبيك فاحمد الله))[(٢)].

روى الكشيّ رحمه الله حكايةً عن ولده محمّد تدلّ على صحة وكالته عن الإمام صاحب الأمر أرواحنا فداه[(٣)] وهكذا عدّه ابنُ طاووس من السُّفراء والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الإثنا عشرية فيهم[(٤)] وذكر النجاشي رحمه الله أن له كتاب البشارات[(٥)].

١٣-الحسين بن علي بن سفيان بن خالد بن سفيان أبو عبد الله البزوفري :

قال عنه النجاشي : ((شيخ جليل من أصحابنا له كتب))[(٦)]روى الشيخ في الغيبة له خبراً يدلُّ على جلالةِ قَدْرِهِ واعتماد السُّفراء عليه[(٧)] وعلّق العلامة المجلسي رحمه الله في البحار على هذا الخبر قائلاً : ((يَظْهَرُ منه أنّ البزوفري كان من السُّفراء ولم ينقل ، ويمكن أنْ يكون وصل ذلك إليه بتوسّط السّفراء أو بدون توسطهم في خصوص الواقعة))[(٨)].

---

(١) رجال النجاشي / ١٣

(٢) الغيبة / ٢٨٢ ، الإرشاد ٣٥٦ ، الكافي / ١ / ٥١٨ .

(٣) رجال الكشي / ٤٤٧ .

(٤) جامع الرواة / ١/ ٣٥ .

(٥) رجال النجاشي / ١٣.

(٦) رجال النجاشي / ٥٣ .

(٧) الغيبة / ١٨٧

(٨) بحار الأنوار / ١٣ / ٨٦ .

١٤- **إبراهيم بن محمد الهمداني** : قال عنه ابن طاووس ﵀ : وكيلُ النّاحية كان يَحجُّ أربعينَ حجّةً[١]. وقال الكشي ﵀ : ((روى عنه أنّه قال : وكتب إليّ - يعني الجواد ﵇ أو الإمام صاحب الأمر﵇ - وقد وصل الحساب تقبّلَ اللهُ منكَ ورضي عنهم وجعلهم معنا في الدنيا والاخرة ، وقد كتبتُ إلى النضر أمرته أن ينتهي عنك وعن التعّرض لك ولخلافك ، وأعلمتُه موضعك عندي وكتبتُ إلى أيّوب أمرته بذلك أيضاً ، وكتبتُ إلى مواليّ بهمدان كتاباً أمرتهم بطاعتك والمصير إليك ، وأنْ لا وكيلَ لي سواك))[٢]. كما وَرَدَ توثيُقُه عن الإمام صاحب الزّمان أرواحنا فداه أيضاً[٣].

١٥-**أحمد بن اليسع بن عبد الله القمي** : قال عنه النجاشي : روى أبوه عن الرضا ﵇ ثقة ثقة له كتاب نوادر[٤] وروى الشيخ والكشي توثيقه عن الإمام صاحب الأمر﵇[٥].

١٦ **أيّوب بن نوح بن دُرّاج النخعي أبو الحسين** : كان وكيلا لأبي الحسن الهادي وأبي محمد العسكري ﵉ عظيم المنزلة عندهما مأمونا ، وكان شديد الورع كثير العبادة ، ثقةً في رواياته ، وأبوه نوح بن دراج كان قاضياً بالكوفة وكان صحيح الاعتقاد له كتاب نوادر[٦] وروايات ومسائل عن أبي

---

(١) جامع الرواة / ١/ ٣٢ .

(٢) رجال الكشي / ٥٠٨ .

(٣) رجال الكشي / ٤٦٧ , الغيبة / ٢٥٨ .

(٤) رجال النجاشي / ٧١ .

(٥) رجال الكشي / ٤٦٧ ، الغيبة / ٢٥٨ .

(٦) رجال النجاشي / ٨٠ .

الحسن الثالث عليه السلام[١]. روى الشيخ عن عمر بن سعيد المدائني: أنّه كان عند أبي الحسن العسكري عليه السلام إذْ دَخَلَ أيّوب بن نوح ... فلمّا انصرف التفتَ إليه أبو الحسن عليه السلام وقال: ((يا عمر إنْ أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة فانظر إلى هذا))[٢].

---

(١) الفهرست للطوسي / ٤٠.

(٢) الغيبة / ٨٠

التوقيعات التي صدرت بواسطته

لم يحصِ أحد ما صدر عن الإمام المهدي عليه السلام على يد نوّابه الأربعة الخاصّين من سنة ٢٦٠ هـ حتىّ سنة ٣٢٩ هـ لأسباب منها:

أولاً: نفس الظروف التي أوجبت الغيبة وتحريم الدّلالة على مكانه وذكر اسمه عليه السلام بصورة مشدّدة إلاّ على يد الخاصّة، ولذلك فلا مجال للرواية إلا في ضيقٍ جداً، ومن الطبيعي ـ بحكم ذلك ـ أنْ يذهب أكثر ما صدر عنه عليه السلام خاصّة ما هو خاص من حيث الشخص أو الموضوع.

ثانياً: رُبّما اقتصروا في الرّواية على بعض ما يتّصلُ بالقضايا العامّة فى ذلك الظرف، أو في ما بعده، ممّا جاء الأمرُ أو الإذنُ به من الإمام المهدي عليه السلام أو النّواب رضي الله عنهم ـ وإنْ كانوا لا يصدرون إلاّ عنه ـ بحكم الحاجة إليه أو انتفاء ما يوجب التقية فيه[1]. أو ربّما تعدّوا الأسباب إلى ما ذكرناه سابقاً من ضياع كثير من الكتّب والمؤلفات بسبب الحوادث كما ذكرنا هناك.

وعلى كلّ حالٍ نذكُرُ هنا بعض ما وَصَلَ إلينا من توقيعات الإمام عليه السلام التي صدرت على يد نوابه الأربعة، وذلك بحسبِ ما نتعرَّضُ لدراسة حياة كلّ واحد منهم رضي الله عنهم.

(١) الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدية بين النظرية والواقع/١٥٣.

ما رواه أبو عمرو عثمان بن سعيد ﷺ قال : تَشَاجَر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخَلَف ، فذَكَر ابن أبي غانم أنّ أبا محمد عليه السلام مضى ولا خلَف له ،

ثمّ إنّهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى النّاحية ، وأعلموه بما تشاجروا فيه ، فورد جواب كتابهم بخطه عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم : عافانا الله وإياكم من الفتن ، ووَهَبَ لنا ولكم اليقين ، وأجارنا من سوء المنقلب ، إنّه أنهيَ إليّ ارتيابُ جماعةٍ منكم في الدّين ، وما دخلَهُمْ من الشكّ والحيرة في ولاةِ أمرهم فغمَّنا ذلك لكم لا لنا ، وساءنا فيكم لا فينا ، لأنّ الله معنا فلا فاقة بنا إلى أحدٍ غيره ، والحقُّ معنا فلن يُوحشَنا من قَعَدَ عنّا ((ونحن صنايع ربّنا والخلق بَعْدُ صنايعنا))[1].

يا هؤلاء ما لكم في الريب تترددون ، وفي الحيرة تنكسون ، أو ما سمعتم الله يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾[2].

أو ما علمتم ما جاءت به الآثار ممّا يكونُ ، ويحدث في أئمتّكم على الماضين والباقين منهم عليهم السّلام ، أو ما رأيتم كيف جَعَلَ اللهُ معاقل

---

(١) ورد هذا الكلام النفس عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً في كتاب له إلى ابن اكلت الاكباد معاوية كما يروي ذلك ابن ابي الحديد في شرحه على النهج ، وعلّق عليه بقوله : هذا كلام عظيم عال على الكلام ، ومعناه عال على المعاني . أن صنيعة الملك من يصطنعه ويرفع قدره يقول عليه السلام : ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو الذي انعم علينا ، فليس بيننا وبينه واسطة ، والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى ، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنهم عبيد الله ، والناس عبيدهم . شرح نهج البلاغة / ١٥ / ١٩٤ .

(٢) سورة النساء الآيه / ٥٩ .

تأوون إليها وأعلاماً تهتدون بها من لدن ادم إلى أنْ ظهر الماضي ﷺ كلّما غابَ علم بدأ علم ، وإذا أفَلَ نَجْمٌ قَبَضَهُ اللهُ إليه . ظننتُم أنَّ الله أبطل دينه ، وقطَعَ السَّبَبَ بينه وبين خلقه ، كلاّ ما كانَ ذلك ولا يكونُ حتىّ تقومَ السَّاعةُ ويظْهَرَ أمرُ اللهِ وهم كارهون . وأنّ الماضي عليه السلام مَضَى سعيداً فقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام ... وفينا وصيّته وعلمه ومنه خلفه ومَنْ يسدّ مسده ، ولا ينازعنا موضعه إلاّ ظالم آثم ، ولا يدّعيه دونَنا إلاّ كافرٌ جاحد ، ولولا أنّ أمْرَ اللهُ لا يُغْلَبْ ، وسرَّهُ لا يظهر ولا يعلن لَظَهر لكم من حقّنا ما تهتزُّ منه عقولكم ويزيل شكوكم ، ولكنّهُ ما شاء اللهُ كان ولكلّ أجلٍ كتاب .

فاتّقوا الله وسلّموا لنا وردّوا الأمر إلينا ، فعلينا الإصدارُ كما كانَ منّا الإيراد ، ولا تحاولوا كَشْفَ ما غُطّي عنكم ، ولا تميلوا عن اليمين وتعدلوا إلى اليسار ، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودّة على السنّة الواضحة . فقد نصحت بكم والإشفاق عليكم ، لكنّا عن مخاطبتكم في شُغُل في ما قد امنحنّا به من منازعة الظالم العتلّ الضالّ المتتابع في غيّه المضادّ لربه المدّعى ما ليس له الجاحد حقّ مَن افترض اللهُ طاعته الظالم الغصب .

وفي ابن رسول الله لي إسوةٌ حسنة وسيردى الجاهل رداءة عمله وسيعلمُ الكافرون لمن عقبى الدار .

عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلها برحمته ، فإنّه وليّ ذلك والقادر على ما يشاء ، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً .

والسّلامُ على جميعِ الأوصياءِ والأولياءِ والمؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاته وصلّى اللهُ على محمّدٍ وآله وسلّمَ تسليماً[1].

ومنها: ما وَرَدَ للرّد على دعوى جعفر الكذاب الذي ادّعى مقام الإمامة بعد وفاة الإمام العسكري عليه السلام وقد روى هذا الكتاب الشيخ أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري رحمه الله قال: إنّه جاءَ بَعض الشّيعة يُعلمه أنَّ جعفراً الكذّاب ... كَتَبَ إليه كتاباً يعرِّفُهُ فيه نفسه، ويُعْلِمَهُ أنّه القيّم بعد أخيه، وأنَّ عنده من علم الحلال والحرام ما يحتاج إليه، وغيرِ ذلك من العلوم كلّها، فلمّا قرأته كتبت إلى صاحب الزمان، وصيّرت كتابَ جعفر في درجه، فَخَرَجَ الجوابُ إليّ في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم: أتاني كتابُكَ أبقاكَ الله، والكتابُ الذي أنفذته درجه وأحاطت معرفتي بجميع ما تضمّنه على اختلاف ألفاظه وتكرّر الخطأ فيه ((يعني: كتاب جعفر)) ولو تدبَّرته لوقفتَ على بعضِ ما وقفتُ عليه منه.

والحمدُ لله رب العالمين حمداً لا شريكَ له على إحسانه إلينا، وفضله علينا، أبى الله عزّ وجل للحقّ إلا إتماماً، وللباطل إلاّ زهوقاً وهو شاهدٌ عليّ بما أذكره، وولي عليكم بما أقولُهُ، إذا اجتمعنا ليومٍ لا ريبَ فيه، ويسألُنا عمّا نحنُ فيه مختلفون، إنّه لم يجعل لصاحِبِ الكتابِ على المكتوبِ إليه، ولا عليك ولا على أحدٍ من الخلق جميعاً إمامةً مُفترضَةً، ولا طاعة ولا ذمّه وسأبيّن لكم جملة تكتفون بها إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) الغيبة / ١٧٢ وما بعدها، الاحتجاج / ٢/ ٢٧٨

يا هذا ! يرحمك الله ، إنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا أهملهم سُدى ، بل خلقهم بقدرته ، وجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً وألباباً ، ثمّ بَعَثَ إليهم النبيين عليهم السلام مبشّرين ومنذرين يأمرونهم بطاعته ، وينهونَهُم عن معصيته ويعرّفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم ودينهم ، وأنزل عليهم كتاباً وبعث إليهم ملائكةً ، وبايَن بينهم ، وبيَّن من بعث إليهم بالفضل الذي جعله لهم عليهم ، وما اتاهم من الدلائل الظاهرة والبراهين الباهره والايات الغالبة فمنهم مَنْ جعَلَ عليه النّار برداً وسلاماً ، واتّخَذَهَ خليلاً ، ومِنْهُم مَنْ كلّمَهُ تكليماً وَجَعلَ عصاهُ ثعباناً مبيناً ، ومنهم مَنْ أحيى الموتى بإذن الله وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله ، ومنهم مَنْ علَّمَهُ منطق الطّير وأوتيَ من كُلّ شيء .

ثمَّ بعث محمّداً رَحمَةً للعالمين وتَمّم بهِ نِعمَتَهُ ، وخَتَمَ به أنبياءهُ ، وأرسله إلى الناس كافة ، وأظهر من صدقه ما أظهر وبيَن من اياته وعلاماته ما بيّن ثم قبضه صلى الله عليه وآله حميداً فقيداً سعيداً ، وجَعَلَ الأمرَ بعده إلى أخيه وابن عمّه ووصيّه ووارثِهِ علي بن ابي طالب عليه السلام ثمّ إلى الأوصياءِ من ولده واحداً واحداً أحيا بهم دينه ، واتم بهم نوره وجعل بينهم وبين إخوانهم وبني عمّهم الأدنين فالأدنين من ذوي أرحامهم ، فرقاناً بيّناً ، يعرف به الحجّة من المحجوج والإمام من المأموم ، بأنْ عَصَمَهُمْ من الذنب ، وبرّأهم من العيوب وطَهّرهم من الدنَسَ وَنَزّهَهُم من اللّبس وجَعلَهُم خُزّانَ عِلْمِهِ ومُستودَع حِكْمته وموضع سره ، وأيدّهم بالدّلائل ولولا ذلك لكان النّاسُ على سواء ولادّعى أمرُ الله عز وجل كلُّ أحدٍ ولما عُرف الحقّ من الباطل ولا العالم من الجاهل .

وقد ادّعى هذا المبطل المفتري عليّ الكذب بما ادّعاه فلا أدري بأيّةِ حالةِ هي له رجاء أن يتمّ دعواه ؟ بفقهٍ في دين الله ؟ فوالله ما يَعْرِفُ حلالاً من حرام ولا يفرّق بين خطأ وصواب... فما يعلم حقاً من باطل ولا محُكماً من متشابه ولا يعرف حداً لصلاة ووقتها ...؟ فالله شهيدٌ على تَرْكِهِ الصَّلاة أربعينَ يوماً يزعُمُ ذلك لطلب الشعوذة ، ولعلّ خبره تأدّى إليكم ، وهاتيك ظروفُ مسكرٍ منصوبة وآثار عصيانه لله عز وجل مشهورة قائمة ، أم بحجة ؟ فليقمها أم بدلالة ؟ فليذكرها . قال الله عز وجل في كتابه : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [1] . فالتمس تولّى الله توفيقك ، من هذا الظالم ما ذكرتُ لك ، وامتحنه واسألهُ عن آيةٍ من كتاب الله يُفسّرُها ، أو صلاةٍ يبيّن حدودها ، وما يجب فيها لتعلّم حاله ومقداره ، ويظهرُ لك عورهُ ونقصانه ، والله حسيبه .

حفظ اللهُ الحقّ على أهله وأقرّهُ في مستقرّه ، وأبى اللهُ عزّ وجلَّ أنْ تكون الإمامةُ في الأخوين إلاّ في الحسن والحسين ، وإذا أذن اللهُ لنا في القول

---

(١) سورة الأحقاف الآية / ١ ـ ٦ .

ظَهَرَ الحقّ واضمَحَلّ الباطلَ وانحسر عنكم ، وإلى الله أرغبُ في الكفاية وجميل الصنع والولاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على محمد وال محمد[١].

ومنها : ما روي عن جواب الإمام عليه السلام من سؤال العمْرِي وابنه في بعض المدّعين للسفارة والوكالة ، رواهُ سعدٌ بن عبد الله ، قال الشيخ الطوسي رحمه الله : وجدته مثبتاً بخطّ سعد بن عبد الله رضي الله عنه ، وهذا نصه وفّقكما اللهُ لطاعته وثبّتكما على دينه وأسعدكما بمرضاته ، انتهى إلينا ما ذكرتما أن الميثميّ أخبركما عن المختار ومناظرتَهُ مَنْ لقي واحتجاجه بأنّ خلَف غيرِ جعفر بن علي وتصديقه إياه ، وفهمتُ جميع ما كتبتما به مما قال أصحابكما عنه .

وأنا أعوذُ بالله من العَمَى بعد الجِلاء ومن الضّلالة بعد الهدى ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن ، فإنّه عزّ وجل يقول : ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ﴾[٢] .

كيف يتساقطون في الفتنة ويتردّدون في الحيرة ويأخذون يمينا وشمالا ، فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عاندوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصّادقة والأخبار الصّحيحة ؟ أو علموا ذلك فتناسوا أمَا تعلمون أنّ الأرض

---

(١) الغيبة / ١٧٤ ، الاحتجاج /٢/ ٢٧٩ ، بحار الأنوار / ٥٣ / ١٩٠ . وسوف نورد كتابا ثانياً للسفير الثاني في هذا المضمون ، ولعل أحمد بن إسحاق كاتب الإمام المهدي عليه السلام مرتين بخصوص الموضوع وضمنه بعض المسائل الفقهية لما سوف نقف عليه عند تعرضنا لحياة السفير الثاني إن شاء الله تعالى

(٢) سورة العنكبوت الآيه / ١ـ٢ .

لا تخلو من حجّة إمّا ظاهراً وإما مغموراً ؟ ! ولم يعلموا انتظام أئمّتهم بعد نبيهم ﷺ واحداً بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله عز وجل إلى الماضي يعني : الحسن بن علي صلوات الله عليه فقام مقام ابائه عليهم السلام يهدي إلى الحقّ وإلى طريقٍ مستقيم ، كان نوراً ساطعاً وقَمَراً زاهراً ، اختارَ الله عزَّ وجَلَّ له ما عنده فمَضَى على منهاج آبائه عليهم السلام...

عَهِد عهدهُ ووصية أوصى بها إلى وصيٍّ سَتَرَهُ اللهُ عزَّ وجَلَّ بأمره إلى غايةٍ ، وأخفى مكانه بمشيّتِهِ للقضاء السابق والقدر النافذ وفينا موضعه ولنا فضله .

ولو قَدْ أذنَ اللهُ عزّ وجَلَّ في ما قد منعه وأزال عنه ما قد جَرَى به من حكمه لأراهم الحقّ ظاهراً بأحسن حلْية وأبْينِ دلالة ، وأوضح علامة . ولأبانَ عن نفسه وقام بحُجَّتهِ .

ولكنَّ أقدار اللهِ عزّ وجَلَّ لا تُغالَبْ وإرادَتَهُ لا تُردُّ وتوفيقَهُ لا يُسْبَقْ فليدّعوا عنهم اتّباع الهوى ، وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه ولا يبحثوا عمّا سترّ عنهم فيأثموا ولا يكشفوا ستر الله عز وجل فيندموا وليعلموا أنّ الحقّ معنا وفينا . لا يقول ذلك سوانا إلاّ كذاب مفترٍ ، ولا يَدَّعيه غيرُنا إلاّ ضالٌّ غويّ فليقتصروا منّا على هذهِ الجُمْلَةِ دُونَ التفسير ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله[1].

وبهذا القدر نكتفي في تسلّيط الضوء على حياة السّفير الأول وذكر بعض التوقيعات التي خرجت بوساطته ، فإذا أردتَ المزيد انظر ما أثبت

---

(١) كمال الدين / ٢ / ٥١٠ . بحار الأنوار/٥٣ / ١٩٠

العلماء الأعلام ممّا وَرَدَ عن كُلِّ واحدٍ من النّواب في كُتُبِهم المشار إليها في الهوامش .

* * *

حياة السفير الثاني

- أسمه ونسبه وكنيته
- تحقيق في مسألة ولادته وعمره
- الخطوط العامة لعصره
- مهامه العامة والخاصة
- أحاديثه والروايات التي نقلت عنه
- التوقيعات التي صدرت بواسطته
- مدعوا السفارة في عصره

حياة السفير الثاني

اسمه وكنيته : أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد العمري ، وقد تقدَّمَ ذكر نسبه عند تعرّضنا إلى ترجمة والده[1] خلَفَ أباه بهذا المنصب ، وحلَّ محلَّهُ وأخذ منزلته من الثّقة والاحترام عند الشيعة ، كما روى ذلك الشيخ في الغيبة عن هبة الله بن محمد عن شيوخه قالوا : لم تزل الشيعة مجتمعةً على عدالته وثقته وأمانته ، للنصّ عليه بالأمانة والعدالة ، وأمَرَ بالرجوع إليه في حياة الحسن العسكري عليه السلام وبعد موته في حياة أبيه عثمان بن سعيد ، لا يُختلف في عدالته ولا يُرتاب بإمامته ، والتوقيعاتُ تخرج على يدِهِ إلى الشيعة فِي المهمّات طوال حياته بالخطّ الذي كانت تخرُجُ به في حياة أبيه عثمان[2].

وقال أيضاً : لّما مضَى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنُهُ أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامَهُ بنصّ أبي الحسن العسكري عليه السلام ونصّ أبيهِ عُثمان بأمرِ القائم عليه السلام[3].

---

(١) انظر ترجمه في الغيبة الشيخ الطوسي / ٢١٤ ، رجال الشيخ الطوسي / ٤٢٠ ، رجال النجاشي / ٣٢٠ رجال الكشي / ٤٨٥ ، حلاصة الأقوال العلامة الحلي الباب ٨ القسم الأول من حرف العين ، سفينة البحار الشيخ عباس القمي / ١/ ١٥٨ ، معجم رجال الحديث السيد الخوئي / ١١ / ١٢٠ ، بحار الأنوار العلامة المجلسي / ٥١ / ٣٤٥ ، كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق / ٤٦٩ ، غيبة الشيخ النعماني / ٢٢١ . مناقب ال ابي طالب ابن شهر اشوب / ٤/ ٤٦٩ ، الاحتجاج الطبرسي / ٢٧٧ .

(٢) الغيبة الطوسي /٢٢٠ .

(٣) الغيبه / ٢١٨

ونصّ الإمام العسكري عليه السلام بقوله : ((اشهدوا عليّ أنّ عثمان بن سعيد العَمْري وكيلي وأنَّ محمداً وكيل ابني مهديّكم)) .

وقال عليه السلام أيضاً لبعض أصحابه : ((العَمْري وابنه ثقتان ، فما أدّيا إليكَ فعنيّ يؤديان وما قالا لك فعنيّ يقولان ، فاسمع لهما وأطعهما ، فإنّهما الثقتان المأمونان))[١] .

وقد أوردنا التوقيع الشريف الذي يعزّيه مولانا الحجّة عليه السلام بوفاة أبيه ويمدحه ويثني عليه ، ونضيف هنا ما جاء فيه أيضاً من مدحه وتنصيبه مكان أبيه : ((لم يزل ثقتنا في حياة الأب رضي الله عنه وأرضاه وأنضر وجهه يجري عندنا مجراه ويسدّ مسدّه ، وعن أمرنا يأمر الابن وبه يعمل تولاّه الله ، فانته إلى قوله وعرف معاملتنا ذلك))[٢] . وروي أيضاً مستنداً عن محمّد بن يعقوب عن إسحاق بن يعقوب أنه تلقّى التوقيع بخطّ مولانا صاحب الدار عليه السلام وفيه : ((وأمّا محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتي وكتابه كتابي))[٣] . وغيرها من النّصوص التي تؤكّد منزلته العالية ، وتأمر الشيعة بأخذ التعاليم منه ، ورفع حاجيّاتهم ومسائلهم إليه ، على أنَّ هذه النصوص تكشف أمرين مهمين :

الأمر الأول : مرحلة التمهيد التدريجي لتبوء هذا المنصب الخطير من قبل الإمام العسكري عليه السلام والتهيئة التامة لقبولها عند أتباعه وشيعته عليهم السلام

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

والرجوع إليه حتى في حياة أبيه في حال المضايقة وتتبّع أثر السّفير الأول من قبل السّلطات فيكونُ محمّد بن عثمان يقوم بمهام أبيه .

الأمر الثاني : إظهار فضله ومنزلته عند الإمامين وإعطائه بعض المهام من قبلهم حتّى لو تَطلّبَ ذلك الأمر إظهار بعض الكرامات على يديه تأكيداً لفضله ومنزلته ، كما يروي ذلك الشيخ في الغيبة بالإسناد عن عبد الله بن جعفر الحميري قال : ((... أتتنا الكُتُبُ بالخطّ الذي كنّا نُكاتَبُ به ((يعني خط الإمام المهدي)) بإقامة أبي جعفر رضي الله عنه مقامه))[1]. وعن هبة الله عن شيوخه ، وهم يتحدثون عن أبي جعفر العمري قولهم : ((وقد نقلت عنه دلائل كثيرة ، ومعجزات الإمام ظهرت على يديه وأمور أخبرهم بها عنه زادتهم في هذا الأمر بصيرة وهي مشهورة عند الشيعة))[2].

<u>**تحقيق في مسألة ولادته وعمره**</u> : وأيضاً هذه النصوص لم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته لا نعرف تاريخ صدورها لكي نتمكّن من ضبط تاريخ ولادته وعمره ولكنْ مما تقدّم منّا في تحديد عمر والده ، أمكن لنا أنْ نحدّد عمره ولو على نحو التقدير وذلك اعتماداً على فترة سفارته التي دامت أربعينَ عاما لا كما ذكرهُ الشيخ الطوسي ((من أنَّ سفارته امتدت خمسين عاماً حتّى لقي ربّهُ العظيم في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة أو أربع وثلاثمائة))[3].

---

(١) الغيبة / ٢٦١ ، بحار الأنوار / ١٥ / ٣٤٦

(٢) الغيبة / ٢٢٠ ، كمال الدين / ٤٦٧ ، بحار الأنوار / ١٥ / ٣٥٠

(٣) الغيبة / ٢٢٣ الكامل في التاريخ/ ٦/ ١٥٩ ، اعلام الورى / ٤١٦

والتّحقيق في ذلك : أنْ نقول : لو أضفنا هذه العشر سنوات التي ذكرها الشيخ الطوسي ﵀ لمدّة سفارته تكون وفاته سنة ٣١٧ هـ وهذا لم يقل به أحَدٌ من أعلام الطّائفة الإمامية أعلى الله كلمتهم حتىّ أنّ الشيخ الطوسي ﵀ لم يذكر ذلك ولم يقل به .

وهذا بناءً على أنَّ بداية سفارته كانت سنة ٢٦٧ هـ فإنّ أحمد بن هلال الكرخي قد طَعَنَ بسفارته وكان أحد المنحرفين عن خطه ، وهو أوّل من طعن بسفارة محمّد بن عثمان ، ويذكر الشيخ الطوسي ﵀ أنَّ سنة وفاة أحمد بن هلال الكرخي سنة ٢٦٧ هـ[1] أي : بعد وفاة الإمام العسكري ﵇ بسبع سنين .

وأمّا إذا قُلنا بأن سفارَتَهُ كان ابتداؤها سنة ٢٦٦ أو٢٦٥ هـ كذلك لا يمكن لنا تصوّر مدّة سفارته التي ذكرها الشيخ ﵀ لأنَّ في هذه الفترة كانت السفارة بيد والده على مَرّ علينا في تحديد عمره ومدّة سفارته فما ذكره الشيخ الطوسي لا يمكن الاعتمادُ عليه ، إلاّ اللّهم يقصد الشيخ بهذه الفترة فترة ظهوره مع والده قبل أنْ يستقلّ بسفارته والله العالم .

وبهذا التحديد لمدة سفارته نستطيع أن نعرف :

أ-أنَّ السفير الثاني ﵀ أطول السفراء بقاءً في السّفارة ومن ثمَّ يكون أكثرهم توفيقاً في تلقّي التعاليم من الإمام المهدي ﵇ وأوسعهم تأثيرا في الوسط الذي عاش فيه والذي كان مأموراً بقيادته وتدبير شؤونه[2]

---

(١) الغيبة / ٢٤٥ ، رجال النجاشي / ٦٥ .

(٢) موسوعة الإمام المهدي /١/ ٤٠٤ .

ب- النص الذي يرويه لنا مشايخ ورجال عصره ممّن لهم ارتباطاً وثيقاً بالناحية المقدسة عبّروا عنه ((بالشيخ)) كما يروي الشيخ بالغيبة عن عبد الله بن جعفر قال : ((خرج التوقيع إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان بن سعيد العمري في التعزية بأبيه))[1] وتعبير الإمام العسكري عليه السلام عنه رضي الله عنه ((وابنه ثقتان)) وتعبير الإمام المهدي عليه السلام ((والابن وَقَاهُ الله)) فإنّ هذه التّعابير لا تدلُّ على عمر الصبّا وإنّما تدلّ على تمامِ بلوغ الرّجال النّاضجين ممّا يتراوح أعمارهم تقريباً من خمسة وعشرين إلى الثلاثين سنة أو أقلّ أو أكثر .

ويؤيّد ذلك أنَّ محمّد بن عثمان ممّن شهد بولادة الإمام الحجّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه ، وكان حاضراً عندما أشهد الإمام العسكري عليه السلام وفد القميين في زمن والده[2]، وكما هو المعلوم والثّابت بالنّصوص أنّ ولادة الإمام المهدي عليه السلام كانت سنة ٢٥٥ هـ ، واستلام السفير الثاني رضي الله عنه مهامّ السفارة مستقّلاً بعمله كان ذلك في سنة ٢٦٥ أو ٢٦٦ هـ على ما ذهبنا إلى تحقيقه سابقاً ، فهذه عشر سنوات معلومة وواضحة ، فكم كان عمرهُ قبل ذلك ؟

وإذا أضفنا هذه الفترة إلى مّدة سفارته اتّضح لنا حُدودُ عُمُره تقريباً ونستفيدُ أيضاً لمعاصرته الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام مما يكسبه من الخبرة والاستفادة منهما عليهما السلام والمهام التي كان يتولاها في حياة أبيه تُضاف

(١) الغيبة / ٢٤٣

(٢) انظر بحار الأنوار / ٥٢ / ٣٨ .

تأييداً لما ذهبنا إليه ، وأيضاً يُستَفَادُ من خلوّ كتب التاريخ والسيَر ، وأيضاً خلوّ النصوص التي أشرنا إليها ، من كون السّفير الثاني لاستلامه منصب السفارة عمره يومذاك صغيراً أو صبياً ، لغمز الشيوخ ورجال عصره ، أو لاحتجّ عليه بعض الطامعين لهذا المنصب واتّخذها وسيلةً وذريعة للنعرضي به بأنّه كيف يولّي الإمام صبياً أو صغيراً لهذا المنصب الخطير ، وهكذا دعوى لم نجدها في كتب القوم لا تصريحاً ولا تلويحاً ، إلاّ ما أشرنا إليه من أنّ ابن هلال الكرخي قد طعن بسفارته ، ولكن لا من حيث عمره وإنّما من حيث صدور التوقيع بحقه من والده وليس من الإمام المهدي عليه السلام .

لذا نجدُ الإمام العسكري عليه السلام يمّهّدُ لسفارته على نحو التدريج كما ذكرنا ذلك .

وبدء عمله في سفارته انطلاقاً من مدينة بغداد بخلاف والده الذي بدأ عمله كسفير أول من مدينة سامراء ، بعد ذلك نقلت مهام السّفارة إلى بغداد من توجّهات الإمام المهدي عليه السلام وللأسباب التي مَرَّتْ علينا .

واضطَلَعَ بمهامّ السّفارة رُغْم حداثتها وقصر عمرها ، وأخذ يُوضّحُ الخطوط العامّة لعمله حتىّ يكونَ السّفير من بعله متماثلاً في الأسلوب ومتشابهاً في الأهداف باعتبار صدورهم من مصدرٍ واحد ، وهي توجيهات الإمام المهدي عليه السلام بحسب ما يرى من المصالح ، عدا ما يقومُ به بَعْضُ السُفراء من بَعلِهِ من عَمَلٍ إضافيّ وأسلوبٍ زائد لما يرى من مصلحة في عمله هذا

الخطوط العامة لعصره

أمّا الخطوط العامة لعصر السفير الثاني رضي الله عنه فقد عاصر ثلاثة من الأئمة المعصومين الإمام الهادي والعسكري والمهديّ صلوات الله وسلامه عليهم، وذلك بناءً على تحديد عمره الشريف تقريباً، وأمّا خُلَفَاءُ بني العبّاس فقد عَاصرَ أربعةً منهم، ثلثين من خلافة المعتمد المتوفى سنة ٢٧٩ هـ والمعتضد المتوفى سنة ٢٨٩ هـ، والمكتفي المتوفى سنة ٢٩٥ هـ، وأمّا المقتدر فقد أدركَ تسع سنوات من خلافته إذا قلنا أنَّ السفير الثاني توفي سنة ٣٠٤ هـ أو عشر سنوات إذا زدنا لوفاته سنة واحدة.

وأمّا تحديد معالم نشاطه، فقد كانت في مرحلتين من حياته:

المرحلة الأولى: مع الإمام العسكري عليه السلام برز أوّل وهلة كشخص يحمل أوسمة شرفٍ وتمجيدٍ من الإمام لِما مَرَّ علينا من النّصوص، وذلك تمهيداً لحمل مسؤوليَة السّفارة، وإبرازاً لشخصيّته، وانتشاراً لِصيتِهِ، فقد كان الإمامُ العسكري عليه السلام يُردِفَهُ أثناء كلامِهِ دائماً مع أبيه أمام الوفود وحَمَلَة الحديث والفقه، لذا لم نسمع من النّصوص التي بين أيدينا عندما استَلَمَ منصب السّفارة أنّ مشايخ ورجال عصره وأتباع الإمام يقولون الآن عرفنا منزلته وقدره عند الإمام عليه السلام كما كان الحال مع أبيه.

أمّا نشاطه في هذه الفترة مما يؤسَفَ له لم يصلنا منه شيء ورُبَّما تلفت أو ضاعت للأسباب التي ذكرناها عند تعرضنا لحياة والده رضي الله عنه.

المرحلة الثانية : عندما أستقل بالسّفارة ، وصار مرجعاً وباباً وواسطه بين الشيعة والإمام المهدي عليه السلام وهذه هي ابرز مراحل حياته ، وقدّم أعمالاً جليلة ولعب دوراً هامّاً في تاريخ التشيع ، وكما هو معلوم في هذه الفتره قد حدثت بعضُ التقلّبات السياسية والتغيّرات الاجتماعية والثورات العلوية وغيرها التي كانت أهدافها مشتركة ومُوحَّدَةً ضدَّ الحكم العباسي ، فسوف نسلّط الضوء على أهمّ الأحداث التي حدثت في فترة سفارته ، لنرى عمل السفير الثاني اتجّاه تلك الأحداث والتقلبات .

فاهمّ هذه الاحداث هي كالتالي :

١ـ خرجَ صاحبُ الزنّج فاستمال قلوبَ العبيد من الزنج بالبصرة ونواحيها ، وادّعى انّه من ولد عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ، وهذا النَّسب عند النّسابين ليس بصحيح ، وهم يعدّونه من الأدعياء[1] أمّا حركته هذه فقد قُضي عليها سنة ٢٧٠ هـ كما يذكر ذلك ابن الأثير في الكامل واليافعي في المرآة[2] .

٢ـ ظهورُ حَرَكةِ القرامطة ، وكان ابتداءُ أمرهم بناحيةِ البحرين أنّ رجلاً يعرف بيحيى بن المهديّ قَصَدَ القطيف ، فَنَزلَ على رجلٍ يُعْرَفُ بعليِّ بن المعلّى بن حمدان مولى الزياديين ، وكان مُغالياً في التشيع ، فأظهر له يحيى أنّهُ رسولُ المهديّ ، وكان ذلك في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنّه خرج إلى

---

(١) الفخري ابن الطقطقا / ٢٥٠ وغيره من كتب النسب التي اشرنا إليها سابقاً

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير / ٦ / ٥٠ ـ ٥٣ ، مراة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ابن سليمان اليافعي / ٢/ ١٣٥ .

شيعته في البلاد يدعوهم إلى أمره ، وأنَّ ظهورَه قد قَرُبَ ، فوجَّه عليٌّ بن المعلّى إلى الشيعة من أهل القطيف فجمعهم وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهديّ إليهم من المهديّ ، فأجابوه وأنَّهم خارجون معه إذا أظهر أمره ووجّهَ إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه[1].

٣ـ ابتداءُ ظهور الدولة الفاطمية بالمغرب في سنة ٢٩٦هـ وانتهاؤها في مصر سنة ٥٦٧ هـ فاتَّسعَتْ أكنافُها وطَالَتْ مُدَّتُها وكادَتْ هذه الدَّولة أنْ تملك ملكًا عاماً وأن تدين الأمم لها ، إليها أشار الرضيّ الموسوي ﷺ بقوله :

ما مقامي على الهوان وعندي   مِقْوَلٌ قاطعٌ وأنْفٌ حَمِيٌّ
وإباءٌ محلِّقٌ بي عن الضيم   كما زاغ طائرٌ وحشيٌّ
أحمِلُ الضَيم في بلادِ الأعادي   وبمصرَ الخليفة العَلَويُّ
مَنْ أبوهُ أبي ومَولاهُ مولايَ   إذا ضامَني البَعيدُ القَصيُّ
لَفَّ عرْقي بعْرْقِهِ سَيّد   النّاس محمَّدٌ وعليُّ
إنّ ذُلّي بذلكِ الجوِّ عِزٌّ   وأُوامي بذلك الرَّبع رَيُّ[2]

٤ـ الفتن العامّة التيّ كانت تُثارُ بين فترة وأخرى ببغدادَ تارةً ، بين أصحاب الخليفة ، وبين قادة الترك ، وأخرى بين خدم البلاط العباسي ، وبين البربر مما يؤدّي ذلك سَلْباً على الأوضاع العامّة للبلاد ، فقد ذكر ابن الأثير في أحداث سنة ٢٧٨ هـ فيها كانت الحَربُ ببغداد بين أصحابِ وصيف الخادم والبربر ، وأصحابِ موسى ابن أُخت مُفلحْ أربعةَ أيّام من المحرَّم ، ثُمَّ أُصلِحوا

---

(١) الكامل في التاريخ /٧/ ٤٩٣.

(٢) كامل / ٨ / ٣٢ ، الفخري / ٢٦٢ ويوجد في هذه الابيات بعض الاختلاف ولها قصة ذكرناها بالتفصيل في كتابنا تاريخ دول الشيعة الجزء الخامس .

وقد قُتلَ بينَهُم جماعة، ثُمَّ وقَعَ بالجانِبِ الشرقيِّ وقعة بين أصحاب يونس قتل فيها رَجُلٌ، ثمَّ انصرفوا[١].

٥ـ ظهورُ إدريس بن جعفر ـ هو ابن عمّ الإمام المهدي عجل الله فرجه وسَهّل ـ الذي أدّعى الإمامة بالمدينة في أيّام المقتدر فسُقيَ سَمّاً، وكذلك أخوه الحسن بن جعفر أيضاً ظَهَرَ في أعمالِ دمشق سنة ثلاثمائة من أيّام المقتدر أيضاً[٢].

وذَكَرَ أبو الفرج الأصفهاني كيفيّةَ قتلِه بقوله: وقتلت الأعراب في بعض نواحي البرّ الحسن بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وأُدخل رأسه بعد ذلك إلى بغداد، وأظهر من قتله أنّه كان دعا إلى خِلافِ السّلطان فقتله لذلك[٣].

٦ـ نقل العاصمة من سامراء إلى بغداد، وذلك في نهاية أيام خلافة المعتمد العباسي بعدما عَمّر قصره المعشوق[٤] وبانتقاله هذا انقلت معه الدواوين وجميعُ أجهزة الدولة، مما يجعل ذلك التضييق على مهام وعمل السّفير الثاني رضي الله عنه.

وبعد فترةٍ وجَيزةٍ أصبحت سامرّاء من المدن الصّغيرة بعد أنْ كانت قد ضاهت بغداد في سعتها وكثرة عمرانها وجمال قصورها ونضارة متنزهاتها والتي عاشت بهذه النَّضارة حوالي الخمس والخمسين سنة، ملك بها ثمانية

(١) الكامل / ٧ / ٤٤١.

(٢) النفحة العنبرية ابو الفتوح ابن سليمان / ٧٣.

(٣) مقاتل الطالبيين / ٥٥٠.

(٤) تاريخ اليعقوبي /٢/ ٢٤٠، معجم البلدان ياقوت الحموي / ٢٦٨.

خلفاء هم المعتصم المعمّر والباني لها ، والواثق ، والمتوكّل ، والمنتصر والمستعين . والمعتز ، والمهتدي ، والمعتمد[1].

---

(١) انظر الكامل في التاريخ /٧ / ٤٤١ ، المنتظم ابن الجوزي / ٥/ ١٢٢ ، تاريخ الخلفاء السيوطي / ٣٦٥ ، تاريخ الملوك والأمم الطبري / ١١/ ٢٦١ ، الرحلة ابن جبير / ١٨٥ ، موسوعة العتبات المقدسة قسم سامراء ١٢ /١٠٩ . دراسات في العصور العباسية المتأخره الدوري /٦٩ .

مهامّه العامّة والخاصّة

يتّضِحُ لنا مما تقدَّمَ من هذه المعالم الرئيسية لعصر السفير الثاني ﷺ أنّها كانت تدور بفلكين:

الأوّل: الفلك الخارج عن سيطرة الدولة والعاصمة بغداد على هكذا أحداث واضطراب يحدث في أركان ملكهم منها ظهورُ حركة القرامطة وخروج صاحب الزنّج وابتداء ظهور الدّولة الفاطميّة بالمغرب وظهور إدريس ابن جعفر الذي ادّعى الإمامة بالمدينة.

بيد أنَّ هذه الأحداث يمكن لنا أنْ نصنّفها إلى ثلاثة أصناف:

أ-ما هو خارجٌ عن سيطرة وإمكانيات السّفير الثاني ﷺ بحيث لم يكن له القدرة على تغيرَ مسّار هذه الأحداث وجعلها تحتَ تعليماته وإرشاداته كما هو الحالُ عند ظُهورِ ابتداءِ الدّولَةِ الفاطمية، فإنَّ هذه الدولة كان معتقدها يخالف معتقد السفيرِ الثاني ﷺ جوهراً ومضموناً.

ب-ما هو خارج أيضاً عن رُقْعَةِ عَمَلِهِ ونشاطه الذي كان ينحصر في بعض المدن مثل مدينة بغداد وقم وخراسان وغيرها ممّن كان له بها وكيلاً أو نائباً أو باباً.

ت- أنَّ هذه الحركات التي ظهرت قد اتّخذت الدولة الإجراءات اللازمة بحقّها من قمع ومطّاردة لقادتها، وبهذا العمل من قبل السلطات قد أسقطت التكاليف اللازمة على السفير الثاني ﷺ.

الثاني : وأمّا الفلك الثاني لهذه الأحداث فهي داخلية والبعض منها كانت في نفس البلاط العبّاسي كما سمعنا ذلك من النّصوص المتقدّمة وهكذا أحداث لا يشغل السّفير الثاني نفسه للتصدّي لها ، بل على العكس أنه يستفيدُ منها منْ تحرّك ميداني واسع ببغداد الذي قضى أكثر مهامه بها .

ويستفاد أيضاً من مجموع خطوط الأحداث أنَّ بعض هذه الأحداث تمسّ بالجانب العقائدي ، مثل ظهور إدريس بن جعفر الذي ادّعى الإمامة بالمدينة في أيّام المقتدر ، وكذلك أخوه الحسن بن جعفر أيضاً ، ظهر في أعمال دمشق سنة ثلاثمائة من أيام المقتدر . وظهور يحيى بن المهدي بالقطيف وادّعى أنه رسولٌ للمهدي ، وذكر أنّهُ خرَجَ إلى شيعَتِهِ في البلاد يَدْعُوهُم إلى أمره وأنّ ظهوره قد قرب ، فوجّه عليُّ بن المُعلّى إلى الشيعة من أهلِ القطيف فجمعهُم وأقرأهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهديّ إليهم من المهديّ فأجابوه أنّهم خارجون معه إذا أظهر أمره ووجّه إلى سائر قُرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه[1] .

فيمكن تلخيص دور السّفير الثاني رضي الله عنه اتّجاه هذه الظاهرة الخطيرة التي ابتلي بها في عصره بمهمتّين أساسيتين :

الاولى : تنبيهُ قواعِدِهِ وأتباعه عن طريق التوقيعات التي تَصْدُرُ عن الإمام المهدي عليه السلام تُوضّحُ بطلانَ هذه الحركات ، وليس لها علاقة بالقضيّة المهدوية .

---

(١) الكامل في التاريخ /٧/ ٤٩٣ .

الثانية : عَدَمُ الاصطدام بقادة هذه الحركات والدّخول معهُمْ بمناظرات حَوَل مسألة الإمامة ، أو توجيه رسالة لهم تُبيِّنُ لهم خطأ عملهم وادّعائهم الباطل فإن السفير الثاني يَعْلَمُ جيّداً أنَّ هكذا حركات تمسّ أمن الدّولة وتُهّدّدُ أركانها ، وبطبيعَةِ الحال سوف تتّخِذُ السُّلطةُ الإجراءات اللازمة لقمعها ، فهو في غنىً عن هكذا عمل.

أمّا مهامّه الخاصّة التي قام بها أثناء سفارته الطويلة التي بَلغتْ اربعين سنةً تقريباً فأهمُّها :

أ- توسيعُ رُقْعةِ الوُفودِ التي تقدم إلى بغداد ، فإنها كانت تتوجَّهُ إلى سامراء لما اعتادت عليه ، وقد ذكرنا أنَّ أباه قد حَوّلَ هذه الوفود إلى بغداد فكانت جديدة عهد على هذه الظاهرة ، وبالخصوص تشخيص أماكن معيّنة يقدمون عليها وبعيدةً عن جواسيس الدولة .

ب- لفت انتباه الشيعة وغيرهم إلى أشخاصٍ معيّنين لهم الخصوصية والقرب منه حتّى كان يظنّ أنّ السفير الثاني رضي الله عنه إذا حدث له حادثٌ فإنه يعينُّ من الذيي كان يخّصهم ويقربهم ويدنيهم إليه ، وبهذا العمل كان يخطّط لحفظ مَنْ يخلفه لمنصب السفارة كما روي ذلك الشّيخُ بالغيبة بعد سرد السَّند : أنَّ أحمد بن متيل القمّي يقول : كان محمّد بن عثمان أبو جعفر العمري رضي الله عنه له مَنْ يتصرَّف له ببغداد عشرة أنفس ، وأبو القاسم بن روح رضي الله عنه فيهم ، وكلهم كان أخصّ به من أبي القاسم بن روح رضي الله عنه حتىَّ أنه كان إذا احتاج إلى حاجةٍ أو إلى سَبَبٍ ينجّزه على يدِ غيره لما لم يكن له تلك الخصوصية فَلَمَّا كان مُضيُّ أبي جعفر وَقَعَ الاختيارُ عليه وكانت الوصية إليه.

قال : وقال مشايخنا : كنّا لا نشُكُّ أنّه إنْ كانت كائنة من أبي جعفر لا يقوم مقامه إلاّ جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه ، لما رأينا من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله ، حتىّ بلغ أنه كان آخر عمره لا يأكل طعاماً إلاّ ما أُصلح في منزل جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه بسببٍ وقع له ، وكان طعامه الذي يأكله في منزل جعفر وأبيه .

وكان أصحابنا لا يشكّون إنْ كانت حادثة لم تكن الوصيّة إلاّ إليه من الخصوصية ، فلمّا كان عند ذلك ووَقَعَ الاختيار على أبي القاسم سلّموا ولم ينكروا ، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر ولم يَزَلْ جعفرُ بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم وبين يديه كتصرُّفه بين يدي أبي جعفر رضي الله عنه العمري إلى أنْ مات رضي الله عنه فكُلُّ من طعن على أبي القاسم فقد طعنَ على أبي جعفر وطَعَنَ على الحُجّةِ صلواتُ اللهِ عليه[1] .

ت بداية مرحلة التمهيد التدريجي للخلف من بعده ، رغم ما أعطى للبعض الخصوصية العالية كما تقدم في النقطة السابقة ، فإنّه بدأ في إعداد هذه المرحلة بأواخر حياته المباركة ، وبالتحديد آخر ثلاث أو آخر سنتيْن من عمره رضي الله عنه أمر النّاس والوفود أنْ يتّصلوا بالحسين بن روح رضي الله عنه حتّى يمهّدَ له الطريق للسفارة .

يروي الشيخ رحمه الله بالغيبة عن جملةٍ من الرّواة عن أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه قال : حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي الأسود رحمه الله قال : كنت أحمل الأموالَ التي تحصل في باب الوقف إلى أبي جعفر محمّد بن

(١) الغيبة / ٢٤٣ . بحار الأنوار / ٥١ / ٣٥٣ .

عثمان العمري رضي الله عنه فيقبضها منّي ، فحملت إليه شيئاً من الأموال في اخر أيامه قبل موته بسنتين أو ثلاث سنين فأمرني بتسليمه إلى أبي القاسم الروحي رضي الله عنه فكنتُ أُطالبه بالقبوض فشكى ذلك إلى أبي جعفر ، فأمرني أنْ لا أُطالبه بالقبوض وقال : كُلُّ ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إليّ فكنتُ أحمل بعد ذلك الأموال إليه ولا أُطالبه بالقبوض .

ثم قال : وبهذا الإسناد عن محمّد بن علي بن الحسين قال : أخبرنا علي بن محمد بن متيل عن عمّه جعفر بن أحمد بن متيل قال : لمّا حضرت أبا جعفر محمّد بن عثمان العمري الوفاةُ كنتُ جالساً عند رأسه وأُحدّثُهُ وأبو القاسم بن روح عند رجليه ، فالتفت إليّ ثم قال : أُمرت أنْ أُوصِ إلى أبي القاسم الحسين بن روح قال : فقمتُ من عند رأسه وأخذتُ بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحوّلت إلى عند رجليه[1] .

(١) الغيبة / ٢٥٠ ، بحار الأنوار / ٥١ / ٣٥٤ . وسوف نذكر عند عرضنا لحياة السفير الثالث المزيد من هذه المهام لما لها من ارتباط في حياة السفير الثالث .

أحاديثه والروايات التي نقلت عنه

أمّا الأحاديثُ التي نقلت عن السّفير الثاني فهي تختلفُ عن ما وصل إلينا من أبيه فهي متنّوعة العلوم الإسلامية ، منها عقائدية ، ومنها كلامية ومنها فقهيه ، وأخرى فلسفية وغيرها ، ولعلّ السّبَبَ يعودُ في ذلك إلى طول فترة سفارته ، أو لكثرة ما كان يُواجِهُ من مسائل متنّوعة ، أو لكثرة الرُّواة والفقهاء والعلماء في عصره المبارك ، لذا علينا أنْ نذكر شيئاً من هذه الأحاديث المباركة إتماماً للفائدة .

قال الشيخ ﵀ في الغيبة بعد سرد الرواة عن أبي الحسن محمّد بن جعفر الأسدي قال : كانَ في ما وَرَدَ عليَّ من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري ﵁ في جواب مسائل إلى صاحب الزمان : أمّا ما سألتَ عنه من الصّلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فلئن كان كما يقول الناس : إنّ الشمس تطلع بين قرني شيطان وتغرُبُ بين قرني شيطان ، فما أرغم أنف الشيطان شيءٌ أفضَلَ من الصّلاة ، فصلّها وأرغم الشيطانَ أنفه .

وأمّا ما سألت عنه من أمر الوَقْف على ناحيتنا ، وما يُجْعَل لنا ثمّ يحتاج إليه صاحبه ، فكُلُّ ما لم يسلّم فصاحبُهُ فيه بالخيار ، وكُلُّ ما سَلَّمَ فلا خيار لصاحبه فيه ، احتاجَ أو لم يحتج ، افتقرَ إليه أو استغنى عنه .

وأمّا ما سألتَ عنه من أمرِ مَنْ يستحلُ ما في يدِهِ من أموالِنا ويتصرّفُ فيه تصرُّفه في ماله من غيرِ أمرنا ، فمَنْ فَعَلَ ذلك فهو مَلْعُونٌ ونحنُ خُصماؤه

يومَ القيامة ، وقد قال النبي ﷺ : المستحلُ من عترتي ما حرّمَ اللهُ ملعونٌ على لساني ولسانِ كُلِّ نبيٍّ مجاب ، فمَنْ ظَلَمَنا كان في جملة الظّالمين لنا وكانت لعنةُ الله عليه لقوله عز وجل : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[1].

وأمّا ما سألتَ عنه عن أمرِ المولودِ الذي نبتَتَ غلفته بعد ما يختن مرّة أخرى فإنه يجب أن يقطع غلفته فإنّ الأرض تضجّ إلى الله تعالى من بول الأغلف أربعين صباحاً .

وأمّا ما سألتَ عنه من أمرِ المصلّي والنّار والصّورة والسّراج بين يديه هل يجوزُ صلاته ؟ فإنَّ النّاس قد اختلفوا في ذلك قبلك ، فإنّه جائزٌ لمن لم يكُنْ من أولادِ عَبدَةِ الأصنام والنّيران أنْ يُصلّي والنّار والسّراج بين يديه ولا يجوزَ ذلك لمن كان من أولادِ عبدَةِ الأوثان والنيران .

وأمّا ما سألتَ عنه عن أمرِ الضّياع التي لناحيتنا ، هل يجوزُ القيام بعمارتها وأداءِ الخراج منها وصَرْف ما يَفْضَلَ من دخلها إلى الناحية ، احتساباً للأجر وتقرُّباً إليكم ؟ فلا يحِلُّ لأحدٍ أنْ يَتصَرَّفَ في مال غيره بغير إذنه فكيفَ يحَلُّ ذلك في مالنا ؟ مَنْ فعل ذلك بغير أمرنا فقد استحلّ منا ما حرَّم عليه ، ومَنْ أكَلَ من أموالنا شيئاً فإنّما يأكُلُ في بطنه ناراً وسيصلى سعيراً

وأمّا ما سألتَ عنه من أمر الرّجل الذي يجعل لناحيتنا ضيعةً ويُسلّمها من قَيّمٍ يقومُ بها ويعمرها ، ويؤدّي من دخلها خراجها ومؤنتها ، ويجعل ما

---

(١) سورة هود الآية / ١٨ .

بقيَ من الدّخل لناحيتنا ، فإنَّ ذلك جائز لمن جَعَلَهُ صاحبُ الضيعة قَيِّماً عليها ، إنّما لا يجوز ذلك لغيره .

وأمّا ما سألت عنه من الثّمار من أموالنا يمرُّ به المارّ فيتناول منه ويأكل هل يحلّ له ذلك ؟ فإنّه يحل له أكله ويحرم عليه حمله[1] .

وعن أبي الحسين الأسدي أيضاً قال : ورَدَ عليَّ توقيعٌ من الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه ابتداءً لم يتقدّمه سؤالٌ عنه ، نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، على من استحلّ من أموالنا درهما .

قال أبو الحسين الأسدي رحمه الله : فوقَعَ في قلبي أنَّ ذلك في من استحلَّ من مال الناحية درهماً دون من أكلِ منه غيرِ مستحلّ ، وقلتُ في نفسي : أنّ ذلك في جميع من استحلّ محرّماً ، فأيُّ فضلٍ في ذلك للحُجّة عليه السلام على غيره ؟

قال : فوالذي بَعَثَ محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ بشيراً ، لقد نظرت بعد ذلك في التوقيع فوجَدتهُ قد انْقلَبَ إلى ما كان في نفسي :

بسم الله الرحمن الرحيم : لعنةُ الله والملائكةِ والنّاس أجمعين على مَنْ أكلَ من مالنا درْهماً حراما .

قال أبو جعفر محمّد بن محمّد الخزاعي رحمه الله أخرَجَ إلينا أبو عليّ بن أبي الحسين الأسدي هذا التوقيع حتّى نظرنا فيه وقرأناه[2] .

---

(١) الغيبة / ٢٩٥ ، الاحتجاج / ٢/ ٤٧٩ ، بحار الأنوار / ٥٣ / ١٨٢ ، كمال الدين /٢/ ٥٢٠ .

(٢) الغيبة / ٢٣٨ ، بحار الأنوار / ٥١ / ٣٤٧ ، وسائل الشيعة الحر العاملي / ٣/ ٥٤١ باب وجوب ايصال حصة الإمام

وقال أبو جعفر بن بابويه في الخبر الذي رُوي في من أفطر يوماً من شهر رمضان متعمّداً أنَّ عليه ثلاثَ كفّاراتٍ فإنّي أُفتي به في من أفطر بجماع محرّم عليه أو بطعامٍ محرَّم عليه لوجودِ ذلك في روايات أبي الحسن الأسدي رضي الله عنه في ما ورَدَ عليه من الشّيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان رضي الله عنه .

وفي كمال الدين قال : حَدَّثنا محمّد بن محمد بن عصام الكليني رضي الله عنه قال : حدثنا محمّد بن يعقوب الكليني ، عن إسحاق بن يعقوب ، قال : سألتُ محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه أنْ يوصلَ لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليَّ .

فورد في التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام .

أمّا ما سألتَ عنه أرشدكَ الله وثبّتكَ من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا .

فاعلم أنّه ليس بين الله عزّ وجل وبين أحدٍ قرابة مَنْ أنكرني فليس منيّ وسبيله سبيل ابن نوح .

وأمّا سبيل عميّ جعفرِ وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام ، وأمّا الفُقّاع فشرْبُهُ حرامٌ ولا بأس بالشلماب[1] .

وأمّا أموالكم فما نقبلها إلاّ لتطهروا فمَنْ شاءَ فليصِل ومن شاء فليقطع ، فما اتانا اللهُ خيرٌ مما اتاكم .

وأمّا ظهوُر الفَرَج فإنّه إلى الله وكَذَبَ الوقّاتون .

وأمّا قولُ مَنْ زعَم أن الحسين عليه السلام لم يُقْتَلْ فكُفْرٌ وتكذيبٌ وضَلالٌ .

---

(١) نبات برى صغير يشبه عود الشعير يستعمل عند الاطباء للتداوى .

وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رُواةِ حديثنا ، فإنّهم حُجَّتي عليكم وأنا حُجَّةُ اللّه عليهم .

وأمّا محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتي وكتابه كتابي ، وأمّا محمّد بن علي بن مهزيار الأهوازي فسيصلح الله قلبه ويزيل عنه شكّه .

وأمّا ما وصلتنا به فلا قبولَ عندنا إلاّ لما طاب وطَهُرَ وثمنُ المغنّيةِ حَرامٌ وأمّا محمّد بن شاذان بن نعيم فإنّه رجلٌ من شيعتنا أهل البيت .

وأمّا أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع فإنّه ملعونٌ وأصحابه ملعونون فلا تجالس أهل مقالتهم فإنّي منهم بريء وآبائي عليهم السلام منهم براء .

وأمّا المتلبسون بأموالنا فمَنْ استحلّ شيئاً منها فأكَلَهُ فإنّما يأكلُ النيران.

وأمّا الخُمْسُ فقد أُبيح لشيعتنا وجُعِلوا منهُ في حِلٍّ إلى وقتِ ظهورِ أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث .

وأمّا ندامةُ قومٍ شكوا في دينِ اللهِ على ما وصَلُونا به فقد أقلنا من استقال ولا حاجَةَ لنا إلى صلَةِ الشاكّين .

وأمّا علّةُ ما وقعَ من الغيبة ، فإن الله عز وجل يقول : **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾**[1] إنّه لم يكنْ أحدٌ من آبائي إلاّ وقد وقَعتْ في عُنقه بيعةٌ لطاغيةِ زمانه وإنّي أخرُجُ حين أخرجُ ولا بيعةَ لأحدٍ من الطواغيت في عنقي ، وأمّا وجهُ الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا

---

(١) سورة المائدة الآية : ١٠١

غيّبها عن الأبصار السّحابُ، وإنّي لأمانٌ لأهل الأرض كما أنّ النّجومُ أمانٌ لأهل السّماء.

فأغلقوا أبوابَ السؤال عَمّا لا يعنيكم ولا تتكلّفوا علْم ما قد كُفيتُمْ وأكْثِروا الدُّعاء بتعجيل الفَرَجْ فإنَّ ذلك فرجكم.

والسّلامُ عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتّبع الهُدى[1].

ورُوِيَ عنه قال: إنَّ صاحب هذا الأمر لَيَحْضرَ الموسم مع الناس كُلَّ سَنَةٍ يرى النّاس فيعرفُهُم ويرونَهُ ولا يعرفونه.

ورُوي أنّه قيل له: رأيتَ صاحِبَ هذا الأمر؟

قال: نَعَم واخِرُ عَهْدي به عندَ بيتِ الله الحرام وهو يقول: اللّهم أنجز لي ما وعدتني.

وعنه أيضاً قال: رأيتهُ صلواتُ اللهِ عليه متعلّقاً بأستار الكَعْبةِ في المستجار وهو يقول: اللّهم انتقم بي من أعدائك.

وقال ابن نوح: أخبرني أبو نصر هبةُ الله بن محمّد، قال: حدّثني أبو علي بن أبي جَيد القمّي، قال: حدثني أبو الحسن عليّ بن أحمد الدّلال القمّي، قال: دَخَلتُ على أبي جعفر محمد بن عثمان رضي الله عنه يوماً لأُسلِّمَ عليه، فوجدتُهُ وبين يديه ساجةٌ ونقّاش ينقش عليها ويكتب اياً من القرآن، وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيها، فقلت له: يا سيّدي ما هذه الساجة، فقال لي هذه لقبري تكونُ فيه أُضع عليها، أو قال: أُسند إليها وقد عزفت منه، وأنا في كُلِّ يوم أنزل فيه فأقرأ جُزْءاً من القرآن فأصعد، وأظنّه

---

(١) كمال الدين ٢/ ٢٢٥، الاحتجاج ٢/ ٤٦٩، بحار الأنوار ٥٣/ ١٨٠، إعلام الورى ٢/ ٤٥٢.

قال : فأخذ بيدي وأرانيه ، فإذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا من سنة كذا كذا صرتُ إلى الله عزَّ وجل ودُفِنْتَ فيه .

وهذه السَاجةُ معي فلمّا خَرَجْتُ من عندِهِ أثبتُّ ما ذَكَرَهُ ولم أزل مترقّباً به ذلك ، فما تأخّر الأمرُ حتى اعتلَّ أبو جعفر فماتَ في اليوم الذي ذَكَرَهُ من الشّهر الذي قاله من السنة التي ذكرها ودفن فيه .

قال أبو نصر هبةَ الله : وقد سمعتُ هذا الحديث من غير أبي علي وحدَّثتني به أيضاً أمّ كلثوم بنت أبي جعفر رضي الله عنها .

وروي أيضاً أنّه حفَرَ لنفسِهِ قبراً وسوّاه بالسّاج ونَقَشَ فيه اياتٍ من القران وأسماء الأئمة عليهم السلام على حواشيه ، قيل سُئِلَ عن ذلك فقال : للناس أسبابٌ وكان في كلِّ يومٍ ينزلُ في قبره ويقرأ جُزءاً من القرآن ثمّ يصعد[1] .

قال العلامة الحلي : ثمّ سُئِلَ بعد ذلك فقال : قد أُمِرْتُ أنْ أجمع أمري ، فمات بعد شهرين من ذلك في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثمائة ، وقيل سنة أربع وثلاثمائة ، وقال عند موته : أُمِرْت أنْ أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن رُوح وأوصى إليه[2] ، وقبرُهُ ببغداد مُشيَّد ويُعرَف : بالشيَخ الخلاّني .

---

(١) بحار الأنوار / ٥١ / ٣٤٧ .

(٢) خلاصة الأقوال العلامة الحلي القسم الأول ١٤٩ .

التوقيعات التي صدرت بواسطته

وامتازَتْ فترُة الغَيْبَةِ الصُّغرى بالإضافة إلى السُّفراء الأربعة بأمور :

منها : إمكان الارتباط والمشاهدة في حدود ضيّقة للخواصّ من شيعته .

ومنها : خروجُ التوقيعات والمكاتبات من ناحيته المقدسة إلى شيعته عبر سفرائه والإجابة على أسئلتهم ورسائلهم .

فيجبُ أن نعلَمَ أنّ ما خرَجَ من التوقيعات في تلك الفترة ـ أعني الغيبة الصغرى ـ كانت تمتاز بأمور :

أولاً : أنّها كانت جميعاً بخطٍّ واحد ، وهو خَطُّ مولانا الإمام الحسن العسكري عليه السلام والسرُّ في ذلك أنّ الإمام عليه السلام لمّا كان غائباً عن شيعته فكان من الضروريّ جدّاً أنْ يُكاتِبهُمْ بطريقةٍ مألوفة عندهم ، مَعْرُوفةٍ في أوساطهم وأفضَلُ طريقٍ يثقُ به شيعتُهُم لاعتيادهم عليه خلال فترة إمامة الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام حيثُ بدأتْ طريقة المكاتبة والمراسلة بين الإمامين عليهما السلام وشيعتهم ، لانقطاع الشيعة عنهما ، وحيلولةِ النّظام الحاكم بينهم وبين إمامهم

وأفضل طريق لاطمئنان قلوب الشيعة بأنّ ما يخرُجُ إليهم إنّما هو من إمام زمَانِهم هو ما صَنَعهُ مولانا القائمُ صلواتُ الله عليه في اتّخاذ خطّ أبيه الذي اشتهر لدى الشّيعة حينذاك للاتّصال بشيعته ، وبَثّ الاطمئنان في قلوبهم ، ليقطعوا بأنَّ ما يَخْرُجُ إليهم إنّما هو صَادِرٌ من إمام زمانهم ، ولا

يسري الشكّ إليهم في ما نُسِبَ إليه عليه السلام ، وهذا التعمّد من الإمام صاحب الأمر جاء لمصلحةٍ بترسيخ روح الإيمان واليقين فيهم ، إذن كانت التوقيعات المراسلات جميعها بخطٍّ واحد طيلة الغيبة الصّغرى حتّى نُسِبَ الخط إليه عليه السلام فكان يقال إنّ هذا التوقيعُ بخطّ مولانا صاحِبِ الدّار[1].

ثانيا : أنّها كانَتْ عبارةَ عن كلماتٍ قصار مختصرة مفيدة ، تخبر عن حقائق ، أو تأمر بأشياء ، أو تجيب عن سؤال ، أو جملةٍ من الأسئلة الواردة عليه في أيّ حقلٍ من الحقول الفقهية أو الاجتماعية أو السياسية أو غيرها .

ثالثاً : أنّها لم تخرج إلى أصحابها مباشرةً بل كانت تَخرَجُ بواسِطةِ السّفير الذي يتولىّ النّيابة الخاصّة عنه عليه السلام ، فكانَ خَرُوُجُها من مهامّ السُّفراء الأربعة كُلٌّ من موْقِعِهِ وخِلال فترة سفارته .

رابعاً : أنّها عندما كانت عبارةَ عن ردّ وإجابةٍ على أسئلةِ شيَعتِهِ كانت تصدرُ أحياناً في اليوم ذاتِه الذي تمّ تسليم الكتاب فيه إلى السّفير ، بل رُبّما الردّ والمداد رطب لم يجفّ به ، أو جاء الجوابُ مكتوباً كالبرق الخاطف ، فيرى الجواب مكتوباً على الورقة قبل أن يسلّم الكتاب إلى السفير ، وكانت الردود والإجابات في العادة تستغرقُ يومين أو ثلاثة أو حتى أياماً .

خامساً : أنّ التوقيع وإنّ كان عادةً يُطْلَقُ على المكاتبات الخطّية والرسائل المكتوبة إلاّ أنّها كانت تخرجُ أحيانا شفوية يبلّغها السفير لأصحابها وكان يَطْلَقُ عليها التّوقيع أيضاً . فالتوقيعاتُ المشارُ إليها هنا أعمُّ من المراسلات الشفوية والخطية .

---

(١) الغيبة ٢١٦

سادساً : إنّ السفير رُبّما دوّنَ جملةَ من الأسئلة في ورقةٍ واحدة وأوصلها إلى الإمام أو كانت الإجابة على الأسئلة المتفرّقة تَرِدُ من النّاحيَةِ المقدّسه دفْعةً واحدة وفي ورقة موحّدة .

ولا ننسى أخيراً أنْ نحيطَ القارئَ الكريم علماً بأنه عليه السلام ما كان يُجيبُ عن كُلِّ ما يَرِدُ عليه من الأسئلة ، وما كانَ يردّ على جميع ما يرِدُه من مراسلات ، بل هُناكَ رسائلُ وأسئلةٌ وجّهت إليه أرواحُنا فِداهُ ما استلَمَ أصحابُها الردَّ والجواب .

ويمكِنُ تلخيصُ تلكَ التّوقيعات تحتَ العناوين التالية :

١- تعيين السفير أو تأييده .

٢- تنبيه السفراء وتحذيرهم من المؤامرات والدسائس التي تحاكُ ضدّهم سواء من الأنظمة والخلفاء أو من غيرهم .

٣- الدعاء لمن سأله قضاء حاجته بالدّعاء ، وإخبارهم عن قضاء حوائجهم .

٤- عدم الإذن لمن استأذنه بالسفر .

٥- منع عازم السفر إلى الحج وإخباره بأنه سيحج من قابل .

٦- الدعاء للمريض بالشفاء .

٧- الدّعاء لجمع شمل الزوجين .

٨- طلبُ الوَلَدِ لمن سأله ذلك .

٩- إخبار السفير بدنوّ أجله .

١٠- تعزية السفير عند فقد أبيه .

١١- تعزيةُ الشّيعةِ ببعض خواصّه.

١٢ إخبارُ السفيرِ بانقطاعِ السّفارة من بعده وبدأ الغيبة الكبرى ونهيه عن تنصيب من ينوب عنه.

١٣ الإخبارُ بامتناع المشاهدةَ قبل الصيحة وخروج السفياني.

١٤ الأمرُ بتكذيب مَنْ يدّعي المشاهدة في الغيبة الكبرى.

أمّا التوقيعات التي خَرجتْ على أيدي السّفير الثاني رضي الله عنه فهي كثيرة أيضاً. فنذكرُ منها جملةً على نحو الاختصار.

فقد ذكر الشّيخ بالغيبة من عدة طرق استفتاءات محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن بعض المسائل فخرجَ التوقيعُ بواسطة محمّد بن عثمان العمري رحمه الله، وهذا نصُّه: بسم الله الرحمن الرحيم:

أطال اللهُ بقاءك وأدام عِزّكَ وتأييدكَ وسعادتك وسلامتك، وأتمَّ نعمته وزاد في إحسانه إليك وجميل مواهبه لديك وفضله عندك، وجَعَلني من السّوء فداك وقدّمني قبلك الناس، يتنافسون في الدرجات، فمن قبلتموه كان مقبولاً ومن دفعتموه كان وضيعاً. والخامل من وضعتموه، ونعوذ بالله من ذلك.

وببلدنا أيدك الله جماعة من الوجوه يتساووْن ويتنافسون في المنزلة وورَدَ أيّدك الله كتابك إلى جماعةٍ منهم في أمرٍ أمرْتهم به من معاونة، وأخرج علي بن محمد بن الحسين بن مالك المعروف بمالك بادوكة وهو ختَن، رحمهم الله من بينهم فاغتم بذلك، وسألني أيّدك الله أنْ أُعلمك ما نالهُ من ذلك، فإنْ كان من ذنب استغفر الله منه، وإنْ يكن غيرَ ذلك عرّفته ما يسكّن نفسه إليه إن شاء الله.

التوقيع : لم نكاتب إلا من كاتبنا .

وقد عودتني أدام الله عزّكَ من تفضُّلك ما أنت أهل أنْ تجزيني على العادة وقبلك أعزّكَ الله فقهاء أنا محتاجٌ إلى أشياء تسأل لي عنها . فروى لنا عن العالم عليه السلام أنّه سئل عن إمامِ قوم صلّى بهم بعض صلاتهم وحدثت عليه حادثة كيف يعمل من خلفه ، فقال يُؤخِّر ويُقَدِّم بعضهم ويتمّ صلاتهم ويغتسلُ مَنْ مَسَّه .

التوقيع : ليس على من نحّاه إلاّ غسل اليد ، وإذا لم تَحْدُثْ حادثةٌ تَقْطَعُ الصلاة تَمّم صلاته مع القوم .

وروي عن العالم عليه السلام أنّ مَنْ مسّ ميتاً بحرارته غَسل يدهُ ومنْ مسّهُ وقد برد فعليه الغسل ، وهذا الإمام في هذه الحالة لا يكون مسُّهُ إلاّ بحرارته والعمل من ذلك على هو ، ولعلّه يُنَحّيهُ بثيابه ولا يمسه فكيف يجبُ عليه الغسل .

التوقيع : إذا مَسّهُ على هذه الحال لم يكن عليه إلاّ غسل يده .

وعَنْ صَلاَةِ جعفر إذا سَها في التّسبيح في قيامٍ أو قُعُودِ أو ركوع أو سجود وذكره في حالة أخرى ، قد صار فيها من هذه الصّلاه هل يعيدُ ما فاته من ذلك التَّسبيح في الحالة التي ذكرها أم يتجاوزُ في صلاته .

التوقيعُ : إذا هو سها في حالةٍ من ذلك ثمّ ذكر في حالةٍ أخرى قَضَى ما فاته في الحالة التي ذكر .

وعن المرأة يموتُ زوجها هل يجوز أن تخرج في جنازته أم لا .

التوقيع : تَخْرُجُ في جنازته .

وهل يجوزُ لها وهي في عِدّتها أنْ تزور قبر زوجها أم لا.

التوقيع : تزورُ قبر زوجها ولا تبيتُ عن بيتها.

وهل يجوزُ لها أنْ تخرُجُ في قضاءِ حَقٍّ يلزَمُهُا أم لا تبرح من بيتها وهي في عدّتها.

التوقيع : إذا كان حَقٌّ خرجت وقضنه وإذا كانت لها حاجة لم يكن لها منْ ينظر فيها خرَجتْ لها حتىّ تقضي ولا تَبيتُ عن منزلها.

ورْوي في ثوابِ القرانِ في الفرائض وغيره أن العالم عليه السلام قال : عجباً لمن لم يقرأ في صلاته ((إنا أنزلناه في ليلة القدر)) كيف تقبل صلاته ، ورُويَ ما زكت صلاة لم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ، ورُويَ أنَّ مَنْ قرأ في فرائضه أعطي من الدنيا ، فهل يجوزُ أنْ يقرأ الهُمَزَةَ ويَدَعَ هذه السّور التي ذكرناها مَع ما قد رُوي أنه تقبل الصلاة ولا تزكو إلا بهما.

التوقيع : الثوابُ في السّور على ما قد روي وإذا ترك سورة مما فيها الثواب ، وقرأ ((قل هو الله أحد)) ((وإنا أنزلناه)) لفضلهما أُعطي ثوابَ ما قرأ وثواب السور التي ترك ، ويجوز أن يقرأ غيرَ هاتين السُّورَتين وتكونُ صلاتُهُ تامَة ولكن يكونُ قد ترَكَ الفَضْل.

وعن وداعِ شَهْرِ رمضان متى يكون فقد اختلفَ فيه أصحابُنا فبعضهم يقول : يقرأ في آخر ليلةٍ منه ، وبعضهم يقول : هو في آخر يوم منه إذا رأى هلال شوال.

التوقيع : العمل في شهر رمضان في لياليه والوداع يقعُ في آخر ليلة منه ، فإنْ خاف أنْ ينقص جعله في ليلتين.

وعن قول الله عزَّ وجل إنه : ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أن رسول الله ﷺ المعنّي به ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ما هذه القوة ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[1] ما هذه الطاعة وأين هي ؟ فرأيك أدام الله عزّك بالتفضُّل عليّ بمسأله من تثق به من الفقهاء عن هذه المسائل وإجابتي عنها مُنعِماً ، مع ما تشرحه لي من أمر محمّد بن الحسين بن مالك المقدّم ذكره بما يسكن إليه ويعتدّ بنعمة اللهِ عنده ، وتفضّل عليّ بدعاءٍ جامع لي ولإخواني للدُّنيا والآخرة فعلت مثاباً إنْ شاء الله .

التوقيع : جَمَعَ اللهُ لك ولإخوانك خَيْرَ الدُّنيا والاخرة .

أطالَ اللهُ بقاءك وأدامَ عزّك وتأييدك وكرامتك وسعادتك وسلامتك وأتمّ نعمتَه عليك ، وزاد في إحسانه إليك ، وجميل مواهبه لديك ، وفضله عندك وجعلني من كُلِّ سوءٍ ومكروهٍ فداك ، وقدّمني قِبَلَكْ ، الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين[2] .

وأخرجَ الشيخُ الصّدوق في كمال الدّين عن جملةٍ من الرّواة وأغلبهم ثقات توقيعاً ، فيه دعاء يُدعى فيه بزمن غيبته عليه السلام عن أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب ، قال : حدثنا أبو علي بن همّام بهذا الدعاء ، وذكر أنّ الشيخ ـ أي السفير الثاني ـ قدّس الله روحه أملاه عليه ، وأمره أنْ يدعوَ به ، وهو الدعاء في غيبة القائم عليه السلام وهذا هو نصُّ الدّعاء :

---

(١) سورة الكوثر الاية /١٩ـ ٢٠ ـ ٢١.

(٢) الغيبة / ٢٧٤ ، الاحتجاج /٤٨١/٢ ، بحار الأنوار /٥٣/ ٣٦

اللّهمّ عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف رسولك .

اللّهمّ عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك.

اللّهمّ عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني .

اللّهمّ لا تمتني ميتةً جاهليةً ، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللّهمّ فكما هديتني بولاية من فرضت طاعته عليّ ، من ولاة أمرك بعد رسولك صلواتك عليه وآله ، حتّى واليت ولاة أمرك ، أمير المؤمنين ، والحسن والحسين ، وعليّاً ، ومحمّداً ، وجعفراً ، وموسى ، وعليّاً ، ومحمّداً ، وعليّاً والحسن ، والحجّة القائم المهديّ صلواتك عليهم أجمعين .

اللّهمّ فثبّتني على دينك واستعملني بطاعتك ، وليّن قلبي لوليّ أمرك وعافني ممّا امتحنت به خلقك ، وثبّتني على طاعة وليّ أمرك الّذي سترته عن خلقك ، فبإذنك غاب عن بريّتك وأمرك ينتظر ، وأنت العالم غير معلّم بالوقت الّذي فيه صلاح أمر وليّك في الإذن له بإظهار أمره ، وكشف سرّه وصبّرني على ذلك حتّى لا أحبّ تعجيل ما أخّرت ، ولا تأخير ما عجّلت ، ولا أكشف عمّا سترته ، ولا أبحث عمّا كتمته ، ولا أنازعك في تدبيرك ، ولا أقول لم وكيف ، وما بال وليّ أمر الله لا يظهر ، وقد امتلأت الأرض من الجور ، وأفوّض أموري كلّها إليك .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُرِيَنِي وَلِيَّ أَمْرِكَ ظَاهِراً نَافِذاً لِأَمْرِكَ ، مَعَ عِلْمِي بِأَنَّ لَكَ السُّلْطَانَ وَالْقُدْرَةَ ، وَالْبُرْهَانَ ، وَالْحُجَّةَ ، وَالْمَشِيَّةَ ، وَالْإِرَادَةَ وَالْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ ، فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي وَبِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى وَلِيِّكَ ظَاهِرَ الْمَقَالَةِ ، وَاضِحَ الدَّلَالَةِ ، هَادِياً مِنَ الضَّلَالَةِ ، شَافِياً مِنَ الْجَهَالَةِ ، أَبْرِزْ يَا رَبِّ مَشَاهِدَهُ ، وَثَبِّتْ قَوَاعِدَهُ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ تَقَرُّ عَيْنُنَا بِرُؤْيَتِهِ ، وَأَقِمْنَا بِخِدْمَتِهِ وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ .

اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ مَا خَلَقْتَ وَبَرَأْتَ وَذَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، وَمِنْ فَوْقِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ ، وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَوَصِيَّ رَسُولِكَ .

اللَّهُمَّ وَمُدَّ فِي عُمُرِهِ ، وَزِدْ فِي أَجَلِهِ ، وَأَعِنْهُ عَلَى مَا أَوْلَيْتَهُ وَاسْتَرْعَيْتَهُ وَزِدْ فِي كَرَامَتِكَ لَهُ ، فَإِنَّهُ الْهَادِي الْمَهْدِيُّ ، الْقَائِمُ الْمُهْتَدِي ، الطَّاهِرُ التَّقِيُّ النَّقِيُّ الزَّكِيُّ ، الرَّضِيُّ الْمَرْضِيُّ ، الصَّابِرُ الْمُجْتَهِدُ الشَّكُورُ .

اللَّهُمَّ وَلَا تَسْلُبْنَا الْيَقِينَ لِطُولِ الْأَمَدِ فِي غَيْبَتِهِ ، وَانْقِطَاعِ خَبَرِهِ عَنَّا ، وَلَا تُنْسِنَا ذِكْرَهُ وَانْتِظَارَهُ ، وَالْإِيمَانَ بِهِ وَقُوَّةَ الْيَقِينِ فِي ظُهُورِهِ ، وَالدُّعَاءَ لَهُ وَالصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، حَتَّى لَا يُقَنِّطَنَا طُولُ غَيْبَتِهِ مِنْ ظُهُورِهِ وَقِيَامِهِ ، وَيَكُونَ يَقِينُنَا فِي ذَلِكَ كَيَقِينِنَا فِي قِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ وَحْيِكَ ، وَتَنْزِيلِكَ فَقَوِّ قُلُوبَنَا عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ ، حَتَّى تَسْلُكَ بِنَا عَلَى يَدِهِ مِنْهَاجَ الْهُدَى ، وَالْمَحَجَّةَ الْعُظْمَى ، وَالطَّرِيقَةَ الْوُسْطَى ، وَقَوِّنَا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَثَبِّتْنَا عَلَى

مُشَايَعَتِهِ وَاجْعَلْنَا فِي حِزْبِهِ وَأَعْوَانِهِ ، وَأَنْصَارِهِ وَالرَّاضِينَ بِفِعْلِهِ ، وَلَا تَسْلُبْنَا ذَلِكَ فِي حَيَاتِنَا وَلَا عِنْدَ وَفَاتِنَا ، حَتَّى تَتَوَفَّانَا وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ شَاكِّينَ ، وَلَا نَاكِثِينَ وَلَا مُرْتَابِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ .

اللَّهُمَّ عَجِّلْ فَرَجَهُ وَأَيِّدْهُ بِالنَّصْرِ ، وَانْصُرْ نَاصِرِيهِ ، وَاخْذُلْ خَاذِلِيهِ وَدَمْدِمْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ وَكَذَّبَ بِهِ ، وَأَظْهِرْ بِهِ الْحَقَّ وَأَمِتْ بِهِ الْجَوْرَ وَاسْتَنْقِذْ بِهِ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الذُّلِّ ، وَانْعَشْ بِهِ الْبِلَادَ ، وَاقْتُلْ بِهِ الْجَبَابِرَةَ الْكَفَرَةَ ، وَاقْصِمْ بِهِ رُءُوسَ الضَّلَالَةِ ، وَذَلِّلْ بِهِ الْجَبَّارِينَ وَالْكَافِرِينَ ، وَأَبِرْ بِهِ الْمُنَافِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ ، وَجَمِيعَ الْمُخَالِفِينَ وَالْمُلْحِدِينَ ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا ، وَبَحْرِهَا وَبَرِّهَا ، وَسَهْلِهَا وَجَبَلِهَا ، حَتَّى لَا تَدَعَ مِنْهُمْ دَيَّاراً ، وَلَا تُبْقِيَ لَهُمْ آثَاراً ، وَتُطَهِّرَ مِنْهُمْ بِلَادَكَ ، وَاشْفِ مِنْهُمْ صُدُورَ عِبَادِكَ ، وَجَدِّدْ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ ، وَأَصْلِحْ بِهِ مَا بُدِّلَ مِنْ حُكْمِكَ وَغُيِّرَ مِنْ سُنَّتِكَ ، حَتَّى يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدِهِ غَضّاً جَدِيداً صَحِيحاً لَا عِوَجَ فِيهِ وَلَا بِدْعَةَ مَعَهُ ، حَتَّى تُطْفِئَ بِعَدْلِهِ نِيرَانَ الْكَافِرِينَ ، فَإِنَّهُ عَبْدُكَ الَّذِي اسْتَخْلَصْتَهُ لِنَفْسِكَ وَارْتَضَيْتَهُ لِنُصْرَةِ دِينِكَ ، وَاصْطَفَيْتَهُ بِعِلْمِكَ ، وَعَصَمْتَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَبَرَّأْتَهُ مِنَ الْعُيُوبِ ، وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى الْغُيُوبِ ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ، وَطَهَّرْتَهُ مِنَ الرِّجْسِ وَنَقَّيْتَهُ مِنَ الدَّنَسِ .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الْأَئِمَّةِ الطَّاهِرِينَ ، وَعَلَى شِيعَتِهِمُ الْمُنْتَجَبِينَ ، وَبَلِّغْهُمْ مِنْ آمَالِهِمْ أَفْضَلَ مَا يَأْمُلُونَ ، وَاجْعَلْ ذَلِكَ مِنَّا خَالِصاً مِنْ كُلِّ شَكٍّ ، وَشُبْهَةٍ وَرِيَاءٍ ، وَسُمْعَةٍ ، حَتَّى لَا نُرِيدَ بِهِ غَيْرَكَ ، وَلَا نَطْلُبَ بِهِ إِلَّا وَجْهَكَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ فَقْدَ نَبِيِّنَا ، وَغَيْبَةَ وَلِيِّنَا ، وَشِدَّةَ الزَّمَانِ عَلَيْنَا وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بِنَا ، وَتَظَاهُرَ الْأَعْدَاءِ ، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا ، اللَّهُمَّ فَافْرُجْ ذَلِكَ بِفَتْحٍ مِنْكَ تُعَجِّلُهُ ، وَبِصَبْرٍ مِنْكَ تُيَسِّرُهُ ، وَإِمَامِ عَدْلٍ تُظْهِرُهُ ، إِلَهَ الْحَقِّ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذَنَ لِوَلِيِّكَ فِي إِظْهَارِ عَدْلِكَ فِي عِبَادِكَ ، وَقَتْلِ أَعْدَائِكَ فِي بِلَادِكَ ، حَتَّى لَا تَدَعَ لِلْجَوْرِ دِعَامَةً إِلَّا قَصَمْتَهَا ، وَلَا بَنِيَّةً إِلَّا أَفْنَيْتَهَا ، وَلَا قُوَّةً إِلَّا أَوْهَنْتَهَا ، وَلَا رُكْناً إِلَّا هَدَدْتَهُ ، وَلَا حَدّاً إِلَّا فَلَلْتَهُ ، وَلَا سِلَاحاً إِلَّا كَلَلْتَهُ ، وَلَا رَايَةً إِلَّا نَكَسْتَهَا ، وَلَا شُجَاعاً إِلَّا قَتَلْتَهُ ، وَلَا حَيّاً إِلَّا خَذَلْتَهُ ارْمِهِمْ يَا رَبِّ بِحَجَرِكَ الدَّامِغِ ، وَاضْرِبْهُمْ بِسَيْفِكَ الْقَاطِعِ ، وَبِبَأْسِكَ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، وَعَذِّبْ أَعْدَاءَكَ وَأَعْدَاءَ رَسُولِكَ بِيَدِ وَلِيِّكَ وَأَيْدِي عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ .

اللَّهُمَّ اكْفِ وَلِيَّكَ وَحُجَّتَكَ فِي أَرْضِكَ هَوْلَ عَدُوِّهِ ، وَكِدْ مَنْ كَادَهُ بِمَنْ مَكَرَ بِهِ ، وَاجْعَلْ دَائِرَةَ السَّوْءِ عَلَى مَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءاً ، وَاقْطَعْ عَنْهُ مَادَّتَهُمْ وَأَرْعِبْ بِهِ قُلُوبَهُمْ ، وَزَلْزِلْ لَهُ أَقْدَامَهُمْ ، وَخُذْهُمْ جَهْرَةً وَبَغْتَةً ، شَدِّدْ عَلَيْهِمْ عِقَابَكَ ، وَأَخْزِهِمْ فِي عِبَادِكَ وَالْعَنْهُمْ فِي بِلَادِكَ ، وَأَسْكِنْهُمْ أَسْفَلَ نَارِكَ وَأَحِطْ بِهِمْ أَشَدَّ عَذَابِكَ ، وَأَصْلِهِمْ نَاراً

وَاحْشُ قُبُورَ مَوْتَاهُمْ نَاراً ، وَأَصْلِهِمْ حَرَّ نَارِكَ ، فَإِنَّهُمْ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ وَأَذَلُّوا عِبَادَكَ .

اللَّهُمَّ وَأَحْيِ بِوَلِيِّكَ الْقُرْآنَ وَأَرِنَا نُورَهُ سَرْمَداً لاَ ظُلْمَةَ فِيهِ ، وَأَحْيِ بِهِ الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ ، وَاشْفِ بِهِ الصُّدُورَ الْوَغِرَةَ ، وَاجْمَعْ بِهِ الأَهْوَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ عَلَى الْحَقِّ ، وَأَقِمْ بِهِ الْحُدُودَ الْمُعَطَّلَةَ وَالأَحْكَامَ الْمُهْمَلَةَ ، حَتَّى لاَ يَبْقَى حَقٌّ إِلاَّ ظَهَرَ وَلاَ عَدْلٌ إِلاَّ زَهَرَ ، وَاجْعَلْنَا يَا رَبِّ مِنْ أَعْوَانِهِ وَمِمَّنْ يُقَوِّي سُلْطَانَهُ وَالْمُؤْتَمِرِينَ لأَمْرِهِ وَالرَّاضِينَ ، بِفِعْلِهِ وَالْمُسَلِّمِينَ لأَحْكَامِهِ ، وَمِمَّنْ لاَ حَاجَةَ بِهِ إِلَى التَّقِيَّةِ مِنْ خَلْقِكَ ، أَنْتَ يَا رَبِّ الَّذِي تَكْشِفُ السُّوءَ ، وَتُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاكَ ، وَتُنَجِّي مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، فَاكْشِفِ الضُّرَّ عَنْ وَلِيِّكَ وَاجْعَلْهُ خَلِيفَتَكَ فِي أَرْضِكَ كَمَا ضَمِنْتَ لَهُ .

اللَّهُمَّ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنْ خُصَمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنْ أَعْدَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ ، وَلاَ تَجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْحَنَقِ وَالْغَيْظِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ فَأَعِذْنِي ، وَاسْتَجِيرُ بِكَ فَأَجِرْنِي .

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَجْعَلْنِي بِهِمْ فَائِزاً عِنْدَكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وإنما ذكرت هذه الدعاء بكامله لأهمية قراءته في زمن الغيبة .

هذا وقد ورد الكثيرُ من الأدعية والزيارات عن طريق توقيعات السفير الثاني نشير إليها هنا على نحو الإجمال ، وأهمّ هذه الأدعية والزيارات هي :

دعاء الحجة في كُلِّ يومٍ من شهر رجَب ، ودعاء الافتتاح الذي يقرأ في ليالي رمضان ، وهو من أهمّ الأدعية في لغته وأسلوبه ومضامينه العقائدية ، فهذا الجانبُ ملحوظ لدى كُلّ من قرأه ، ودعاء المهدي للفرج ، وزيارة آل يس التي وردت عن طريق محمّد بن عبد الله الشيباني قال : إنّ أبا جعفر محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري أخبره وأجاز له جميعَ ما رواه أنّه خرج إليه توقيع من الناحية المقدسة.[1] وغيرها ، ومَن أرادها فليطلبها من المصادر المشار إليها .

---

(١) انظر إقبال الأعمال ابن طاووس / ٦٤٦ فصل فيما نذكره من الدعوات ، البلد الأمين / ١٧٩ الكفعمي ادعيه شهر رجب . المصباح الكفعمي / ٥٢٩ الفصل الثالث والأربعون . بحار الأنوار /٩٥/ ٣٩٢ باب ٢٣ اعمال مطلق أيام شهر رجب ، من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق /٥٢٩/٢ باب نوادر الحج والغريب من الشيخ عباس القمي لم يذكر انه صدر عن طريق السفير الثاني ونسبته للإمام .

مدّعوا السّفارة في عصره

١-**أحمد بن هلال الكرخي العبرتائي**[١] ، المولود سنة ١٨٠ المتوفى سنة ٢٦٧هـ هو أوّلُ مَنْ ادعى السّفارة في زمان محمّد بن عثمان رضي الله عنه قد عاصر الإمام الرضا والجواد ، والعسكريين صلوات الله عليهم ، وعاصَرَ الغيبة الصُغرى لسبع سنين ، كما ذكرنا ذلك ، له كتاب يوم وليلة ، وكتاب النوادر[٢] أتخذ مسلك التصوّف ، وحَجّ أربعاً وخمسين حجّة ، عشرونَ منها على قدميه ، لقِيَهُ أصحابُنا بالعراق وكَتبوا عنه[٣].

لم يدّع السفارة في عهد السّفير الأول ، وإنّما أدّعاها في زمن السّفير الثاني ، وأنكر النصّ عليه بالسّفارة ، وإنْ اعترف بالنصّ على أبيه عثمان بن سعيد عليهما الرحمة والرضوان[٤].

ذمّه الإمام العسكري عليه السلام على ما روي عنه[٥] ومن بعده ذمّه مولانا صاحب الأمر فكتب إلى وكلائه بالعراق ((احذروا الصّوفيّ المتصنّع)) وورد على بن القاسم نسخةُ ما كان خرَجَ من لعن ابن هلال ، ولما أنكر رواةُ

---

(١) رجال النجاشي / ٦٥ ، رجال الكشي / ٤٤٩ .

(٢) رجال النجاشي / ٦٥ .

(٣) رجال الكشي / ٤٤٩ .

(٤) الغيبة / ٢٤٥

(٥) رجال الكشي / ٦٥

أصحابنا بالعراق ذلك لروايتهم عنه ، خرَجَ التوقيع التالي من ناحيته المقدسه : ((قد كان أمرُنا نَفَذَ إليك في المتصنّع ابن هلال لا رحمه الله بما قد علمت ولم يزل لا غفر الله ذنبه ولا أقال عثرته ، يُداخلُنا في أمرنا بلا إذن منّا ، ولا رضىً يستبدّ برأيه فتحامى ديوننا ، لا يمضي من أمرنا إيّاه إلاّ بما يهواه ويريده ، أرداه الله في ذلك في نار جهنم ، فصبرنا عليه حتىّ بتر الله بدعوتنا عمره ، وكنّا قد عرّفنا خبره قوماً من موالينا في أيامه ـ لا رحمه الله ـ وأمرناهم بإلقاء ذلك إلى الخاصّ من موالينا ، ونحنُ نبرأ إلى الله من ابن هلال ، لا رحمه الله ولا ممّن لا يبرأ منه ، وأعلم الإسحاقيّ سلّمه الله وأهل بيته بما أعلمناك من حال هذا الفاجر ، وجميع من كان سألك ويسألُكَ عنه من أهلِ بَلَدِه والخارجيّ ، ومنْ كان يستحقُّ أنْ يطّلع على ذلك ، فإنّه لا عُذْرَ لأحدٍ من موالينا في التّشكيك في ما روى عنّا ثقاتنا ، قد عرفوا بأنّنا نفاوضهم بسرّنا ونحمله إيّاه إليهم ، وعرفنا ما يكون من ذلك إن شاء الله تعالى)) .

وخرج في مذمته توقيعٌ آخر يقول : ((لا شَكَرَ اللهُ قدره ، لم يدع المرزءة بأنْ لا يزيغ قلبه بعد أنْ هداه ، وأنْ يجعل ما مَنّ به عليه مستقراً ، ولا يجعله مستودعاً ، وقد علمتم ما كانَ من أمرِ الدّهقان لعنه الله وخدمته وطول صُحبته ، فأبدله الله بالإيمان كُفْراً ، حين فعَلَ ما فعل ، فعاجَلَهُ اللهُ بالنّقمة ولم يمهله ، والحمد لله لا شريك له ، وصلّى الله على محمد وآله وسلم))[1].

---

(١) رجال الكشي / ٤٥٠

وحين لم يكفّ أتباعه عن الاعتقاد به والدعوة إليه خرج توقيع ثالث ضدّه على يد الشّيخ أبي القاسم بن روح السفير الثالث رضي الله عنه بلعنه والبراءة منه[1].

٢ **محمد بن علي بن بلال المعروف بأبي البلالي**[2] وقد ذكرناه سابقاً عند تعرُّضنا لحياة السفير الأول رضي الله عنه وهو ممّن كان وكيلاً للإمام العسكري عليه السلام وعَدّه ابن طاووس من السّفراء الموجودين في الغيبة الصُّغرى والأبواب المعروفين، وظاهرُهُ كونُهُ بمنزلة القاسم بن العلا والأشعريّ، والأسدي ونحوهم من الوكلاء في الوثاقة والجلالة[3]، غير أنَّ الشيخ الطوسي ذكره في المذمومين ممّن ادّعوا البابيّة والسّفارة الخاصة، ولهذا توقف العلامة الحلي عن مرويّاته[4].

قال شيخ الطائفة رحمه الله: ((وقصّتُهُ معروفة في ما جَرَى بينه وبين أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري نَضَّرَ اللهُ وجهه وتمسّكه بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتناعه من تسليمها، وادّعائه أنّهُ الوكيلُ، حتّى تبرأت الجماعةُ منه ولعنوه، وخَرَجَ فيه من صاحِبِ الزّمان ما هو معروف)).

وحكى أبو غالب الرازي قال: حدّثني أبو الحسن محمّد بن محمد بن يحيى المعاذي قال: كان رجل من أصحابنا قد انضوى إلى أبي طاهر بن بلال بعد ما وقعت الفرقة ثمّ إنّه رجَعَ عن ذلك وصارَ في جملتنا، فسألناه عن

---

(١) الغيبة / ٢٤٥

(٢) المصدر السابق

(٣) جامع الرواة /١/ ١٥٣، خلاصة الأقوال / ٦٩.

(٤) خلاصة الأقوال / ٦٩.

السّبب قال : كنت عند أبي طاهر بن بلال يوماً ، وعنده أخوه أبو الطيّب وابن حرز وجماعة من أصحابه إذ دخلَ الغلام فقال : أبو جعفر على الباب ففزعتْ الجماعةُ لذلك وأنكرنه للحال التي كانت جرت .

وقال : يدخل ، فدخل أبو جعفر رضي الله عنه فقام له أبو طاهر والجماعه وجلس في صدر المجلس ، وجلس أبو طاهر كالجالس بين يديه ، إلى أنْ سكتوا ثم قال : يا أبا طاهر نشدتُكَ بالله ألم يأمرك صاحبُ الزمان بحمل ما عندك من المال إلي ؟ .

فقال : اللهم نعم .

فنهض أبو جعفر رضي الله عنه منصرفاً ووقعتْ على القوم سكْتةٌ ، فلمّا تجلّتْ عنهم ، قال له أخوه أبو الطيّب : من أين رأيتَ صاحب الزمان ؟

فقال أبو طاهر : أدخلني أبو جعفر رضي الله عنه إلى بعض دُوره فأشْرفَ عليَّ من علوّ داره فأمرني بحمل ما عندي من المال إليه .

فقال له أبو الطيب : ومن أين علمت أنه صاحب الزمان عليه السلام ؟ قال قد وَقَعَ عليَّ من الهيبة له ودخلنيَ من الرُّعب منه ، ما علمتْ أنه صاحب الزمان عليه السلام فكان هذا سَبَبُ انقطاعي عنه .

٣-محمّد بن نصير النميري[1] قال الشيخ في الغيبة قال ابن نوح : أخبرنا أبو نصر هبة الله ابن محمد ، قال : كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام فلمّا تُوفيّ أبو محمد ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنّه صاحبُ إمام الزمان ، وادّعى له البابيّة ، وفضحهُ

---

(١) الغيبة / ٢٤٤ ، رجال الكشي / ٤٣٨ .

اللهُ تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل ، ولَعْنِ أبي جعفر محمّد بن عثمان له وتبرّيه منه ، واحتجابه عنه . وادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي .

قال أبو طالب الأنباري : لمّا ظهر محمّد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر رضي الله عنه وتبرأ منه ، فبلغه ذلك فقصد أبا جعفر رضي الله عنه ليعطف بقلبه عليه أو يعتذر إليه فلم يأذن له وحجبه وردّهُ خائباً .

وقال سعد بن عبد الله : كان محمّد بن نصير النميري يدّعي أنه رسول نبيّ وأنّ عليّ بن محمد عليه السلام أرسله ، وكان يقول بالتناسخ ، ويغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالرّبوبية ، ويقولُ بالإباحة للمحارم ، وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ، ويَزْعُمُ أنَّ ذلك من التواضع والإخبات والتذلّل في المفعول به ، وأنه من الفاعل إحدى الشّهواتِ والطيّبات ، وأنَّ الله عز وجل لا يُحرِّمُ شيئاً من ذلك[1] .

وكان محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات[2] يقوّي أسبابه ويعضده ، أخبرني بذلك عن محمّد بن نصير أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان : أنه راه عياناً وغلامٌ على ظهره .

قال : فلقيتُهُ فعاتبتُهُ على ذلك فقال : إنّ هذا من اللّذات ، وهو من التواضع لله وترك التجبر .

---

(١) وتبعه على ذلك جماعة سموا بالنميرية . انظر رجال الكشي ، والغيبة ، وفرق الشيعة / ٩٣ . ومروج الذهب المسعودي /٤/ ٢١٣

(٢) آل الفرات من البيوتات الشيعية الموالية لآل البيت فقد اثنوا عليهم المؤرخون واصحاب السير ووصفوا بهذا الوصف ((وبنو الفرات من أجل الناس فضلاً وكرماً ونبلاً ووفاءً ومروءةً)). فما ذكر عن الشيخ فيه تأمل وتوقف انظر كتابنا تاريخ وزراء الشيعة الجزء الثاني .

قال سعد : فلمّا اعتلّ محمد بن نصير العلّة التي تُوفيّ فيها ، قيل له وهو مثقل اللسان : لمن هذا الأمر من بعدك ؟

فقال بلسان ضعيف مِلجاج : أحمد فلم يدروا من هو ، فافترقوا بعده ثلاث فرق قالت فرقة : أنّه أحمد ابنه ، وفرقة قالتْ : هو أحمد بن محمد بن موسى بن الفرات ، وفرقةً قالت : أنّه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد فتفرّقوا فلا يرجعون إلى شيء .

٤- أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالبغدادي :

وهو ابنُ أخي جعفر العمري السفير الثاني رضي الله عنه وحفيدُ السّفير الأول عثمان بن سعيد العمري رضي الله عنه قال شيخ الطائفة في الغيبة : أمْرُه في قِلّةِ العِلمِ والمروّة أشهرُ من أنْ يُذْكَر ، وقال عنه أيضاً : كان معروفاً لدى عمّه أبي جعفر بالانحراف ، ولم يَكُنْ معروفاً لدى أصحابه .

ولهذا حينَ دَخَلَ على أبي جعفر وبعض أصحابه وهم يتذاكرون أحاديث أهل البيت عليهم السلام بَصُرَ به أبو جعفر رضي الله عنه وقال للجماعة مُشيراً إليه أمسكوا ، فإنَّ هذا الجائي ليس من أصحابكم[1] .

وممّنْ صَحِبَهُ وتَبِعَهُ في دعواه المزعومة ، أبو دُلَفٍ محمّدُ بن المظفّر الكاتب ، وقد كان في ابتداء أمره مُخَمِّساً مشهوراً بذلك . والمُخمِّسةُ جماعةُ من الغلاة ذَهَبوا إلى القول بأنَّ الخمسة : سلمان ، وأبا ذر ، والمقداد ، وعمار وعمرو بن أمية هُمُ الموكّلون بمصالح العالم من قبل الربِّ جَلّ وعلا ، لأنّه كان تربية الكرْخيّين وتلميذهم وصنيعهم ، وكان الكرخيّونَ مُخمِّسة .

---

(١) الغيبة / ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

وكان يقول نقلني سيدنا الصالح قدس الله روحه ونوّر ضريحه عن مذهب أبي جعفر الكرخي إلى المذهب الصحيح يَعني أبا بكر البغدادي[١].

٥-الباقطاني :

وكان شيخاً مهيباً ذا أموال وغلمان وفرس كثير[٢].

٦-إسحاق الأحمر :

وكان شاباً نظيفاً أكثر مالاً وفرساً وغلماناً من الباقطاني[٣].

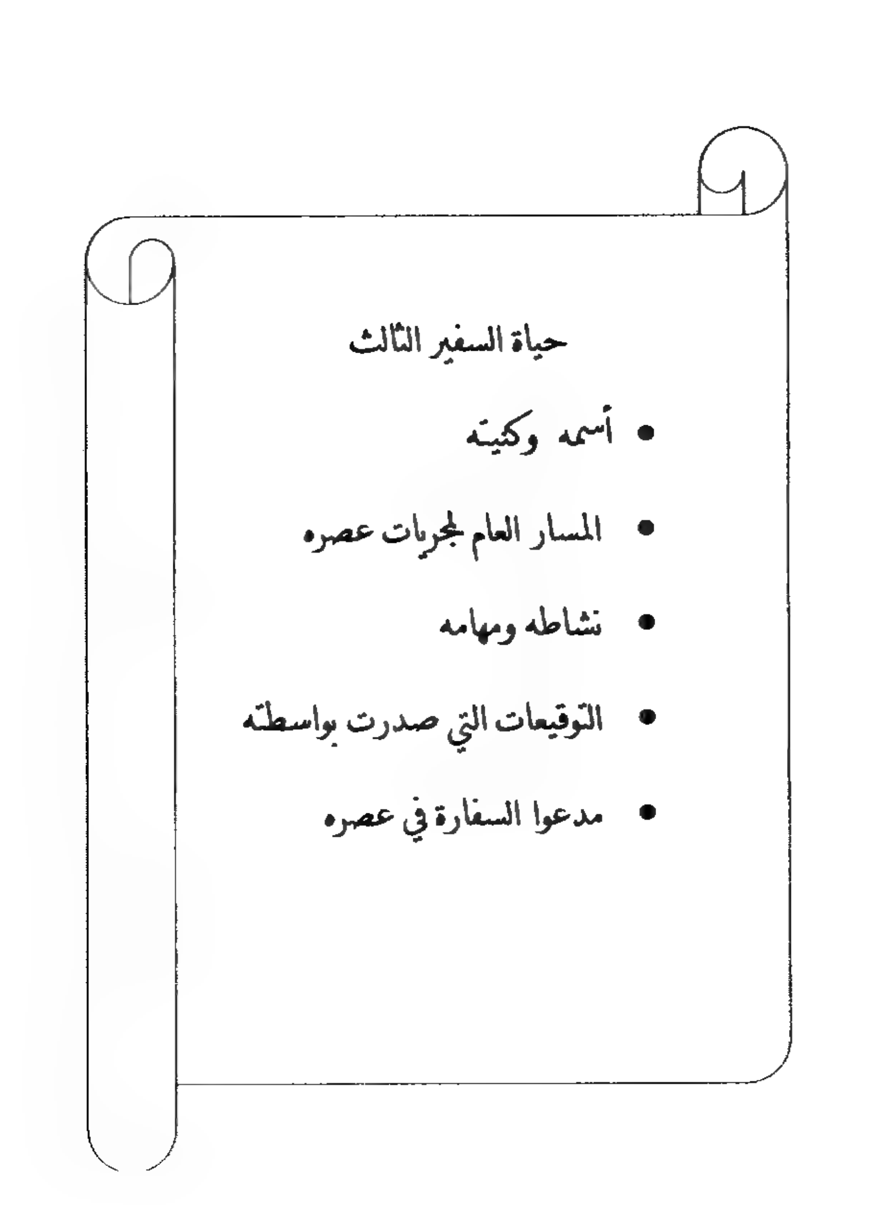
* * *

---

(١) المصدر السابق

(٢) بحار الأنوار/ ١٣ / ٧٩ .

(٣) بحار الأنوار/٥١ ; ٣٠١ .


حياة السفير الثالث
أسمه وكنيته
المسار العام لمجريات عصره
نشاطه ومهامه
التوقيعات التي صدرت بواسطته
مدعوا السفارة في عصره

حياةُ السّفير الثالث

إسمه و كنيته : أبو القاسم حُسين بن روح ابن أبي بحر النوبختي ، من بني نوبخت[١] قال ابن النّديم : آل نوبخت معروفون بولايةِ عليّ وولده ، وقال صاحب الرياض : بنو نوبخت طائفة معروفة من متكلمي علماء الشيعة[٢].

استلم منصب السِّفارة بعد وفاة أبي جعفر محمّد بن عثمان رضي الله عنه كما تشيرُ النّصوص لذلك مما لا شكّ فيه .

منها : ما ذكَرهُ الشيخُ في الغيبة : عن أبي عليّ محمد بن همام رضي الله عنه وأرضاه : أنَّ أبا جعفر محمّد بن عثمان جمَعَنا قبل موتهِ وكنّا وجوهَ الشّعة وشيوخها ، فقال لنا : إنْ حَدَثَ عليّ الموتُ فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي ، فقد أمرتُ أنْ أجعله موضعي بعدي ، فارجعوا إليه وعوّلوا في أموركم عليه[٣].

وروى عن أبي نَصْر هِبَةُ اللهِ بنُ محمّد ـ ابن بنتِ أم كلثوم ابنة الشيخ العمري رضي الله عنه قال : حدّثني خالي أبو إبراهيم جعفرُ بن أحمد النوبختي ، قال : قال لي أبي أحمد بن إبراهيم وعمّي أبو جعفر عبد الله بن إبراهيم وجماعةً من أهلنا ـ يعني بني نوبخت ـ إنّ أبا جعفر العمري لما اشتدتْ حاله اجتمع

---

(١) انظر ترجمته في المصادر التي سبقت الاشارة إليها .

(٢) الفهرست ابن النديم/٦٨ ، رياض العلماء/٢/٩٣ .

(٣) الغيبة/٢٢٧ .

جماعةٌ من وجوه الشيعة ، منهمٌ أبو عليّ بن همّام ، وأبو عبد الله بن محمد الكاتب ، وأبو عبد الله الباقطاني ، وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبد الله بن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر ، فدخلوا على أبي جعفر رضي الله عنه فقالوا له : إنْ حَدَثَ أمرٌ فمَنْ يكون مكانك ؟

فقال لهم : هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسّفير بينكم وبين صاحب الأمر ، والوكيل له والثّقةُ الأمينُ فارجعوا إليه في أموركم ، وعوّلوا عليه في مهمّاتكم فبذلك أُمِرْتُ وقد بلّغت[1].

وروى علي بن متيل عن عمّه ـ كما تقدّم نقل ذلك ـ جعفرُ بن أحمد بن متيل قال : لمّا حضرتْ أبا جعفر مُحمَّد بن عثمان العَمْريّ رضي الله عنه الوفاةَ كنتُ جالساً عند رأسه أسأله وأُحدِّثُهُ وأبو القاسم بن روح عند رجليه... فالتفت إليّ ثمّ قال أُمرتُ أنْ أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح .

قال رحمه الله : فقمتُ من عند رأسِهِ وأخذتُ بيد أبي القاسم وأجلستُهُ في مكاني وتحوّلتُ إلى عند رجليه[2].

وللشيخ ابن روح رضي الله عنه مثل غيره ممّن اختارهم الإمام المهدي لنيابته زمن الغيبة الصغرى صفاتٌ مميّزة قدّمَتهُ على غيره من العُلماءِ الذين عاصروه ونصوّرَ الكثيرون ـ لما مرّ علينا ـ ابتداءً أنّهم من سيتولّىَ الأمرَ دونه .

---

(١) الغيبه / ٢٤٧ ، بحار الأنوار /٥١ / ٣٥٥

(٢) كمال الدين / ٤٦٨ وقد تقدم تخريجه من الغيبة والبحار فراجع .

منها ما شَهِدَ له العالِم المتكلّم المعروف أبو سهل النوبختي حين سُئل عن سِرِّ اختيارِ الشيّخ ابن روح دونه ، فقال : همْ أعلمُ وما اختاروه ، ولكنْ أنا رجلٌ ألقى الخصومَ وأُناظِرُهُم ولو عَلِمتُ بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطَتني الحُجّة لعليّ كنت أدلُّ على مكانه ، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه[1]. وهذا اعترِاف أنهّ لا يحرز من نفسه مثل ذلك .

وبمثل ذلك شَهِدَتْ له أمُّ كلثوم ابنةُ الشيخ العَمْريِّ رضي الله عنه فقد ذكرت في جملة ما أثنت به عليه : ما كان يحتمله من هذا الأمر ، وقد ساقوا وقائع عديدة مّما أظهَرَ اللهُ على يديه من كراماتٍ تَشهَدُ لصلَته الحقّة بالإمام وسوف نذكرها عند تعرضنا للكلام هناك .

ومّما يُؤسَف له انه كباقي السُّفراء رضي الله عنهم لم تَذكُرُ المصادرُ عامَ ولادته ولا تاريخ مبدأ حياته ، حتّى أنه لا توجد أيّ إشارة يُستَفادُ منها في تحديدِ عُمره ولو إجمالاً كما تقدّم ذلك في حياة السفيرين رضي الله عنهما وإنّما يلمعُ أوّلُ لمعانه كوكيل مُفَضّلٍ لأبي جَعفر محمّد بن عثمان رضي الله عنه يَنظُرُ في أملاكه ، ويلقي بأسراره لرؤساء الشيعة وكان خَصيصاً به ، حتّى أنه كان يحُدّثُه بما يجري بينه وبين جواريه لقُربِهِ منه وأنسه .

فحَصَلَ في أنفس الشيعة محصلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاصه بأبي جعفر وتوثيقه عندهم ، ونَشرِ فَضلِهِ ودِينه . وما كان يحَتمِلُهُ من هذا الأمر ـ يعني

---

(١) الغيبة / ٢٤٠ ، بحار الأنوار / ٥١ / ٣٥٨

الدعوة الإمامية المهدوية ـ فمهّدت له الحال في طول حياة أبي جعفر إلى أنْ انتهتَ الوصيّة إليه بالنّص عليه، فلم يختِلفْ في أمْرِهِ ولم يشكّ فيه أحد.

على أنَّ السَّفير الثالث على جلالَة قَدْرِهِ وقُرْبِهِ من السَّفير الثاني واختصاصِهِ به لم يَكُنْ خيرَ أصحابه، ولم يكن الأخصّ تماماً به، فقد كان لأبي جعفر مَنْ يتصرّفُ له ببغداد نحو عشرة ...[1] وحيثُ كانت من جملة مهام السّفير الثاني هي الحفاظُ على مَنْ يخلفه لهذا المنصب ولفتِ انتباهِ الشّيعة وغيرهم إلى أشخاص مُعيَّنين لهم الخصوصيّة والقرب منه، حتّى كانَ يظنّ أن السفير الثاني رضي الله عنه إذا حَدَثَ له حادث فإنّه يُعيِّنُ من أولئك الذي كان يخصُّهُم ويُقرّبهم ويدنيهم إليه، كما ذكرنا سابقاً، فكان في إيكال السّفارة إليه مصلحتان مزدوجتان :

المصلحة الأولى : وصولُ هذا المنصب إلى الشّخص المخلص إخلاصاً بحيثُ لو كان المهدي عليه السلام تحتَ ذيلِهِ وقُرِّض بالمقاريض لما كشفَ الذّيل عنه كما سمعنا في حقه، وأنَّ مهمّة السّفارة إنّما تستدعي هذه الدَّرَجَة من الإخلاص لأهمّيتها وخطر شأنها، ولا تستدعي العُمْقَ الكبير في الثّقافة الإسلامية، أو سبق التاريخ مع الأئمة عليهم السلام فإنّها إنّما تعني بشكلٍ مباشر نَقْلَ الرّسائل من المهدي عليه السلام وإليه وتطبيق تعاليمه، وهذا يكفي فيه ما كان عليه أبو القاسم بن رُوح من الإخلاص والثّقافة الإسلامية ويزيد.

المصلحة الثانية : غَلْقُ الشُّبْهَةِ التيّ تَصْدُر من المرجفين من أنّه أوْكَلَ الأمرَ إلى ابن روح، باعتبارِ كونِه أخصّ أصحاب أبي جعفر العَمْري

---

(١) الغيبة ٢٤٣ / بحار الأنوار / ٥١ / ٣٥٣.

وألصقهُم به فإنّه لم يكنْ بأخصّهم ولا بألصقهم وإنْ كان من بعض أخِصّائه في الجملة .

بل كانت الأذهانُ بعيدةً عنه وكان احتمالُ الإيكال إليه ضَعيفاً عند الواعين المستبصرين بشؤونِ المجتمع من أصحابه ، حتَّى احتاجَ أبو جعفر لأجل ترسيخ فكرة الإيكال إليه وإيضاحها ، إلى تكرار الإعلان عن ذلك وتقديمه على ساعة موته بسنوات ، وإنّما كانت الظنونُ تحومُ حَولَ أشخاصِ اخرين أرسخ من أبي القاسم ثقافةً وتاريخاً كجعفر بن أحمد بن منيل وأبيه باعتبار خصوصيّته وكثرة كينونته في منزله حتَّى بَلَغَ أنّه كان في آخر عُمُرِهِ لا يأكُلُ طعاماً إلاّ ما طُبِخَ في منزل جعفر بن متيل وأبيه ، وبالرُّغْمِ من ذلك فقد أوكِلَتْ السَّفَارَةُ إلى الحسين بن رُوح فسَلَّمَ به الأصحابُ ، وكانوا معه وبين يديه ، كما كانوا مع أبي جعفر عليه السلام .

وعلى أيّ حال ، فقد تولىّ الحسينُ بن رُوح السَّفَارة فعلاً عن الإمام المهدي عليه السلام بموتِ أبي جعفر العمري سنة ٣٠٥ أو ٣٠٦ هـ إلى أنْ التحق بالرّفيق الأعلى في شعبان سنة ٣٢٦ هـ فتكونُ مُدَّة سفارته نحو واحد وعشرين سنة ، فإن استطعنا أنْ نضيفَ العامين أو الثلاث التيَ أمرَ فيها أبو جعفر العمري قبل موته بتسليم الأموال إليه ، ونَصَّ عليه بالوكالة وتصوّرنا السّفارة حينئذٍ كانت مستَنِدَةً إلى شخصين دفعةً واحدة ، فتكونُ مدّة سفارته ثلاث وعشرون عاماً أو أكثر[1] .

---

(١) موسوعة الإمام المهدي / ٤٠٩/١ .

وكان أوّل كتابٍ تلّقاه من الإمام المهدي عليه السلام كما يشير إليه الشيخ رحمه الله بالغيبة بعد نقل سلسلة حديثه عن أبي العباس بن نوح قال : وجدت بخط محمّد بن نفيس في ما كتبه بالأهواز أوّل كتابٍ ورد منه رضي الله عنه: عرّفَهُ اللهُ الخير كلّه ورضوانه ، وأسعده بالتوفيق ، وقَفْنَا على كتابه وهو ثقتنا بما هو عليه وأنه عندنا بالمنزلة والمحلّ اللذين يُسرّانه ، زادَ اللهُ في إحسانه إليه إنّه وليٌّ قدير ، والحمدُ للهِ لا شَرِيكَ له وصلَّى اللهُ على رَسُولِهِ محمّدٍ وآله وسلَّمَ تسليماً كثيرا

وَرَدَتْ هذهِ الرُقعَةُ يومَ الأحدِ لستّ ليالٍ خلوْن من شوال سنة خمس وثلاثمائة[1].

ويشتمل هذا الكتاب على علّة نقاط مهمّة تلفتُ الانتباه :

أ- الثناء عليه والدعاء له ، مما كان يحاط به من الدّسائس والمكاره التي ربّما تصيبه ، وهذا بحدّ ذاته دِرْعُ حصين ، لأنَّ دعاء الإمام مستجابٌ ممّا لا شكّ فيه .

ب- تأييداً لما كان يَعْمَلُهُ السَّفيرُ الثّاني من الخطوات في عَمَلِهِ وبالخُصوص السّنوات الثلاث الأخيرةِ من حياتهِ كما أسلفنا ذلك من الحفاظ على من يَخْلُفُه لمنصبِهِ ، التي بدأها أبو جعفر في تعريفِ الحسين بن روح للرأي العامّ والأصحاب ممّن مَشَى على خطّ الأئمة عليهم السلام وقد مثل هذا الكتاب اخر وأهمّ خطوةٍ في هذا الطريق لكيّ يبدأ السّفيرُ بعدها مهمّته بسهولةٍ ويسر.

---

(١) الغيبة / ٣٥٣ . بحار الأنوار / ٥١ / ٣٥٣ .

ت-الفترة التي انقطع بها خروجُ التوقيعات من الناحية المقدسة وهي خمسة أشهر ، لأنَّ الكتاب حدَّد الشّهر وهو شوّال ، ووفاة أبي جعفر محمّد بن عثمان كانت في جمادي الأول من نفس العام .

ج-قوّة شخصيّتِهِ وانتشار صيتِهِ والسُّمعَةِ العالية جدّاً بين أوساط الشيعة بفترةٍ وَجيزةٍ بحيثُ لم يواجهِ في بدءِ عَمَلِه ـ كسفيرٍ ـ الطّعن بتوليته كما لاحظنا ذلك في بدءِ عَمَل السّفيرِ الثاني ، الذي طَعنَ به ابنُ هلال الكرخي وإنّما ابتلى بدعاة الزّور للسّفارة في مرحلةٍ متأخّرةٍ من سفاربه المباركة لذا نلاحظ من الرواة يعبّرون عنه : فكلُّ مَنْ طَعَنَ على أبي القاسم فقد طَعَنَ على أبي جعفر وطَعَنَ على الحُجّة صَلواتُ الله عليه[1].

هذا وقد اضطلع أبو القاسم منذ ذلك الحين بمهامّ السّفارة وقام بها خير قيام ، وكان مِنْ مسلكه الالتزام بالتقيّة المضاعَفَةِ ـ وسوفَ نَتعرَّضُ لأسباب ذلك إنْ شاءَ اللهُ تعالى ـ بنحوٍ مُلفِتٍ للنّظر بإظهار الاعتقاد بمذهب السُّنّة يحفظ بذلك مصالحَ كبيرة ويجلب بها قلوبَ الكثيرين ، حتّى إنّنا نَسمَعُ أنّه يدخل عليه عشَرةُ أشخاصٍ تسعةٌ يلعنونه وواحد يشكّك ، فيخرجون منه تسعةُ منهم يتقرّبون إلى الله بمحبّته وواحدٌ واقف ، يقول الراوي : لأنّه كان يجُارينا من فَضْلِ الصَّحابة ما رويناه وما لم نروِهِ فنكتُبُه نحنُ عنه رحمه الله[2].

وهذا إنْ دَلَّ على شيء فإنّما يَدُلُّ على لباقَتِه وسعة إطلاعه وتوجهه على هذا المسلك من قبل الإمام المهدي عليه السلام .

(١) الغيبة / ٢٤٣

(٢) الغيبة / ٣٥٣ ، بحار الأنوار / ٥١ / ٣٥٣ .

وبقي مُضْطَلعاً بمهامّهِ العُظمى حتىّ لحِقَ بالرَّفيق الأعلى سنة ٣٢٦ هـ كما عرفنا ذلك ، ودفن في النوبختيّة في الدّار التي كانَتْ فيه دارُ علي بن أحمد النوبختي النّافذ إلى التل ، أو إلى دَرْب الآخر وإلى قنطرةِ الشوّك رضي الله عنه[1].

وقبره اليوم في زماننا في بغداد معروف مقصد ومزار .

---

(١) المصدر السابق

المسار العام لمجريات عصره

أمّا المسارُ العام لمجرياتِ عَصْرِ السّفيرِ ابن روح رضي الله عنه فهو لم يُعاصرْ أحداً من الأئمة عليهم السلام بمعنى : أنه لم يُشَرْ إليه في كتب القوم أنه كان من أصحاب الإمام الهادي أو العسكري عليهما السلام ، كما يُشارُ إلى باقي السُّفراء الثلاثة رضي الله عنهم فإن كُتُبَ القوم خالية من هكذا نسبة ، ولعلّ السبّب يعودُ إلى أنَّ ولادته كانت بعد وفاةِ الإمامِ العسكري عليه السلام ، أو أنّه كان مولوداً لكنّه لم يتشرَّف بمنزلة الصُّحبة والقُرْبِ من الإمام عليه السلام أو أنّه لم يكنْ يُعرفْ أنه من المحدّثين أو الفقهاء أو حتّى لم يكُنْ يُعرْفْ عالماً من علماءِ تلك الحقبة الزمنيّة ، وهذا لا يَضُرُّ بمنزلَتِهِ ورفعته واحترامه لدى الطّائفة الإمامية أعلى اللهُ كلمتهم فهو بمجّرد وقوع الاختيار عليه لمهامّ السّفارة من قبل الإمام المهدي عليه السلام فهذا كافٍ في أنّه أفضل أهل زمانه بلا منازع .

أمّا معاصرته لخلفاءِ بني العبّاس فَقَدْ عَاصَرَ سَتّ عشرة سنة من خلافة المقتدر المتوفى سنة ٣٢٠ هـ وسنتين من خلافة القاهر الذي خُلع سنة ٣٢٢ هـ وكان المدبر لهذا الخلع هو الوزير عليّ بن مُقْلَةَ الشيّعي[1] ، وأربع سنوات

(١) ذكرنا هذا الوزير في كتابنا تاريخ وزراء الشيعة الجزء الثاني ، وكان صلب التشيع وقد قدّم للأمه الإسلامية خدمات كثيرة منها نظريات سياسية ، واخرى اقتصادية ، وبوجوده انتعشت الدوله العباسيه ومن جملة اعماله أنه كتب القران بخط الثلث ، وكلُّ من جاء من بعده أخذ هذا الرَّسم منه ، وهو متداول إلى أيامنا هذه ، فأنظره هناك

من خلافة الراضي المتوفي سنة ٣٢٩ هـ ، وبموته وموت السّفير الرابع رضي الله عنه انتهت الغيبةُ الصُّغرى وبدأتْ الغيبةُ الكبرى إلى أنْ يأذن الله بظهور صاحب العصر والزمان صلوات الله عليه .

أمّا الحوادثُ المهمّةُ التي وقَعَتْ في عصر ابن رُوح رضي الله عنه فإنّها تدورُ في محاورَ عِدّة ، أهمُّها :

المحور الأول : الحركاتُ الميدانيّة الواسعة غَرَضُها السيطرة على أكبر قدْرٍ ممكنٍ من بلادِ الإسلام ، ففي عَصْرِ السّفير ابن رُوح قويت شوكةُ القرامطة وقد ذكرنا أنّ ابتداء حركتهم كان في سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وكانت حركتهم في هذه الفترة واسعة النطاق وخطيرة في نفس الوقت ، ففي سنة ٣١١ هـ قطعوا الطريق بين بغداد والمدينة ، ومنعوا أهل العراق من الذّهاب إلى الحجّ ، ولم يحجّ بهذه السنة من العراق أحد[١] ، وفي سنة ٣١٢ هـ دخلوا الكوفة ودبَّ في قلوبِ أهلِها الرّعب والخوف ، وأطلقوا الأُسراء الذين أسروهم من الحجّاج ، وأرسل أبو طاهر القرمطي إلى المقتدر يطلبُ البصرة والأهواز فلم يجبه إلى ذلك فسار من هَجَرْ يُريدُ الحاجّ[٢] ، وفي سنة ٣١٥ هـ قصدوا العراق ثانيةً ، وكان همُّهم السيطرة على الكوفة ، فلمّا وردت الأخبار بذلك هَربَ نوّاب السّلطان عنها ، وعزم المقتدر على مواجهتهم وأرسل جيشاً بقيادة يوسف بن أبي الساج ، ولكن لم تفلح هذه المحاولة ، وأنْزَلَ القرامطة بجيش السلطان شرَّ هزيمة .

---

(١) الكامل في التاريخ /٨/ ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق / ١٥٥

يصفُ لنا ابن الأثير الذّعر لأهل بغداد لمّا سمعوا بذلك الخبر وحال المنهزمين منهم ، وورد الخبر إلى بغداد بذلك ، فخاف الخاصّ والعام من القرامطة خوفاً شديداً وعزموا على الهرب إلى حُلوان وهمدان ، ودخل المنهزمون بغداد أكثرهم رجّالة حُفاة عراة[1].

وفي سنة ٣١٦ هـ فعلوا الأفاعيل العجيبة من قتلٍ ودمارٍ وفرْض الأتاوه وتخريبٍ للمدن الامنة وغيرها ، وفي سنة ٣١٧ هـ مسيرهم إلى مكة وما فعلوه بأهلها وأخذهم الحجر الاسود ، وقلع باب البيت ، وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات ، وطرح القتلى في بئر زمزم ودفن الباقين في المسجد الحرام بغير كفن ولا غسل ولا صُلّي على أحدٍ منهم وأخذ منهم كسوة البيت فقسّمها بين أصحابه ونهب دور مكة...[2]

أمّا كيفية إعادة الحجر الأسود إلى مكة على ما ذكره ابن الاثير وغيره قال : في هذه السنة ـ أي سنة ٣٣٩ هـ ـ أعاد القرامطة الحجر الأسود إلى مكة وقالوا : أخذناه بأمر ، وأعدناه بأمر .

وكان بُجْكُمْ قد بَذَلَ لهم في ردّه خمسين ألف دينار فلم يُجيبوه وردّوه الانَ بغير شيء في ذي القعدة ، فلمّا أرادوا حملوه إلى الكوفة وعلّقوه بجامعها حتى رآه الناس ثمَّ حملوه إلى مكة . وكانوا أخذوه من ركن البيت الحرام سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة[3]

---

(١) الكامل في التاريخ /٨/ ١٧١ .

(٢) الكامل في التاريخ /٨/ ٢٠٧

(٣) الكامل في التاريخ /٨/ ٤٨٦ ، والمنتظم ، والبداية والنهاية ، وتاريخ ابن خلدون وغيرها في احداث السنة المشار إليها

المحور الثاني : الحروبُ الخارجية التي كانت تشنّها الدولةُ الإسلامية آنذاك لقتال الروم ، فإنّها برزت هذه الظاهرة بشكلٍ مُلْفِتٍ للنّظر بعد ما خمدتْ لعدّةِ سنوات ، ففي سنة ٣١٤ هـ خرجتْ سريّةٌ من طرسوس إلى بلاد الروم فوقع عليها العدوّ فاقتتلوا ، فاستظهر الرّوم وأسروا من المسلمين أربعمائة رجل فقتلوا صبراً ، وفي سنة ٣١٩ هـ من شهر ربيع الأول غزا ثمل والي طرسوس بلاد الروم فعبر نهراً ، ونزل عليهم ثلج إلى صدور الخيل وأتاهُمْ جمعٌ كثير من الروم ، فواقعهم ، فنَصَرَ اللهُ المسلمين ، فقتلوا من الروم ستمائة وأسروا نحواً من ثلاثة آلاف وغنموا من الذهب والفضة والديباج وغيره شيئاً كثيراً .

وفي نفس السنة من شهر رجب عاد ثمل إلى طرسوس ودخل الروم صائفةً في جمع كثير منهم الفارس والراجل ، فبلغوا عمّورية ، وكان قد تجمع إليها ففارقوها لما سمعوا خبر ثمل ، ودخلها المسلمون فوجدوا فيها من الأمتعة والطعام شيئاً كثيراً فأخذوه ... وأوغلوا في بلاد الروم ... حتّى بلغوا أنقرة وهي التي تسمّى الآن أنكورية وعادوا سالمين لم يلقوا كيداً[1] .

المحور الثالث : تمزّق وتفرّق البلاد بيد الأمراء وقادة الجند ، وهذا المحور من عصر السفير الثالث رضي الله عنه لم يُعاصره أكثر من سنتين تقريباً ، ففي سنة ٣٢٤هـ لم يبق للراضي الخليفة غير بغداد وأعمالها والحكم في جميعها لابن رائق ليس للخليفة حكم .

---

(١) الكامل/ ٨/ ١٧٧

وأمّا باقي الأطراف فكانت البصرةُ في يد ابن رائق ، وخوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمّد بن إلياس ، والرّي وأصفهان والجبل في يد ركن الدولة بن بويه ويد وشمكير أخي مرداويج يتنازعان عليها ، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمّد بن طُغج ، والمغرب وإفريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي ، وهو الثاني منهم ، ويلقّب بأمير المؤمنين ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموي وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد السّاماني ، وطبرستان وجُرجان في يد الدّيلم ، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي[١].

المحور الرابع : نُشوءُ دولتين شيعيتين الأولى الدولة الحمدانية التي ابتدأت سنة ٣١٨ هـ حكمت رقعة واسعةً من البلاد الإسلامية وكان لها الأثر البالغ في تطوّر الحضارة الإسلامية ، وانتهت سنة ٣٥٨هـ والثانية الدولة البويهية التي كان ابتداء أمرها سنة ٣٢٢ هـ وقد حكمت هذه الدولة أكبر مساحة من أرض بلاد فارس واتسع حكمها حتّى على العراق ، إلى أنْ أفل نجمها سنة ٤٤٧ هـ .

المحور الخامس : الفتن والادّعاءات الباطلة ، ففي سنة ٣٢٢ هـ ظهر إنسانٌ يَدّعي النبوّة بباسند من أعمال الصغانيان فقصده فوج بعد فوج واتّبعه خلق كثير وحارب من خالفه فقتل خلقاً كثيراً ممّن كَذّبَهُ ، فكثر اتباعه من أهل الشاش خصوصاً ، وفي سنة ٣٢٣ هـ ظهرت فتنة الحنابلة وصاروا

---

(١) الكامل / ٨/ ٣٦٣ .

يكبسون من دور القوّاد والعامّة ، واعترضوا على كلّ شيء وأظهروا البدع والأشياء الغريبة التي لم يألفها الناس ، وإذا رأوا مشيَ الرّجال مع النساء والصّبيان سألوه عن الذي معه مَنْ هو ؟ فأخبرهم وإلاّ ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة ، فأرهجوا بغداد ، فركب بدر الخرشني وهو صاحب الشرطة ، عاشر جمادى الاخرة ونادى في جانبي بغداد في أصحاب أبي محمد البربهاري الحنابلة ألا يجتمع منهم اثنان ، ولا يتناظروا في مذهبهم ، ولا يصلّي منهم إمام إلاّ إذا جهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صَلاة الصبح والعشاءين ، فلم يُفدْ فيهم ، وزاد شَرُّهُم وفتنَتُهُم واستظهروا بالعميان الذين كانوا يأوون المساجد ، كانوا إذا مرّ بهم شافعي المذهب أغروا به العميان فيضربونه بعصيهم حتّى يكاد يموت .

فخرج توقيعُ الراضي بما يُقرأ على الحنابلة يُنْكِرُ عليهم فعلهم ويوبّخهم باعتقاد التشبيه وغيره ، فمنه تارةً أنّكم تزعمون أنّ صورة وجوهكم القبيحة السمجة مثالُ ربِّ العالمين ، وهيئتكم الرّذيلة على هيئتهِ وتذكرون الكفّ والأصابع والرِّجلين والنّعلين المذهبين ، والشَّعر القَطط والصُّعود إلى السّماء والنزول إلى الدّنيا ، تبارك اللهُ عَمّا يقول الظالمون والملحدون علوا كبيراً ، ثمّ طعنكم على خيار الأئمة ، وتسبتكم شيعة آل محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى الكُفر والضّلال ، ثم استدعاؤكم المسلمين إلى الدّين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التي لا يشهد بها القران .

وإنكارُكم زيارةَ قبور الأئمة ، وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع ، وأنتم مع ذلك تجتمعون على زيارة قبر رجلٍ من العوام ليس بذي شرفٍ ولا نسب

ولا سَبَبْ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأمرونَ بزيارته ، وتدّعون له معجزاتِ الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، فلعَنَ اللهُ شيطاناً زيَن لكم هذه المنكرات ، وما أغواه ، وأمير المؤمنين يقسم بالله قَسَماً جَهْداً إليه بلزمه الوفاء به لئن لم تنتهوا عن مذموم مذهبكم ومعوج طريقتكم ليوسعنَّكُم ضرباً وتشريداً قتلاً وتبديداً ، وليستعملنّ السيف في رقابكم والنار في منازلكم ومحالّكم[1].

المحور السادس : الجوعُ والغلاء وتدهورُ الجانب الاقتصادي بسببِ لهو وإسرافِ الخلفاء العباسيين على شراءِ الجواري والأشياء الثمينة .

المحور السابع : الصِّراعُ الداخليُّ للأسرة الحاكمة ، وخلع الخلفاء ، كما مَرَّ علينا في عصر السفير الثاني رضي الله عنه .

---

(١) الكامل /٨/ ٣٠٧ .

نشاطه ومهامه

أمّا نشاطُ السّفيرِ الثالث رضي الله عنه اتجّاه هذه الأحداث، وقد أطلنا بها لأهميتها وأثرها على عمل السّفير ابن روح، ويمكن لنا أنْ نُصنّفها إلى صنفين وذلك بحسب العوامل الزّمانية والظروف المكانية التي تُحيطُ بعمل السفر، فأنّا قد ذكرنا سابقاً بأنَّ السُّفراء يكادُ يكونُ عَمَلُهُم متماثلٌ في الأسلوبِ متشابهين في الأهداف، لأنَّ المصدر الموجّه لهم واحد هو الإمام المهدي عليه السلام فهم لا يخرجون من تحت توجيهاته المباركة، فعلى العموم أنّ السّفير الثالث رضي الله عنه قد أحاطت به ظروفٌ زمانية ومكانيّة، أجبَرَتهُ أنْ يتخذ بعض الخطوات لكي يكونَ تحت المسار العامّ لعمَلِهِ كسفير، أمّا الصنّفان اللّذان يُمكنُ لنا أنْ نُصنِّفَ نشاطَهُ اتجّاه متغيّراتِ عصره والأحداثِ التي عاشها وشاهدها واتّخذ الإجراءاتِ اللازمة بحقّها هما:

الصنف الأول: كان نشاطه مماثل للسفير الثاني رضي الله عنه اتجّاه بعض الأحداث فإنها تلتقي معها بنتيجة، فلا يتعب نفسه للتصدي لها. وإنمّا يستفيد من هكذا ظروف لتوسعة عمله وتثبيت ركائز فكرة السّفارة أكثر في أذهان اتباعه والقواعد الموالية لأهل البيت الأطهار، وخصوصاً المحور الأول والثاني والسابع، فإن هذه المحاور من عصره كانت خارجة عن إمكانيّاته وقدراته وهكذا حركات كانت تمسّ أمن الدّولة وتزعزع أركانها فبطبيعة الحال أنَّ الدولة سوف تتخذ الإجراءات اللازمة بحقها.

الصنف الثاني : ما كان مُغايراً لعمل السّفير الثاني رضي الله عنه خصوصاً المحور الرابع ، أمّا بقية المحاور فقد تصدّى لها عن طريق التوقيعات التي تصدر من الإمام المهدي ، لما سوف نذكُرُه إنْ شاء الله تعالى .

أمّا مهامه في هذه الفترة العصيبة فتتركّزُ على الأمور التالية :

الأمر الأول : التزام مسلك خطّ التقية التي أصبحت السّمة الظاهرة والبارزة في حياة ابن روح ، وهذا المسلك من عمله انفرَد به السّفير الثالث من دون السّفراء الثلاثة ، ولعلّ ذلك يعود إلى :

أ-أنّه مأمورٌ بتطبيقِ هذا المسلك من قِبَل الإمام المهديّ لمصلحةٍ لا يعلمها إلاّ الإمام .

ب-كثرة الفتن الطائفية كما سمعنا ذلك من فتنة الحنابلة التي شلّتْ الاعمال في بغداد ، وادخلت المدينة بهرج واضطراب ، حتى تدخّل الراضي بنفسه وواعدهم بأشدّ العذاب ، إنْ استمرّوا بفعلهم هذا ، وهكذا فتن تستهدف بطبيعة الحال رموز وكبار العلماء للطائفة المعيّنة .

ت-إحياء هذه الفريضة ، فإنّها في عصره وصَلَتْ إلى حدّ عدم الاعتقاد بها في صفوف أتباع أهل البيت عليهم السلام فأراد أنْ يطبّق هذا المسلك إحياءً لما جاءت بحقّها روايات كثيرة ، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : ((لو قلت إنّ تارك التقية كتارك الصّلاة لكنت صادقاً))[1] وعنه عليه السلام أيضاً ((خالطوا الناس بالبرّانية ، وخالفوهم بالجوّانية ما دامت الإمرة صبيانية))[2] وروي عن

---

(1) الوسائل ٢١١/١٧ .

(2) الكافي ٢٢٠/٢ .

الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] قال : ((أعلمكم بالتقية))[2].

ج إنّ فكرةَ السّفارة والاعتقاد بها وصلت إلى حدّ النضوج الفكري وأصبحت تشكل خطراً حقيقياً على العاصمة بغداد ، وبالتالي ينتهي هذا الخطر إلى نهديد أس الدولة وتزعزع الاعتقاد السائد آنذاك بمسألة الخلافة وصار السّفيرُ في مرمى الخطر على اعتبار هو الذي يمثّل الخطّ الرئيس لفكرة الارتباط بالإمام الغائب والجسر الموصل له . لهذا تحرّكَ المقتدرُ وحَبَسَ حسين بن روح مدّة يسيرة واضطرّ السفير ابن روح أنْ يستتر مدّةً من الزّمن كما ذكر ذلك الشيخ في الغيبة[3].

ح–كان يعمل بالتقيّة لا للأسباب التي ذكرناها ، وإنّما خوفاً من رؤساء الحركات الأخرى التي كانت تمثّل البعض منها الفكرة المهدوية ، وأخرى عدوة لذلك مثلُ القرامطة ، فمن الطبيعي أنَّ السّفير يمثّلُ خطراً عليهم وعلى تحرُّكاتهم ، فيكونُ عُرْضَةً للقتل أو الاغتيال ، ومسلكُ التقيّة هو الغطاءُ للحفاظ عليه .

خ استقطابُ أكبر عَدَدٍ ممكنٍ من المخالفين والدّخول في معتقد ابن روح إنْ أمكن ذلك ، وإنْ لم يتحقق ذلك على أقلّ التقادير يأمن شرَّهُم وعدم التعرُّض له ولاتباعه ، والحِفاظ التامّ على خطّ السّفارة مادام لم يكن هناك

---

(١) سورة الحجرات الايه/١٣.

(٢) الاعتقادات/١٠٧

(٣) غيبة الشيخ/٢٥٢_١٨٧

أعداء كُثر ، حتّى ظنَّ العامّةُ أنّه منهم ويعتنقُ مذهبهم ، يقول الراوي : لأنه كان يجارينا من فضل الصّحابة ما رويناه وما لم نروه ، فنكتبه نحن عنه رضي الله عنه[1].

الأمر الثاني : تمهيدٌ لدولة شيعية تحمل الطابع العقائدي الأثنى عشرى وقد بدء بهذا العمل في النصف الأول من سفارته حتّى أن المقتدر أحسّ به وقبضَ عليه وسجنه سنة ٣١٢ وبعدها أُفرج عنه ، وهذا التاريخ مهم لما سوف يأتي .

إضافةً إلى أنَّ فترة السّفير الثالث رضي الله عنه كانت لابدّ من إقامة دولة تحمي خطّ أهل البيت عليهم السلام من الانجراف والانحراف عن تعاليمهم ، فإذا ما نظرنا إلى البقعة الجغرافية في ذلك الوقت فلم نجد مساحةً واسعة إلاّ بيد معتقَدٍ معيّن يحكمها ويفرض عليها تعاليمه ابتداءً من الدّولة الفاطمية التي أخذت مساحةً واسعة جداً من أفريقيا حتّى وصلت إلى حدود الشام ، والقرامطة التي حكمت البحرين وعمان والحجاز ، إضافة إلى التحركات الأخرى التي تحاول السيطرة على بعض المناطق وتجعلُها دولةً مستقلّة خاضعةً لها ، وناهيك عن العراق فإنه ممزّق بين الأمراء وغيرها كما تقدم ذلك .

لذا عمل السفير لإنشاء دولتين شيعيتين الأولى الدّولةُ الحمدانية التي ابتدأت سنة ٣١٨ هـ وانتهت سنة ٣٥٨هـ وقد أنشاءها لكي تقطع الطريق على المدّ الإسماعيليّ الذي هو مخالفٌ لمعتقد مدرسة أهل البيت ، وامتدت من الموصل إلى الشام ، وأخذت منطقة حلب عاصمة لها ، والثانية الدولة البويهية التي كان ابتداء أمرها سنة ٣٢٢ هـ وقد حكمت هذه الدولة أكبر مساحة من

---

(١) الغيبة / ٢٢٨ .

أرض بلاد فارس واتّسعَ حُكْمُها حتَّى على العراق ، إلى أنْ أفلّ نجمها سنة ٤٤٧ هـ .

سيطرت هذه سيطرةً تامةً على التحرّك القرمطي ، وقَضَتْ عليه وناهيك عن مَنْ عاش في كنفها من أصحاب الحديث أمثال ثقة الإسلام الشيخ الكليني ، وممن برز من الفقهاء أمثال الشيخ المفيد والسيد علم الهدى والشيخ الطوسي وغيرهم ممن حملوا وحفظوا لنا تراث أهل البيت عليهم السلام وإنْ كانت هذه الدولة لم تحقّق العدل المرجوّ منها ولكنّها حافظت على خطّ أهل البيت ودافعت عنه بحكم السلطان وهذا القدر منها يكفي لتلك الفترة العصيبة[1].

وهذا ليس بالغريب منه رضي الله عنه فإنه كانت له علاقات واسعة مع رجالات الدولة الذين هم على خطه ومعتقده ، من زوراء وولاة وحكام كانوا يعملون في الدولة العباسية ، كما تروي ذلك بنت السفير الثاني أم كلثوم[2].

الأمر الثالث : المحافظة على الخطّ العامّ لتعاليم السّفارة من التكتُّم التام والحذر من أعداء هذا الخط .

الأمر الرابع : محاربَةُ أدعياء السّفارة زوراً وبهتاناً ، فإنه ظَهَرَ في عصره شخصيّتان قويّتان ، الأوّل كان يمثّل الخطّ الفقهي لأهل البيت عليهم السلام وهو الشلمغاني الذي قتله الراضي سنة ٣٢٢هـ ، والثاني يمثّل الخطّ الصُّوفيّ وهو الحسين بن الحلاج الذي قتله المقتدر سنة ٣٠٩ هـ على ما سوف تقف على

---

(١) قد فصلنا ذلك في كتابنا تاريخ دول الشيعة الجزء الرابع مخطوط .

(٢) الغيبة / ١٨٣

التفاصيل ، فإن قتل هذين الرجلين المنحرفين فيه مصلحة لحفظ خط السفراء وردعاً أيضاً لمن تسوّل له نفسه أدعاء منصب السفير .

الأمر الخامس : المناقشاتُ التي كانَ يُديرْها بنفسه ﷺ رْغْمَ مسلك التقيّة ولكنّ الظرف الذي عاشه يتطلب منه بعض الأحيان دفع ودرء الشبهات التي كانت تثار من قبل اعداء المذهب ، فمن ذلك مناقشته لبعض المتكلمين المعروف بالهروي في فضل الزهراء على سائر بنات النبي ﷺ حتى قال الهروي : فما رأيت أحداً تكلم واجاب في هذا الباب بأحسن ولا أوجز من جوابه[1] .

ومن ذلك أيضاً حول مقتل الإمام الحسين عليه السلام بيد أعداء الله عز وجل وقد أجابه بجواب مطول أكد فيه أن حكمة الله عز وجل قد جرت في أن انبيائه وأوليائه يكونون في حال غالبين وأخرى مغلوبين وفي حال قاهرين ومقهورين ، ولو جعلهم عز وجل في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس الهة من دون الله عز وجل ، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والاختيار ، ولكن جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ، ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين وفي حال العافية والظهور على الاعداء شاكرين ويكونوا في جميع احوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين . وحين شك الراوي في أن هذا الكلام هل قاله من عنده أم هو من تعاليم المهدي عليه السلام قال له ابن روح يا محمد بن إبراهيم لئن أخر من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح من مكان سحيق أحب إلي من أن أقول

---

(1) الغيبة / ٢٣٩ .

في دين الله برأيي ومن عند نفسي بل ذلك من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه عليه.

ومن تعاليمه ﷺ أيضاً ما قاله لأحمد بن محمد الصفواني: أن يحيى بن خالد سمّ موسى بن جعفر عليه السلام في أحدى وعشرين رطبة وبها مات، وأن النبي ﷺ والأئمة ما ماتوا إلا بالسيف أو السم، وقد ذكر عن الرضا عليه السلام أنه سم وكذلك ولده وولد ولده[1].

انظر كيف بتّ ﷺ في هذه المسألة التي كانت ولا زالت محل الخلاف بين المسلمين عموماً والمؤرخين خصوصاً، من أن النبي ﷺ هل مات مسموماً أو لا ؟ فقد جزم ابن روح بكونه ﷺ مات مسموماً ليس هو فقط بل عدد من الأئمة عليهم السلام أيضاً والباقون ماتوا بالسيف على أيدي اعداء اللهِ ورسوله[2].

---

(١) الغيبة / ٢٢٥ . الاحتجاج / ٣٠٥

(٢) موسوعة الإمام المهدي / ١/ ٤٨٦ .

التوقيعات التي صدرت بواسطته

قد ذكرنا أنّ فترة الغيبة الصّغرى امتازت ببعض الأمور من جُملتها هي خروجُ بعض التوقيعات التي كانت تَخرجُ على أيدي السّفراء ، وأنّها كانت متنوّعة ومختلفة وذلك بحسب الظروف والأسئلة المقدّمة للنّاحية المقدّسة وذكرنا في الأبحاث المتقدمة جملةً من الأسباب والاحتمالات التي أدّتْ الى هذا التنوّع ، وأنَّ البعض ضاعَ ولم يصل إلىنا في كُتُبِ التراجم والسّيَر ، وعلى كُلِّ حالٍ فهنا نذكُرُ شيئاً ما وَصَلَ إلينا من توقيعات ابن روح رضي الله عنه إتماماً للفائدة فمِنْ تلكَ التوقيعات ما خَرَجَ في توثيقِهِ ، كما في الغيبة عن أبي العبّاس بن نوح قال : وجدتُ بخطّ محمّد بن نفيس في ما كَتَبَهُ بالأهواز أوّل كتابٍ وَرَدَ من أبي القاسم رضي الله عنه نعرفه عرّفَهُ اللهُ الخيرَ كلّه ورضوانه وأسعده بالتوفيق ، وَقَفْنَا على كتابهِ وهو ثِقَتُنا بما هو عليه ، وأنّهُ عندنا بالمنزلة والمحلّ اللذين يَسُرّانه زادَ اللهُ في إحسانه إليه إنّه وليٌّ قدير ، والحمْدُ لله لا شريك له وصلّى اللهُ على رسولهِ محمّد وآله وسلم تسليماً كثيراً[1].

ومنها : ما خَرَجَ في جوازِ العَمَل بروايات المدّعين بعْدُ كما في الغيبة عن محمّد بن أحمد بن داود القمّي قال : وجدتُ بخطّ أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه على ظَهْرِ كتابٍ فيه

---

(١) قد مر علينا تخريج المصدر .

جوابات ومسائل أُنفذت من قمّ يُسأل عنها هل هي جواباتُ الفقيه عليه السلام أو جوابات محمّد بن علي الشلمغاني ، لأنّه حُكيَ عنه أنه قال هذه المسائل أنا أجبت عنها .

فكتب إليهم على ظهر كتابهم :

بسم الله الرحمن الرحيم :

قد وقفنا على هذه الرقعة وما تضمّنته فجميعُهُ جوابُنا ولا مدخل للمخذول الضالّ المضلّ المعروف بالعزاقريّ لعنه الله ... وقد كانت أشياءَ خرجتْ إليكُمْ على يَدَيْ أحمد بن هلال وغيره من نُظرائه وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا عليهم لعنه الله وغضبه .

فاستثبت قديماً في ذلك .

فخرج الجواب :

ألا منْ استثبَتَ فإنُّهُ لا ضَرَر في خروجِ ما خرَجَ على أيديهم وإنَّ ذلك صحيح[1] .

ومنها : ما خَرَجَ بلعن مدّعي البابية جميعهم على يد الشيخ أبي القاسم الحُسين بن روح نسخته :

اعرف أطال الله بقاءك وعرّفك الخيرَ كلّه وختم به عملك من تثق بدينه وتسكن إلى نيته من إخواننا أدام الله سعادتهم بأنّ محمّد بن علي المعروف بالشلمغاني عجّل اللهُ له النقمة ولا أمهله قد ارتّد عن الإسلام وفارقه وألْحد في دين الله وادّعى ما كَفَرَ معه بالخالق جَلَّ وتعالى وافترى كذباً وزوراً

---

(١) الغيبة ٢٧٣ / بحار الأنوار ٥٣/١٥٠ باب ٣٦ ما خرج من توقيعاته عليه السلام .

وقال بُهتاناً وإثماً عظيماً ، كَذَبَ العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خُسراناً مبيناً .

وإنا برئنا إلى الله تعالى وإلى رسولِهِ وآله صَلَوَاتُ الله وسلامُهُ ورحمته وبركاتُهُ عليهم ، ولعنّاه عليه لعائن الله تترى في الظاهر منّا والباطن في السرّ والجهر وفي كلّ وقتٍ وعلى كلّ حالٍ ، وعلى من شايعه وتابعه وبلغه هذا القول منّا فأقام على تولّيه بعده وأعلمهم تولاّكم الله أنّنا في التوقّي والمحاذرة منه على مثل ما كنّا عليه ممّن تَقَدَّمَهُ من نُظرائه من الشريعي والنُميري والهلالي والبلالي وغيرِهم وعادةُ الله جَلَّ ثناؤه مع ذلك قبله وبعده عندنا جميلة وبه نثق وإيّاه نستعين وهو حسبنا في كُلِّ أمورنا ونعم الوكيل[1].

وقد سُئل عن كتب الشلمغاني بعدما ذُمّ وخرجت فيه اللعنة فقيل له كيف نعمل بكتبه وبيوتنا منها ملأى ، فقال : أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما ، فقال صلوات الله عليه خُذوا بما رووا وذروا ما رأوا[2].

أمّا مُبَاهَلَةُ الشلمغانيّ مع حسين بن روح رضي الله عنه فهي كما يرويها لنا الشيخ بالغيبة عن محمّد بن أحمد بن داود القمّي عن أبي عليّ بن هَمّام قال أنفذ محمّد بن عليّ الشلمغاني العزاقريّ إلى الشيخ الحسين بن روح يسأله أنْ يباهلَهُ ، وقال : أنا صاحبُ الرَّجُلِ وقد أُمِرْتُ بإظهار العلم وقد أظهرته باطناً وظاهراً فباهلني ، فأنفَذَ إليه الشيخ في جواب ذلك أيُّنا تقدَّمَ صاحبه فهو

(١) الاحتجاج / ٤٧٤ ، الغيبة / ٣٩٧ ، بحار الأنوار /٣٨٠ / ٥١ .

(٢) بحار الأنوار /٢٥٢/٢ ، الغيبة / ٣٨٧ .

المخصوم ، فتقدّمَ العزاقريُّ فقُتل وصلب وأخذ معه ابن أبي عوْن وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، قال ابن نوح وأخبرني جدّي محمّد بن أحمد بن العباس بن نوح رضي الله عنه قال أخبرنا أبو محمّد الحسنُ بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصّيمري قال لما أنفذ الشّيخُ أبو القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه التوقيع في لعن ابن أبي العزاقري أنْفذَهُ من مجلِسهِ في دار المقتدر إلى شيخنا أبي عليّ بن همّام في ذي الحجّة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وأملى أبو عَلي عليّ وعرفّني أنّ أبا القاسم رضي الله عنه راجَع في ترك إظهاره فإنّه في يدِ القوم وفي حبسهم فأمر بإظهاره وأنْ لا يخشى ويأمن فتخلّص وخرجَ من الحبس بعد ذلك بمدّة يسيرة والحمد لله[1].

ومنها : جمْلةٌ من الأدعية المأثورة التي وجدت في كتب القوم بطرق معتبرة ينتهي سندُها إلى أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه وهي كثيرة ومتنوعة وفيها جملةٌ من المعارف الإسلامية ، ونحنُ نذكُرُ هنا نموذجاً واحداً وهو الدُّعاء الذي كان يدعو به الإمام المهدي عليه السلام بأسماء الله المكنونة :

اللّهمّ مالِكَ المُلْكِ تُؤتِي المُلْكَ من تَشاءُ ، وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمّنْ تَشاءُ وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ ، بِيَدِكَ الخَيْرُ إنّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، يَا مَاجِدُ يَا جَوَادُ يَا ذَا الْجَلالِ وَالإكْرَامِ ، يَا ذَا البَطْشِ الشَّدِيدِ يَا فَعَّالاً لِمَا يُرِيدُ يَا ذَا القُوَّةِ المَتِينِ يَا رَءُوفُ يَا رَحِيمُ يَا لَطِيفُ يَا حَيُّ حِينَ لا حَيَّ .

---

(١) نفس المصادر السابقة.

اللّهمّ أسألك باسمك المخزون المكنون الحيّ القيّوم الذي استأثرت به في علم الغيب عندك ولم يطّلع عليه أحدٌ من خلقك .

وأسألك باسمك الذي تصوّر به خلقك في الأرحام كيف تشاء وبه تسوق إليهم أرزاقهم في أطباق الظلمات من بين العروق والعظام .

وأسألك باسمك الذي ألّفت بين قلوب أوليائك و ألّفت بين الثلج والنار لا هذا يذيب هذا ولا يطفئ هذا ، وأسألك باسمك الذي كوّنت به طعم المياه .

وأسألك باسمك الذي أجريت به الماء في عروق النبات بين أطباق الثرى وسقت الماء إلى عروق الأشجار بين الصخرة الصمّاء .

وأسألك باسمك الذي كوّنت به طعم الثمار وألوانها .

وأسألك باسمك الذي به تبدئ وتعيد .

وأسألك باسمك الفرد الواحد المتفرّد بالوحدانيّة المتوحّد بالصمدانيّة .

وأسألك باسمك الذي فجّرت به الماء من الصخرة الصمّاء وسقته من حيث شئت .

وأسألك باسمك الذي خلقت به خلقك ورزقتهم كيف شئت وكيف شاءوا ، يا من لا تغيّره الأيّام والليالي ، أدعوك بما دعاك به نوحٌ حين ناداك فأنجيته ومن معه ، وأهلكت قومه ، وأدعوك بما دعاك به إبراهيم خليلك حين ناداك فأنجيته ، وجعلت

النَّارَ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاماً ، وَأَدعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ مُوسَى كَلِيمُكَ حِينَ نَادَاكَ فَفَرَّقْتَ لَهُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْتَهُ وَبَنِي إِسْرَائِيل ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي الْيَمِّ ، وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ عِيسَى رُوحُكَ حِينَ نَادَاكَ فَنَجَّيْتَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَإِلَيْكَ رَفَعْتَهُ ، وَأَدْعُوكَ بِمَا دَعَاكَ بِهِ حَبِيبُكَ وَصَفِيُّكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ، فَاسْتَجَبْتَ لَهُ وَمِنَ الْأَحْزَابِ نَجَّيْتَهُ وَعلى أَعْدَائِكَ نَصَرْتَهُ .

وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ يَا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، يَا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً ، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ، يَا مَنْ لا تُغَيِّرُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي ، وَلا تَتَشَابَهُ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ ، وَلا تَخْفَى عَلَيْهِ اللُّغَاتُ ، وَلا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ .

أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ ، وَصَلِّ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، الَّذِينَ بَلَّغُوا عَنْكَ الْهُدَى وَعَقَدُوا لَكَ الْمَوَاثِيقَ بِالطَّاعَةِ ، وَصَلِّ عَلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ، يَا مَنْ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ، أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، وَاجْمَعْ لِي أَصْحَابِي وَصَبِّرْهُمْ ، وَانْصُرْنِي عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَعْدَاءِ رَسُولِكَ ، وَلا تُخَيِّبْ دَعْوَتِي فَإِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ ، أَسِيرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ ، سَيِّدِي أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ عَلَيَّ بِهَذَا الْمَقَامِ وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ دُونَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ .

أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تُنْجِزَ لِي مَا وَعَدْتَنِي إِنَّكَ أَنْتَ الصَّادِقُ وَلاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

( ) بحار الأنوار / ٨٢/ ٢٢٣.

مدّعوا السّفارة في عصره

قد ذكرنا بأنّ ظاهرة السّفارة قوّية وانتشرت بكثرة في حياة السفير الثاني . وذلك طمعاً بهذا المنصب وابتزاز الأموال والتزعّم على الناس باسم سفير الإمام المهديّ عليه السلام وللأسباب التي مَرّتْ بنا ، والذي يُهمّنا في هذا البحث هو شخصيّتان مهمّتان ، الأولى كانت تمثل الخط الفقهي الشيعي الممثل بشخصيّة الشلمغاني وهو أشدُّ خطراً على القواعد الموالية لفكرة السفاره ، وأيضاً أشدّ ثقلاً على محاربته من قبل السفير على اعتبار مرجعاً فقهيا يرجع إليه الناس بكلِّ صغيرةٍ وكبيرة ، والثاني يُمَثّلَ الخطّ الصوفي ورائد هذا الخطّ هو الحسين بن الحلاّج ، وهو أقلُّ تأثيراً على القواعد الموالية .

هذا ويوعزُ بعض الباحثين سبب انحراف هؤلاء الكبار ظاهراً لأسباب علة :

١ـ ضعف الإيمان لديه وسوء الاخلاص وقابليته للانحراف .

٢ـ الطمع بالأموال التي يحصل عليها عن هذا الطريق ، إذ يتخيل المزور أن الحقوق الشرعية التي تدفع إلى السفير الصادق ستدفع إليه .

٣ـ فسح المجال للشهرة الاجتماعية والتقدم بين الناس ، والتحكم في القواعِدِ الشّعبيةِ المواليةِ للإمام عليه السلام وإصدارِ الأوامَر والنّواهي فيها بزعم أنه صادر عنه عليه السلام .

ولا يُهِمُّ بعد ذلك أنْ نفهمَ أنَّ مُدّعي السّفارة الكاذبة ، هل كان يعتمدُ ضِمْناً بكذِبِ السّفيرِ الصّادق ، كما صَرَّحَ به الشلمغاني بالنسبة إلى السفيرِ الثاني على ما سنسمع ، أو كان المزوِّرُ يعتقدُ بكذب فكرة السّفاره أساساً ، إذن فلا فرقَ في نظره بينه وبين ذاك السفير ، فكما ادّعى غيره السفارة يمكن له أيضاً ذلك . أو كان المزوِّرُ يعتقدُ بصدق السّفارة وصدق السفير ، ولكنه كان طامعاً بالمصالح الشخصية التي أشرنا إليها ، فادّعى السّفارة تقديما لمصالحه الشخصية على المصالح الدينية ، شخصية واجتماعية[1] . وعلى كُلِّ حال فأهمّ من ادّعى السّفارة كذباً وزوراً أثناء سفارة ابن روح هما :

محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن العزاقر أو العزاقري ، أبو جعفر نسبته إلى شلمغان ، وهي قرية بنواحي واسط[2] .

كان شيخاً مستقيم العقيدة والسلوك صالحاً ، متقدماً في أصحابنا[3] حتّى أنَّ الشيخَ أبا القاسم الحسين بن روح نَصَبَهُ وكيلاً عنه عند استتاره من المقتدر ، وكان الناسُ يَقْصِدُونَهُ ويلْقَونَهُ في حوائجهم ومهمّاتهم ، وكانت تَخْرُجُ على يَدِهِ التوقيعاتُ من الإمام المهديِّ عليه السلام عن طريق ابن روح[4] .

لهُ من الكتب التي عملها في حال الاستقامة ((كتاب التكليف)) قال الشيخ الطوسي : أخبرَنَا بهِ جماعةٌ من أبي جعفر بن بابويه عن أبيه عنه إلا حديثاً واحداً منه في باب الشّهادات أنه يجوز للرّجل أنْ يشهد لأخيه إذا كان

(1) موسوعة الإمام المهدي / ١/ ٤٩٠ .

(2) انظر الكامل في التاريخ / ٦/ ٢٤١ .

(3) رجال النجاشي / ٢٩٣ .

(4) الغيبة / ١٨٤

له شاهد واحد من غير علم[1] كان باباً ، باباً من هذا الكتاب ، ويعرضه على الشيخ أبي القاسم رضي الله عنه فيحكّكه فإذا صَحَّ الباب خرج فنقله وأمرنا بنسخه يعني أمرهم ابن روح[2] ، فكثرت نسخه عند الأصحاب . وفي رواية اخرى : أنه لما انتهى من الكتاب طلبه ابن روح لينظر فيه ، فجاءوا به فقرأه من أوله إلى اخره ، فقال : ما فيه شيء إلا وقد روى الأئمة عليهم السلام إلا موضعين أو ثلاثة ، فإنه كذب عليهم في روايتهما لعنه الله[3].

وله كتاب ((التأديب)) أخذَهُ الشيخُ الحسين بن روح رضي الله عنه وأنْفَذَ الكتاب إلى قمّ ، وكتب إلى جماعة الفقهاء بها ، وقال لهم : انظروا في هذا الكتاب وانظروا فيه شيء يخالفكم ، فكتبوا إليه : أنه كله صحيح وما فيه يخالف إلا قوله : الصاع في الفطرة نصف صاع من الطعام ، والطعام عندنا مثل الشعير كل واحد صاع[4].

فمن هنا نجد أنّ في كُلٍّ هذين الكتابين قد دَسَّ الشلمغاني فرعاً فقهياً مخالفاً لما عليه مذهب الأصحاب . وإنْ كان مستقيماً مؤمناً ، وهذا يدل على ما قلناه من وجود ضعف في إيمان كُلٍّ شخص ينحرف في حياته ، بحيث يكون من الأول قابلاً لهذا الانحراف عند اجتماع ظروفه وشروطه .

( ) الفهرست / ١٧٣

(٢) الغيبة / ٢٣٩

(٣) الغيبة / ٢٥٣

(٤) الغيبة / ٢٤٠

ويمكن أنْ نفهم وضوح ذلك لابن روح ﵁ حين كان يتوجّسُ من كُتبَ الشلمغاني ، فيحاولُ أنْ يشرف عليها أو يعرضها على الموثوقين من أصحابه وعلماء المذهب[١].

وله كتاب ((الغيبة)) روى عنه الشيخ الطوسي في الغيبة ، وله كتاب ((الاوصياء)) روى عنه الشيخ أيضاً في الغيبة[٢]. وله عِدّةُ كُتُبٍ أخرى رواها النَّجَاشيُّ في رجالِهِ[٣]. ولم يعلم أنَّ هذه الكتب مما كتبه في حال استقامته أو بعد انحرافه .

ثمّ أنّه حَمَلَهُ الحسد لأبي القاسم بن روح على ترك المذهب والدخول في المذاهب الردّية ، وظَهَر منه مقالاتٍ منكرة ، وأصبح غالياً[٤] يعتقد بالتناسخ وحلول الالوهية فيه[٥].

وكان من عقائده أنه يعتقد القول بحمل الغد ، ومعناه أنه لا يتهيأ إظهار فضيلة للولي إلا بطعن الضد فيه ، لأنه يحمل سامعي طعنه على طلب فضيلته ، وساقوا المذهَبَ من وقتِ آدمَ الأول إلى آدم السابع ، لأنهم قالوا : سبع عوالم وسبع أوادم ، ونزلوا إلى موسى وفرعون ومحمّد وعليّ مع أبي بكر ومعاوية[٦]. قال أبو عليّ بن هَمَّام : سمعت محمّد بن علي العزاقري

---

(١) موسوعة الإمام المهدي/ ١/ ٥١٤ .

(٢) الغيبة / ٣٤٠ وما بعدها .

(٣) رجال النجاشي / ٢٩٤ .

(٤) رجال الشيخ الطوسي / ٥١٢ ، والفهرست / ١٧٣ ، رجال النجاشي / ٢٩٣ .

(٥) الكامل في التاريخ / ٦ / ٢٤١ .

(٦) الغيبة / ٢٥٠ .

الشلمغاني يقول : الحقُّ واحِدٌ وإنَّما تختلفُ قمصه ـ فيوم يكون في أبيض ويوم يكون في أحمر ويوم يكون في أزرق . قال ابن هَمَّام : فهذا أول ما أنكرته من قوله ، لأنّه قول أصحاب الحلول[١]. وكان يقولُ لأصحابه وتابعيه : إنَّ روحَ رسول الله ﷺ انتقلت إلى أبي جعفرٍ محمد بن عثمان وروح أمير المؤمنين علي عليه السلام انتقلت إلى بَدَنِ الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح ، وروح فاطمه الزهراء عليها السلام انتقلت إلى أم كلثوم بنت أبي جعفر وكان يزعم لهم أنّ هذا سرٌّ عظيم ويأخذ عليهم أنْ لا يكشفوه لأحد ، إلى معتقدات غريبة أخرى .

وكان ابن أبي العزاقِر وجيهاً عند بني بسطام ، ذلك أنَّ الشيخ أبا القاسم بن روح كان قد جَعلَ له عند الناس منزله وجاهاً ، فكانَ عند ارتداده يحكي كلّ كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ، ويسنده عن الشيخ أبي القاسم رضي الله عنه فأنكره وعظمه ونهى بن بسطام عن كلامه وأمرهم بلعنه والبراءة منه فلم ينتهوا وأقاموا على توليه ، وذلك أنّه كان يقولُ لهم : إنّني أذَعْتُ السرَّ ، وقد أخذ عليَّ الكتمان ، فعُوقبتُ بالإبعاد بعد الاختصاص ، لأنَّ الأمْرَ عظيم لا يحتمله إلاّ ملكٌ مقرَّب أو نبيّ مرسل أو مؤمن ممتحنٌ فيؤكد من نفوسهم عظيم الأمر وجلالته .

فبلَغ ذلك أبا القاسم فكتب رضي الله عنه إلى بني بسطام بلعنه والبراءة منه وممّن تابعه على قوله وأقام على تولّيه ، فلمّا وَصَلَ إليهم وأظهروه عليه بكى بكاء عظيماً ، ثمّ قال : إنّ هٰذا القول باطناً عظيماً وهو أنَّ اللعنة الأبعاد ،

---

(١) الغيبة / ٢٥١

فمعنى قوله : لعنه الله أي : باعده الله من العذاب والنار ، والآن قد عرفت منزلتي ، ومَرَّغ خدّيهِ على التراب وقال : عليكم بالكتمان لهذا الأمر"[1].

وقد رَتَّبَ على بعض هذه العقائد أنَّ أمّ كلثوم بنت ابي جعفر العمري دخلت على أم أبي جعفر بن بسطام ، فأعظمتها غاية الإعظام حتى أنّها انكبت على رجلها تقبلها ، فلما أنكرت ذلك منها ، أخبرتها بما قاله لهم العزاقري من العقائد ، وأنَّ رُوحَ الزهراء عليها السلام قد تجسَّدت فيها ، فكيف لا نُعظّمها وتُكْبِرُ شأنها ؟ ولم يُفِدْ تكذيبَ أمّ كلثوم لهذه العقائد ، وردعها لتلك المرأة عنها ، لما سبق من العزاقيري بأنّه سِرٌّ عظيم وقد أخذ عليهم أنَّه لا يكشفونه لأحد .

وحين رَأتْ أمُّ كلثوم ذلك بادَرتْ إلى ابي القاسم بن روح رضي الله عنه فأخبرته بالقصّة ، فقال : يا بُنيّه ! إياكِ أنْ تمضي إلى هذه المرأة بعدما جرى منها ولا تقبلي لها رقعة إنْ كاتبتكِ ولا رسولاً إنْ أنفذته إليكِ ، ولا تلقبها بعد قولها ، فهذا كُفْرٌ بالله تعالى وإلحاد .

قد أحكمه هذا الرجل الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أنْ يقول لهم : بأنَّ الله تعالى قد اتَّحَد بهِ وحَلَّ فيه كما يقولُ النّصارَى في المسيح عليه السلام ويعدو إلى قول الحلاج لعنه الله .

قالت : فَهَجْرتُ بني بسطام وتركتُ المضيّ إليهم ، ولم أقبل لهم عذراً ولا لقيتُ أُمَّهُمْ بعدها .

---

[1] الغيبة/٢٤٩ .

وشاعَ هذا الحديثُ في بني نوبخت ، فلم يبق أحدٌ إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغانيّ والبراءة منه وممّن تولاّهُ ورضيَ بقولِهِ أو كلمه ، ثمّ ظَهَرَ توقيعٌ من صاحب الزّمان عليه السلام يلعن أبي جعفر محمّد بن عليّ والبراءة منه وممّن تابعه وشايعه ورضيَ بقولِهِ وأقام على تولّيه بعد المعرفة بهذا التوقيع[1]. وكان خروجُ التوقيع ضده عام اثنى عشر وثلاثمائة ، يقولُ الإمام المهديّ عليه السلام فيه أنّ محمّد بن عليّ المعروف بالشلمغاني وهو ممّن عَجَّلَ اللهُ له النقمةَ ، ولا أمهله ، قد ارتدَّ عن الإسلام وفرّق ، وألحد في دين الله ، وادّعى ما كَفَرَ معه بالخالق جَلَّ وعلا وافترى كذباً وزوراً ، وقال بهتاناً وإثماً عظيماً ، كَذَبَ العادلون بالله وضَلُّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً .

وإنّنا قد برئنا إلى اللهِ تعالى وإلى رسولِهِ وآله صَلَواتُ اللهِ وسلامه ورحمته وبركاته عليهم منه ، ولعَنَّاهُ عليه لعائن الله تترى من الظاهر والباطن في السر والعلن وفي كلّ وقتٍ وعلى كُلّ حالٍ ، وعلى من شايعه وتابعه أو بلغه هذا القول منا وأقام على توليه بعده .

وأعلمهم أنّنا من التوقّي والمحاذرة منه على ما كُنّا عليه ممّن تَقَدَّمَهُ من نظرائه من الشريعي والنميري والهلالي والبلالي وغيرهم ، وعادة الله عندنا جميلة ، وبه نثق ، وإياه نستعين وهو حسبنا في كُلّ أمورنا ونعم الوكيل .

وقد صَدَرَ هذا التّوقيعُ حين ألقيَ القبضُ على الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنه وأنفذه من السجن في دار المقتدر إلى أصحابه : شيخنا أبو علي بن

---

(١) الغيبة / ٢٤٨

هَمَّام ، فوزَّعَهُ أبو عليّ توزيعاً عاماً ، ولم يَدَعْ أحداً من الشيوخ إلاّ أقرأه إياه وكتب بنسخته إلى سائر الأمصار ، فاشتهر ذلك في الطائفة ، فاجتمعت على لعنه والبراءة منه[1].

قال الراوي : وجدتُ بخطّ أحمد بن إبراهيم النوبختي وإملاء أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه على ظهر كتابٍ فيه جواباتٌ ومسائل أنفذت إلى قمّ يسأل عنها : هل هي جواباتَ الفقيه ـ يعني الإمام المهدي عليه السلام ـ أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني لأنه حكي عنه قال : هذه المسائل أنا أجبن عنها ، فكتب إليهم على ظهر كتابهم : بسم الله الرحمن الرحيم : قد وقفنا على هذه الرقعة وما تَضَمَّنته فجميعه جوابنا ، ولا مدخل للمخذول الضالّ المضلّ المعروف بالعزاقري ـ لعنه الله ـ في حرفٍ منه ، وقد كانت أشياء خرجت إليكم على يدي أحمد بن بلال وغيره من نظرائه وكان من ارتدادهم عن الإسلام مثل ما كان من هذا عليهم لعنة الله .

وأرادَ الراوي أنْ يتأكَّدَ عَمَّا إذا كانَ ما خَرَجَ من هؤلاء المنحرفين قبل انحرافهم عن الإمام المهديّ عليه السلام هل هو صحيحٌ أو مزوَّرٌ أيضاً ، قال الراوي : فاستثبتُّ قديماً من ذلك ، فخَرَجَ الجوابُ : على من استثبت ، فإنّه لا ضَرَرَ من خروج ما خرج على أيديهم ، وإنَّ ذلك صحيح[2].

ومثل هذا التثبت ما سئل الشيخ ابن روح رضي الله عنه عن كتب ابن أبي العزاقر بعدما ذُمَّ وخَرَجَتْ فيهِ اللَّعنة ، فقيل له ـ كما تقدَّم ـ فكيف نعمل

---

(١) الغيبة / ٢٥٢

(٢) الغيبة / ٢٢٨ .

بكتبه وبيوتنا منها ملاء ، فقال : أقول فيها ما قاله أبو محمد الحسن بن علي صلوات الله عليهما وقد سئل عن كتب بني فضال فقالوا : كيف نعمل بكتبهم وبيوتنا منها ملاء ، فقال صلوات الله عليه خذوا بما رووا وذروا ما رأوا.

فنرى ابن روح يعقد مقارنة بين كتب العزاقري وكتب بني فضّال ، حيث يفهم من كلام الإمام العسكري عليه السلام قاعدة عامة وهي : إن الانحراف في العقيدة لا ينافي إمكان صحة الرواية . فما على الفرد إلا أن يأخذ بما رووا من أخبار ويدع ما رأوا واعتقدوا من العقائد المنحرفة والطرق الضالة ، لا بفرق في ذلك بين بني فضال وابن ابي العزاقر[1].

وحين أحسَّ الشّلمَغَانيّ بالتّحدي والمجابهة من قبل الشيخ ابن روح والمجتمع الموالي له ، أراد أنْ يباهل ابن روح حتّى يضعَ المجتمع أمامَ الواقع وذلك : أنّه بعد أن اشتَهَرَ أمره وتبرّأ منه ابن روح ، اجتمع الشلمغاني بجماعةٍ من رؤساء الشيعة في مجلس الوزير ابن مقلة وزير الراضي عام ٣٢٢ هـ فوَجَدَ أنَّ كُلَّ فردٍ منهم يحكي عن الشيخ أبي القاسم لعنه والبراءة منه ، فقال : اجمعوا بيني وبينه حتّى اخذ بيده ويأخذ بيدي فإنْ لم تنزل نارٌ من السّماء تحرقه ، وإلاّ فجميع ما قاله فيَّ حق ، فبَلَغَ ذلك إلى الراضي فأمَرَ بالقبض عليه ، وقَتْلِهِ ، فقُتِلَ ، واستراحت الشيعة منه[2].

---

(١) موسوعة الإمام المهدي / ١/ ٥٢٠ .

(٢) الغيبة / ٢٥٠

والغريب من بعض الباحثين أنّه فهم من عَمَلِ الرّاضي هذا وفاءً لما كان يعتقدُهُ من قضيّةِ الإمام المهدي عليه السلام وأنَّ الراضي قبل أنْ يتسلّم الخلافة كان مع اتّصالٍ وثيقٍ من شخصيات شيعية لها اتّصال مع السفير وأنَّ الراضي مقتنعٌ اقتناعاً تامّاً بفكرة السّفارة وكان يُداريها بقدر مصلحته الشخصية، وهذا ما يرشد إليه قوله رحمه الله: يدلُّ على ذلك - أي فعلُ الراضي - على ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الخليفة الراضي كان عارفاً للحقّ وفيّاً له في حُدود قُدْرته ومصلحته، وقد سَبَقَ أنْ رَبطْنا ذلك باتّصالات شخصية كان يقوم بها الخليفة قبل خلافته مع الخاصّة من موالي الإمام وعلمائهم[1].

وهذا العَمَل من الرّاضي إنّما كان ليس من أجل الوفاء والاعتقاد بفكرة السفارة كما أشار إليه رحمه الله وإنّما هو من أجل عدم انتشار فكرة السفارة إلى أبعدَ من هذه الفترة الزمنية وكما تقدم أنّ المقتدر قد حبس ابن روح في داره وضيَّق عليه الخناق حتّى يرتدع الناس، وكانتْ سيرةُ الخلفاء من بعده هي التكتم والقضاء على أيّ شيء يدلُّ أو يُرشِدُ إلى المهديّ عليه السلام كما تقدَّم منا في الأبحاث السابقة بأن الخليفةَ عندما أدخلَ عليه الوفد كيف حاول أنْ يخفي هذا الأمر ولا ينشر لئلا يهتدي إليه النّاسُ فيعرفونه.

إضافة أنّه يُحْتَمَلُ احتمالاً قوياً بأنَّ الراضي كان يخاف من أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه لما له من النفوذ الواسع من رجالاتِ الدّولة أمثال الوزراء الشّيعة الذين سيّطروا على مفاصل الدّولة بكلّ أركانها وقد تعاقَبُوا لفترة طويلة لهذا المنصب في الدولة آنذاك، فقيام الراضي بهذا العمل كان

---

(١) موسوعة الإمام المهدي / ١ / ٥٢١.

مداراة وتقرب للحسين بن روح رضي الله عنه لا وفاءً واعتقاداً كما ذهب إليه رحمه الله .

وقد ذكرنا رواية أخرى غير هذه الرواية التي تشير إلى صورة المباهلة ولعلها مكملة لتلك .

وأخرج الشيخ في الغيبة رواية تشيرُ إلى أنَّ الشلمغاني لم يكن وكيلاً ولا طريقاً للحسين بن روح ولا باباً أيضاً ، والظّاهر أنَّ هذه الرواية هي بمثابة توقيعٍ صدَر بحقّهِ كما ذكرنا سابقاً الذي وَزَّعَهُ أبو عليّ محمّد بن هَمَّام حينما كان أبو القاسم الحسين بن روح في سجن المقتدر في لعن الشلمغاني أنّه قال : إنّ محمّدَ بن عليّ الشّلمغاني لم يَكنْ قَطُّ باباً ، إلى أبي القاسم ولا طريقاً له ، ولا نَصَبَهُ أبو القاسم لشيء من ذلك على وَجْهٍ ولا سبب ، ومن قال فقد أبطل ـ يعني قال بالباطل ـ وإنّما كان فقيهاً من فقهائنا ، وخلط وظهر عنه ما ظهر ، وانتشر الكُفْرُ والإلحاد عنه ، فخَرَجَ فيه التوقيع على يد أبي القاسم بلعنه والبراءة ممّن تابعه وشايعه وقال بقوله[1] .

وهذا منافٍ لما في الرواية القائلة : من أنَّ الشلمغاني كان حين استقامته واستتار الشيخ ابن روح ، سفيراً بينه وبين النّاس في قضاءِ حوائجهم ومُهمّاتهم ، وكانت التوقيعات تَخْرُجُ على يَدَيهِ عن طريقِ ابن روح[2] .

ولَعَلَّ توهّم بن هَمَّام في ذلك :

أولاً : لعدمِ المنافاةِ بين الوكالة حالَ الاستقامة وبَين الانحرافِ المتأخّر .

---

(١) الغيبة / ٢٥٠

(٢) الغيبة / ١٨٣

ثانياً : أنّ النقل بثبوتِ الوكالة له أكثر وعند الأصحاب أشهر ، وقالوا ثم إنّه حَمَلَهُ الحسَدُ لأبي القاسم بن روح على تَرْكِ المذهب والدّخول في المذاهب الرّديئة وظَهَرَتْ منه مقالاتٍ منكرة وأصبح غالباً يعتقد بالتناسخ وحلول الألوهيّة فيه . وله دعاوى أُخَرَ باطلة ...

ثالثاً : اعتراف ابن همّام في الرّواية الأولى باستقامته في مبدأ أمره والإقرار له بالوكالة وأنّه كان الواسطةَ بين ابن روح والقواعد الموالية كما سمعنا ذلك .

رابعاً : لعلّ ابن همّام اراد بنفي الوكالة عنه في حال انحرافه بعد استتار ابن روح وسجنه ، وانحرافِ الشلمغاني واقع ما بين هاتين الحادثتين ، ونحن وإنْ كنّا نَعْلَمُ تاريخَ سجن ابن روح وهو عام ٣١٢ كما ذكرْنا إلاّ أنّنا لا نعْلمُ تاريخ استتاره ولا مُدّتِهِ لكي نُحَدّدَ عامَ انحرافِ الشلمغاني وغايةْ ما يمكن تحديدُهُ هو أنّه انحرفَ في زمان خلافة المقتدر ، فالمهمّ هو معرفة تاريخ البيان الذي صدر ضِدّهُ ، ولابُدَّ أنْ يكونَ بعد انحرافِهِ بقليلٍ ، بحيثُ لا يَبْقى له مجالٌ للعمل العامّ بالوكالة عن ابن روح خلال ذلك ، وتاريخُ صُدُوره مَضْبوطٌ بعام ٣١٢ نفسه ، وعليه يكونُ النّقلُ بثبوتِ الوكالة له أكثر والاعتماد عليه أضبط .

وعلى أيّ حالٍ فقد كانَ انحرافُهُ بخلافةِ المقتدر كما سمعنا ذلك ، فطلب من وزيرهِ عبدِ الله بن محمد بن عبيد الله الخاقاني[١] وذلك عام ٣٢١[٢] . وحاول

---

(١) مروج الذهب / ٤/ ٢١٤ .

(٢) الكامل في التاريخ / ٦/ ١٧٨ .

الوزير القبض عليه ، فاستَترَ الشلمغاني ، وهَرَبَ إلى الموصل ، فبقي بقرية معلثايا ، وهي قريةٌ من أعمال الموصل كما يروي ذلك النّجاشي في رجاله أنّهُ أخبر بقائمة كتبه عند استتاره بها[١].

وتعرف من هذا السّياق أيضاً أنَّ التوقيع الذي صَدَرَ ضِدَّهُ من الإمام المهدي عليه السلام كان قبل اختفائه في الموصل ، فإنّه أيضاً كان عام ٣١٢ كما سبق ، ومن المعلوم صُدُورُهُ حال وجودِهِ في بغداد واختلاطه بالناس ، كما أنَّ محاولَتَهُ للمباهلَة مع ابن رُوح كانَتْ بعدَ عَوْدِهِ إلى بغداد قبل مقتله بعده شهور .

وذلك أنّه بعد أن انحدر إلى بغداد واستتر وظَهَرَ عنه ببغداد أنّه يدّعي لنفسه الرّبوبية ، وقيل : إنّه اتّبَعَهُ على ذلك الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سلمان بن وَهَبْ ، الذي وَزَرَ للمقتدر عام ٣١٩ ، وأبو جعفر ، وأبو عليّ ابنا بسطام ، وإبراهيم بن محمّد بن أبي عون ، وابن شبيب الزّيات ، وأحمد بن عبدوس ، كانوا يعتقدون الرّبوبية فيه ، وظَهَرَ ذلكَ عنهم ، وطُلِبُوا أيّامَ وزَارةِ ابن مُقْلَة حين وزر للمقتدر عام ٣١٦ فلم يُوجَدوا[٢].

إذاً فالشلمغاني هَرَبَ إلى الموصل عام ٣١٢ وعاد إلى بغداد عام ٣١٦ وسلطات المقتدر بالرّغم من أنّها حاولت القبض على الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سلمان بن وهب عام ٣١٦ بتُهْمَةِ اتّباع الشلمغاني واعتقادِهِ الرّبوبية فيه ، فإن المقتدر استوزره عام ٣١٩ .

---

(١) رجال النجاشي / ٢٩٤

(٢) انظر تفاصيل ذلك في الكامل في التاريخ / ٦ / ١٩٢ وما بعدها .

وقد استفاد بعض الباحثين من هذا السياق وفعل المقتدر من استوزاره لمعتقد الربوبية بالشلمغاني من أنَّ الدولة آنذاك كانت تُؤيّدُ من طرفٍ خفي خطَّ الانحراف الداخلي في خطّ الموالين للأئمة عليهم السلام[١].

هذا وإنْ كان ممكن في حدّ نفسه ولكنّ الدولة لم تكُنْ ملتفتةً لهذا التخطيط وإلا تترك الشلمغاني وغيره ممّن يدعي السفارة زوراً . أو على الأقلّ يَظْهَرُ هذا التخطيط على الواقع بأنّ الدّولَةَ تُجَنّدُ رجالا يدّعون السفارة والبابية للناحية المقدسة ، ولكن كُلّ ما في الأمر أنّ عصرَ المقتدر والراضي والمتقي وغيرهما كان منصب الوزارة كسلعةٍ تُباع وتشترى بأغلى الأثمان والحسين بن القاسم كانَ رجُلاً ثرياً ، وتَقَدَّم للمقتدر واعتذر منه ودفع أكثر مما دفعه الأخرون ، فطبيعيٌ يكون منصب الوزارة من نصيبه ، فهو أيضاً قُتِلَ بعد ذلك من جملة الذين قتلوا مع الشلمغاني على ما سوفَ تسمعه[٢].

أمّا كيفيّة مقتله فقد اتّفَقَتْ كُتُبُ التاريخ على أنَّ الرّاضي قتَلَهُ عام ٣٢٢ وذلك أنّه لّما كانَ في شوّال لهذا العام ظهر الشلمغاني من بعد استتاره ببغداد فقبض عليه الوزير ابن مقلة وكان هذا أول عام من تولىّ الراضي للخلافه وكان أبو علي محمد بن مقلة هو أول وزرائه .

فقبض عليه الوزير ابن مقلة وسجنه وكبسَ داره فوجد فيها رقاعاً وكُتُباً ممّن يدّعى عليه أنّه على مذْهبِهِ يُخاطِبونهُ بما لا يُخاطَبُ به البشر بعضهم بعضاً ، وفيها خط الحسين بن القاسم فعُرِضت الخطوطُ فعرفها

---

(١) موسوعة الأمام المهدي / ١/ ٥٢٧ .

(٢) انظر ذلك مفصلاً في كتابنا تاريخ وزراء الشيعة الجزء الثاني .

الناس ، وعرضت على الشلمغاني فأقرَّ أنّها خطوطهم وأنْكَرَ مَذْهَبَهُ وأظْهرَ الإسلام وتبَّرأ مما قال فيه .

وأُخذ ابنُ عون وابنُ عبدوس معه وأُحْضِرا معه عند الخليفة وأُمِرا بصفعه فامتنعا ، فلمّا أُكرِها مَدّ ابنُ عبدوس يدَهُ وصَفَعَهُ ، وأمّا ابن أبي عون فإنّه مَدّ يَدَهُ إلى لحيته ورأسِهِ فارتعدت يَدُهُ ، فقبّل لحية الشلمغاني ورأسه ، ثم قال : الهي وسيدي ورازقي .

فقال الراضي : قد زَعَمْتَ أنَّكَ لا تَدَّعي الإلوهية ، فما هذا ؟ فقال : وما عليّ من قول ابن أبي عون ! واللهُ يَعْلَم أنّني لا قلتُ أنّني إلهٌ قطٌّ . فقالَ ابنُ عبدوس أنّه لم يَدَّعي الألوهيّة وإنّما ادّعى أنَّهُ الباب إلى الإمام المنتظر مكان ابن روح وكنتُ أظنُّ أنَّهُ يقولُ ذلك تقيّةً .

ثمّ أُحْضِرَوا عِدَّة مَرّاتٍ ومعهم الفُقَهَاءُ والقُضاة والكُتّاب والقوّاد وفي اخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحة دمه فصُلِبَ الشلمغاني وابنُ أبي عون في ذي القعدة وأُحْرِقا بالنّار ، وكان الحسين بن القاسم بالرّقة فأرسل الراضي إليه فقُتِلَ اخر ذي القعدة وحمل رأسه إلى بغداد[1] .

وبذلك انتهى حسابُ الشلمغاني تجاهَ الدّولَةِ وقواعدها الشعبية وتجاه المؤمنين به ، وتجاهَ السّفيرِ أبي القاسم بن روح رضي الله عنه وبالتالي تجاهَ الإمام المهديّ عليه السلام نفسه وقواعِدِهُ الشعبية ، وانتَصَرَ الإمامُ المهدي عليه السلام وسفيره من حيثُ أرادَ اللهُ تعالى لهما النصر[2] .

---

(١) الكامل في التاريخ ٦/ ٢٤٢ .

(٢) موسوعة الإمام المهدي / ١/ ٥٢٨ .

أمّا الشخصيّةُ الثانية : التي ادّعت السّفارة زوراً وكذباً في سفارة أبي القاسم الحسين بين روح ـ وإنْ كان السّفيرُ لم يتصد له ولم يخرج فيه توقيع من الناحية المقدسة لأسبابٍ سوف تقف عليها.

هو كما يذكر النسابة محمّد بن علي المعروف بابن الطقطقا في كتابه الفخري الحُسينُ بن منصور الحلاج ويُكَنّى أبا الغيث أصله مجوسيّ من أهل فارس ونشأ بواسط ، وقيل : بتُسْتَرَ ، وخالطَ الصُّوفية وتتلمذ لسهل التستري ، ثمّ قدم بغداد ولقيّ أبا القاسم الجنيدي ، وكان الحلاّج مُخلّطاً يلبس الصّوف والمسوح تارة ، والثياب المصبّغة تارة ، والعمامة الكبيرة والدرّاعة تارة ، والقبّاء وزيّ الجند تارة ، وطافَ بالبلاد ، ثمّ قدم في اخر الأمر بغداد وبنى بها داراً ، واختلفت آراءُ الناس واعتقاداتهم فيه وظهر منه تخليط وتنقل من مذهب إلى مذهب ، واستغوى العامّة بمخاريق كان يعتمدها ، منها أنه كان يحفر في بعض قوارع الطرقات موضعاً ويضع فيه زقاً فيه ماء ، ثم يحفر في موضع آخر ويضع فيه طعاماً ، ثم يمرّ بذلك الموضع ومعه أصحابه فيحتاجون هناك إلى ماء يشربونه ويتوضأون به ، فيأتي هو إلى ذلك الموضع قد حفره وينبش فيه بعكاز فيخرج الماء فيشربون ويتوضأون ، ثمّ يفعل كذلك في الموضع الأخر عند جوعهم فيخرج الطعام من بطن الأرض ، يوهمهم أنّ ذلك من كرامات الأولياء ، وكذلك كان يَصْنَعُ بالفواكه يدّخِرُها ويحفظها ويخرجها في غير وقتها ، فشُغف الناس به ، وتكلّم بكلامِ الصّوفية وكان يخلطه بما لا يجوز ذكره من الحلول المحض وله أشعاراً فمنها :

حبيبي غيرُ منسوبٍ   إلى شيءٍ من الحيفِ

سقاني مثلما يشرب فعلُ الضّيف بالضّيف
فلمّا دارتِ الكاسُ دعا بالنّطع والسيّف
كذا مَنْ يشربُ الرّاحَ مع التنّين في الصيف

وكثر شغف الناس به وميلهم إليه حتّى كانت العامة تستشفي ببوله وكان يقول لأصحابه : أنتم موسى وعيسى ومحمّد وآدم ، انتقلت أرواحهم إليكم ، فلمّا نمى هذا الفساد منه تقدّمَ المقتدر إلى وزيره حامد بن العباس بإحضاره ومناظرته ، فأحضره الوزيرُ وجمع له القضاة والأئمة ونُوظِرَ فاعترف بأشياءَ أوجبت قتله ، فضُربَ ألف سوط على أنْ يموت ، فما مات ، فقطعت يداه ورجلاه وحُزّ رأسه وأحرقت جثته ، وقال لأصحابه عند قتله : لا يهولنّكم هذا ، فإنّي أعودُ إليكم بعد شهر ، وذلك في سنة ٣٠٩ . وأنشد قبل قتله[١] :

طلبتُ المستقرّ بكلّ أرض فلم أرَ لي بأرض مُستقرّا
أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أنّي قَنِعْتُ لكنتُ حُرّا

وقد ذكر الخطيبُ البغداديُّ أنّ الحسين بن منصور الحلاّج لّما قَدِمَ بغداد بدعوا استغوى كثيراً من الناس والرؤساء ، وكان طمعه في الرّافضة أقوى لدخوله من طريقهم ، فراسَلَ أبا سهل بن نوبخت يستغويه وكان أبو سهل من بينهم مثقفاً فهماً فطناً ، فقال أبو سهل لرسوله : هذه المعجزات التي يظهرها قد تأتي فيها الحيل ، ولكن أنا رجل غزل ولا لذة لي أكبر من النساء خلوتي بهن ، وأنا مبتلى بالصّلع ، حتى أني أطول قحفي وآخذ به إلى جبيني وأشدُّه بالعمامة ، واحتال فيه بحيل ومبتلى بالخضاب لستر المشيب ، فإن يصل ليَ شعراً وردّ لحيتي سواد بلا خضاب آمنتُ بما يدعوني إليه كائناً ما كان ، إنْ

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية / ٢٦٠ .

شاءَ قلتُ أنَّهُ باب الإمام ، وإنْ شاءَ قلت أنَّه الإمام ، وإنْ شاءَ قلت أنّه النبيّ ، وإنْ شاءَ قلت أنَّه الله .

قال : فلمّا سمع الحلاّجُ جوابه أيس منه وكَفَّ عنه[1] .

وأخرَجَ الشيخُ في غيبته مع زيادةٍ على ذلك بأنَّ الحسين بن الحلاّج قال لابن سهل : وقد أُمِرْتُ بمراسلتك وإظهار ما تريده من النُّصْرَةِ لك لِتَقْوَى نَفْسُكَ ولا ترتاب بهذا الأمر .

وبعد أنْ كَشَفَهُ أبو سهل وأفحمه وأظْهَرَ عجزه أمسَكَ الحلاّجُ عنه ولم يردّ إليه جواباً ولم يرسل إليه رسولاً ، وصيّره أبو سهل أُحدوثةَ وضحكة ويطنز ـ أي يسخر ـ به عند كل أحد ، وشُهِرَ أمرُهُ عند الصَغير والكبير وكان هذا الفعل سبباً لكشف أمره وتنفير الجماعة منه[2] .

وحينَ ذَهَبَ الحلاّجُ إلى قم كاتَب عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه ـ وهو من أجلاَءِ علمائنا ، ووالد الشيخ الصّدوق ـ وادّعى له الحلاّج : أنه رسول الإمام ووكيله .

فلمّا وَصَلَ خطابه إلى ابن بابويه مَزَّقَهُ ، وقال لرسول الحلاّج : ما أفرغك للجهالات ! فقال له الرّجل : فإنَّ الرَّجُل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته ؟ وضحكوا منه وهزءوا به ، ثم نَهَضَ إلى دكّانه ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه ، وعندما وصل نهض لاحترامه كل من كان هناك غير رجل راَه جالساً في الموضع فلم ينهض له ولم يعرفه ابن بابويه .

---

(١) تاريخ بغداد/١٠٨/٣ .

(٢) الغيبة/٢٤٨ .

فَلمّا جَلسَ وأخْرَجَ حسابه ودواته كما يكونُ التّجار أقبل على بعض منْ كان حاضراً فسأله عنه فأخبره، فسمعه الرَّجَلَ يسأل عنه فاقبل عليه وقال له: تسأل عنيّ وأنا حاضر؟ فقال له ابن بابويه أكْبَرْتُك أيُّها الرجل وأعظمتُ فدرك أنْ أسألك، فقال له: تخرق رقعتي وأنا أشاهِدُكَ تخرقها، فقال له: فأنت الرّجل إذن؟ ثمّ قال خُذْ يا غلام برجله وبقفاه، وسحبوه من الدار سحباً، ثمّ قال له: اتدّعي المعجزات عليك لعنةُ الله، فأخرج بقفاه. قال الراوي فما رأيناه بعدها بقم[1].

ويستفاد ممّا تقدّم أمور:

الأمرُ الأول: إنّ أمْرَ الحلاّج كان أهون وأوضح لدى خاصّة الموالين من أنْ يخْرُج فيه التوقيعُ عن الإمام المهديّ عليه السلام فقد كان لهم من الموازين والقواعد الإسلامية ما يكشفون به عن خدعه وأباطيله من دون حاجةٍ إلى سؤال من المهديّ عليه السلام وجواب، ولم يستفحل به الأمرُ ليصل الحالُ إلى حدّ الحاجة إلى ذلك.

ولا ننسى في المقام قول ابن روح في الشلمغاني: فهذا كُفْرٌ بالله تعالى وإلحاد قد أحكمه هذا الرَّجُلُ الملعون في قلوب هؤلاء القوم ليجعله طريقاً إلى أنْ يقول لهم: بأنّ اللهَ تعالى اتّحَدَ به وحَلَّ فيه، كما يقولُ النَّصارى في المسيح عليه السلام ويعود إلى قول الحلاج لعنه الله[2]. فقد حَكَمَ على عقائد الشلمغاني

---

(١) الغيبة/٢٤٩

(٢) نفس المصدر.

بالبطلان باعتبار رجوعها في نهاية المطاف إلى قول الحلاج، فكيف بقول في الحلاّج نفسه.

على أنّه لم يكن الذي التفتَ إلى فسادِ قوله هو الحسين بن روح وأصحابه فحسب بل التفتت إلى ذلك السلطات، وخافت على شعبها من أنْ يؤثّر الحلاّجَ في انحرافه عن أصل الإسلام وهو الدّينُ الحنيف الذي نقوم الخلافه على أساسه منه، فقبضوا عليه، وأفتى الفُقَهاءُ بإباحَةِ دَمِهِ، ولمّا سمع الحَلاَّجُ ذلك، قال: ما يحلُّ لكم دمي واعتقادي الإسلام ومذهبي السُّنة، ولي فيها كتبٌ موجودة، فالله الله في دمي، ولكن الخليفة المقتدر أذن في قتله حين رأى الفتاوى، فضُرِبَ ألفَ سوطٍ وقُطِعَتْ يدُهُ ثمَّ رجله ثمّ يده ثمّ رجله، ثم قتل ثمّ أحرق بالنار والقيّ رمادُهُ في دجلة ونُصِبَ الرّأسُ ببغداد وأرسل إلى خراسان، لأنَّهُ كانَ لهُ بها أصحاب"[1].

فأعجبُ من الخطيب البغدادي إذ يعتبر الحلاّج من الشيعة، على حين نرى الحلاّج بنفسه يعترفُ أمام السلطات أنَّ مذهبه السنة وله فيها كتب موجودة.

الأمر الثاني: إنَّ الحلاّج كانَ يخدع كُلَّ قومٍ من حيثُ جهة قناعتهم واعتقادهم، ليجلبهم بعد ذلك إلى ما يريدُ لهم من العقائد الباطلة والأقوال المنحرفة، وإذ يكون الناس في فراغٍ عقائديّ وضعفٍ في الدّعوة والإرشاد الإسلاميّ بينهم، لم يَكُنْ بإمكانِهِمْ أنْ يُفَرّقوا بين المعتَقَدِ الحقّ والباطل، وبينَ ما هو مُعْجِزَةٌ وما هو خدعة، وقد استغلَّ الحلاّجُ هذا الواقع المرّ

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ١٢٦.

استغلالا كبيرا واصطاد في هذا الماء العكر اصطياداً مُضَاعَفَاً ، حتّى ضجّ منه أهل الإسلام بمختلف مذاهبهم .

وقد كان منطلقه إلى خداع القواعد الشعبية الموالية للأئمة ﷺ هو ادّعاءَ الوكالة عن الإمام المهديّ ﷺ ثمّ يعلو منه إلى غيره[1] لتخيُّلِهِ أنّ هذا الأمرَ مفهومٌ لهم معْتَادٌ بالنسبة إليهم .

ولولا وقوفُ أبي سهلٍ النّوبختيّ في بغداد وابن بابويه في قمّ ضدّهُ لكان له أثرٌ مؤسف كبير .

الأمر الثالث : أنّهُ يتّضحُ أيضاً من كون علمائنا في تلك الفترة لم يكونوا يشكّلون طبَقةً منفصِلةً لَهُمْ حدودٌ معيّنة ، وعلاقات محدودة ، بل كان حالهم حال غيرهم في اتّخاذهم عَمَلاً يرتزقون منه ، وينطلقون إلى اللقاء مع مختلف الطبقات عن طريقه ، كالذي عن ابن بابويه الذي كان إلى جانبِ تجارته من أكابر العلماء العاملين لتلك الفترة ، ويكفينا من جهادِهِ هذه الصّورة الواضحة من قيامه ضدّ الحلاّج وفضحه في المجتمع المسلم[2] .

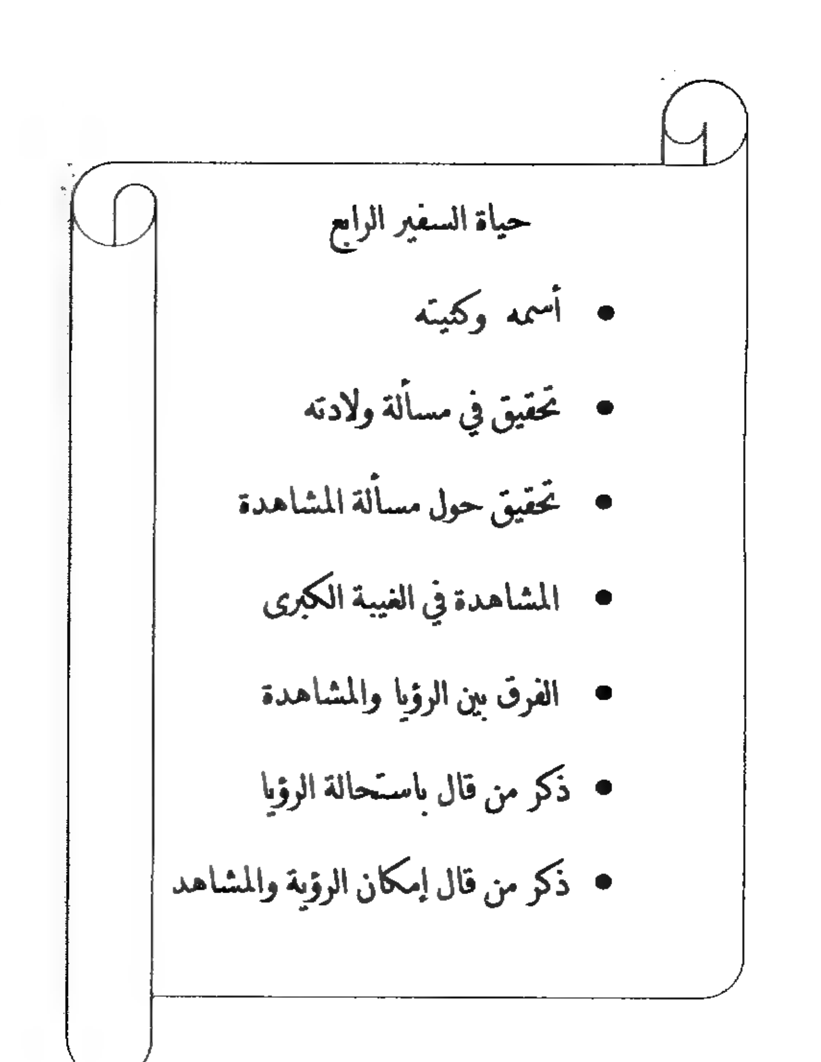
وبهذا القدر نكتفي في الحديث عن حياة السفير الثالث ، فإذا أردت المزيدَ انظر ما اثبت العلماءُ الأعلام ممّا وَرَدَ عن كلٍّ واحدٍ من النواب في كتبهم المشار إليها في الهوامش .

* * *

---

(١) الغيبة / ٢٤٧

(٢) موسوعة الإمام المهدي / ١/ ٥٣٢ .


حياة السفير الرابع
أسمه وكنيته
تحقيق في مسألة ولادته
تحقيق حول مسألة المشاهدة
المشاهدة في الغيبة الكبرى
الفرق بين الرؤيا والمشاهدة
ذكر من قال باستحالة الرؤيا
ذكر من قال إمكان الرؤية والمشاهد

حياة السفير الرابع

اسمه وكنيتُهُ : أبو الحسن عليّ بن محمّد السَّمري أو السيمري ، وقيل الصيمري[١] والمشهور شهرة عظيمة عند الطائفة الإمامية هو الأول والمضبوط بفتح السين والميم معاً ، والآخرين مضبوطين بفتح أولهما وسكون الياء وفتح الميم وربما قيل بالضم أيضاً .

أمّا نسبته للسّمري فلم أجد لها معنىً ، ولم أجد أيضاً من صرَّح بمعناها إلاّ ما وجدتُ في كتب اللغة أن السّمر هو من سمر المسار في الحائط أو الخشب[٢] لعلّه السفير الرابع كانت مهنته النّجارة ، وكان ماهرا بها فاشتهر بالسّمري ، وهذا المعنى لا يوجد في كتبنا ، فيصعب إثباته حينئذٍ ، ولو كانت مهنته هي النجارة لاشتهر بها كما اشتهر السفير الأول بالسمّان لتلك المهنة كما تقدم ذلك .

أمّا السّيمري فهو تصحيف من الصّيمري وهي نسبة إلى صَيْمَرة بصاد مفتوحة ، مثناة تحتية ساكنة ، وميم مفتوحة ، وراء مهملة وهاء ، وهي تطلق على أكثر من موضع .

ففي معجم البلدان : كلمة أعجمية ، وهي من موضعين : أحدهما بالبصرة على فم نهرِ معقل ، وفيها علةّ قرى تسمّى بهذا الاسم ، وبلد بين

---

(١) رجال الشيخ الطوسي ذكره بعنوان الصيمري / ٤٣٢ ، كشف الغمة / ٣/ ٢٠٧ .

(٢) الصحاح الجوهري ، و لسان العرب ابن منظور ، قاموس المحيط الفيروزابادي مادة سمر

دبار الجبل وديار خوزستان ، هي مدينة بمهرجان قَذَف ، وهي للقاصد من هَمدان إلى بغداد عن يساره .

قال الاصطخري : وأمّا صيمرة والسّيروان فمدينتان صغيرتان[1].

وفي الأنساب للسمعاني : هذه النسبة إلى موضعين : أحدهما منسوب إلى نهرٍ من أنْهارِ البصرة يقال له الصّيمر عليه علّة قرى ، وأمّا الصيمرة فبلدة بين ديار الجبل وخوزستان ، وسألت بعضهم عن هذا النسب فقال : صيمرة وكودشت قريتان بخوزستان[2].

وعليه فيكون أبو الحسن عليّ بن محمّد السّمري رضي الله عنه من صيمر البصرة ، وما زال في أيامنا هذه منطقة بالبصرة تعرف بهذا الاسم ويقولون عنها صيرم البصرة ، فيكونُ السفراء الأربعة رضي الله عنهم كلُّهم من أهلِ العراق أصلاً ومسكناً وعملاً ومدفناً .

تحقيق في مسألة ولادته :

لم يذكر عام ميلاده كباقي أسلافه ، وإنّما ذكر كأول وهلة أنه من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام[3] ثمّ يذكر بعد ذلك أنه تولّى السفارة من حين وفاة أبي القاسم الحسين بن روح عام ٣٢٦ إلى أن لَحِقَ بالرّفيق الأعلى عام ٣٢٩ في النصف من شعبان[4]. فتكون مدة سفارته عن الإمام المهدي عليه السلام ثلاثة أعوام كاملة .

---

(1) معجم البلدان / ٣ / ٤٣٩

(2) الانساب / ٨ / ١٢٨

(3) رجال الشيخ الطوسي / ٤٣٢

(4) اعلام الورى / ٤١٧ .

وعلى هذا يتّضحُ لنا عُمُرُه إجمالاً على اعتبار أنّه قضى كُلَّ مدّة الغيبة الصّغرى كلها ، وهي تسعٌ وستون وبضعة أشهر وأيام كما تقدّم منّا ، وقد سمعنا أنّه من أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام وكما هو المعلوم أنّ لفظة الصاحب لا تُطْلَقُ إلاّ على من كان عمره قد تجاوز الخمسة وعشرين سنة فيكون عمره ـ ولو إجمالاً ـ قد وصَلَ إلى المئة سنة أو أقلّ من ذلك بقليل جداً وعلى ذلك يكونُ السّفيرُ الرابع رضي الله عنه أطول عمراً ، وأقل سفارة .

فلا داعيَ حينئذٍ أنْ نَرْسم الخطوطَ العامَّة لجرياتِهِ عصره أو نسلّط الضّوء على نشاطه وفعّاليته التي قامَ بها ، فإنَّ فترةَ سَفارَتِهِ لم تكن مشحونة بالأحداث المهمّة لكي تكونَ مادّةً لدراسةِ عَصْرِهِ ، وإضافة إلى ذلك قصرُ مدّة سفارته ، وإنّما الأهمّ هو التوقيع الأخير الذي صَدَرَ من الحُجَّةِ بن الحسن صلواتُ اللهِ عليه الذي يؤذِنُ بانتهاءِ فترة الغيبة الصُّغرى وابتداء الغيبة الكبرى ، وسوفَ تقفُ على تفاصيله .

وقد قام بمهامّه على أحسنِ وَجهٍ بعدما نَصَّ السَّفيرُ ابنُ روُحٌ على سَفارتِهِ وتقبَّلَها الشّيعةُ بأحسن قبول ، ولم يقم أحد من هؤلاء السفراء رضي الله عنهم بالنيابة إلاّ بنص عليه ، ولم تقبل الشيعة قولهم إلاّ بعد ظهور آية معجزة تظهر على كُلِّ واحدٍ منهم من قبل صاحب الأمر تدلُّ على صدق مقالتهم وصِحّة نّياتهم ، فلمّا حانَ رحيلُ ابن روح أوصى ، كما يروي الوصيّة الشيخُ في الغيبة عن أبي عبدِ اللهِ أحمد بن محمّد الصّفواني قال : أوصى الشيخ أبو القاسم إلى أبي الحسن عليّ بن محمّد السّمري ، فقام بمكان أبي القاسم فلمّا حَضَرتهُ الوفاةُ حضَرَتِ الشيّعَةُ عنده ، وسألته عن الموكّل بعده والذي

بعوم مقامه ؟ فلم يظهر شيئاً من ذلك ، وذكر أنه لم يؤمَرْ بأنّه يوصي إلى أحدٍ من بعده في هذا الشأن[١]. وكما ترى أنَّ الشيخ روى وصيّة السّفراء الثلاثة ، كذلك روى وصيّته عليهم السلام نصاً .

فما أدّعاه البعضُ بأنَّ السّفيرَ الرابع لم يردْ فيه نصٌّ معيّناً على سفارته وإنّما وصلت إلينا عن طريق التسالم والاتفاق . كما يرشد إليه قوله رحمه الله : ولم يرد في هذا الايعاز خَبَرٌ معيّن ، وإنّما يُعرَفُ بالتسالم والاتفاق الذي وجد على سفارة السّمري بين الموالين ، الناشئ لا محالة من تبليغ ابن روح عن طريق الإمام المهدي عليه السلام وقد سَبَق أنْ قلنا أنَّ مثل هذا التسالم والاتفاق ، كانت القواعد الشعبية الموالية للإمام عليه السلام تعتمِدُهُ وتتّبعه فيتبع في ذلك الجاهل العالم والبادي الحاضر ، ووجود هذا التّسَالمُ مأخوذٌ في التاريخ جيلاً بعد جيلٍ عن الغيبة الصّغرى ، مما يعلم بوجوده ويحرز تحقُّقَهُ بالقطع واليقين[٢].

وهذا كما ترى لا تُسَاعِدُ عليه النُّصوصُ التي ذكرناها ، فإنّ التسالم والاتّفاق المدّعى في المقام قد حَصَلَ فِي مَرحلَةٍ متأخرةٍ جداً بعد الغيبة الصُّغرى وسَاعَدَ عليه النُّصوص التي ذكرت تنصيب كلٍّ واحدٍ من قبل السّفير الذي يتلوه لهذا المنصب ، إضافةً إلى ذلك فإنّ الشّيعة لا تقبل من أحدٍ هذا المنصب إلى بعدَ اقرار السّفيرِ على تنصيبه وإظهارِ بعض الكرامات على يديْه كما سمعنا ذلكَ مراراً .

---

(١) الغيبة / ٢٤٢

(٢) موسوعة الإمام المهدي / ٤١٣ / ١ .

وتحَدَّثَ الشيخُ الصدوق رحمهُ اللهُ عن إحدى كرامات السَفير الرّابع ﵁ فقال : حَدَّثَنا أبو الحسين صالح بن شعيب الطالقاني ﵁ في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ، قال : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن مخلد قال : حضرتُ بغدادَ عند الشيخ ، فقال الشيخ أبو الحسن عليّ بن محمد السمري ﵁ ابتداءً منه : رحم اللهُ عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّي ، فكتب المشايخ ذلك اليوم ، فورد الخبرُ أنه توفيّ ذلك اليوم[1].

وفي روايةِ الشّيخ الطّوسي بسَنَده عن جماعةٍ من أهل قُم ، منهم عمران الصفّار ، وقريبُهُ علوية الصفار ، والحسين بن أحمد بن علي بن أحمد بن إدريس رحمهم الله قالوا : حضرنا بغداد في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين بن موسى بن بابويه ، وكان أبو الحسن عليّ بن محمد السمري ﵁ يسألنا عن كلّ قريبٍ عن خبر عليّ بن الحسين رحمه الله فنقول : قد ورد الكتاب باستقلاله ، حتّى كان اليوم الذي قبض فيه فسألنا عنه فذكرنا له مثل ذلك ... فقال : آجَرَكُمُ اللهُ في عليّ بن الحسين فقد قبض الساعة .

قالوا : فأثبتنا تاريخ السّاعة ، واليوم والشهر ، فلمّا كان بعد سبعة عشر يوماً ، أو ثمانية عشر يوماً ، وَرَدَ الخَبرُ أنّه قُبِضَ في تلك الساعة التي ذكرها الشيخ أبو الحسن قدس سره[2].

وروى الشّيخُ الصدوق رحمه الله قال : حَدَّثَنا أبو محمد أحمد بن الحسن المكتّب قال : كنتُ بمدينةِ السّلام في السّنَةِ التي تُوفّي فيها الشيخ أبو الحسن

---

(١) كمال الدين /٤٦٨ .

(٢) الغيبة /٢٤٣

علي بن محمد السّمري قدّس سره ، فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج توقيعاً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليَّ بن محمّد السَّمري عظّم الله أجر إخوانك فيك فإنّكَ ميّت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ، ولا توصِ إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك فقد وقعت الغيبة الثانية ((وفي روايةِ الشّيخ الطوسي في الغيبة : التامة)) فلا ظهورَ إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً ، وسيأتي شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة ، ألا فَمَنِ ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصّيحة فهو كاذب مفتر((وفي رواية الطوسي في الغيبة ، والطبرسي في الاحتجاج ، والعلامة المجلسي في بحار الأنوار كذّاب مفتر)) ولا حولَ ولا قوّة إلاّ باللهِ العلي العظيم .

قال : فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده ، فلمَّا كانَ اليومُ السادِسُ عدنا إليه وهو يجودُ بنفسه فقيل له : من وصيّك من بعدك ؟

فقال رحمه الله : لله أمرٌ هو بالغه ، ومضى رضي الله عنه ، فهذا آخرُ كلامٍ سُمِعَ منه رحمه الله[1] . وكانت وَفَاتُهُ في النّصْفِ من شعبان سنة ٣٢٩ هـ .

ومَرْقَدُه الآنَ جنبَ جامعٍ كبيرٍ معروف باسم ((مسجد القبلانية)) واقع في سوق السراي ((وكان معروفاً بسوق الهرج)) ببغداد قُرْبَ نهر دجلة ، قرب المستنصرية في الضفّة اليسرى من نهر دجلة . و هو عامر مشيد عليه قبة زينت بالكاشي الأزرق تزوره وفود المسلمين خصوصاً الشيعة ، فهو يعتبر من

---

(١) كمال الدين / ٤٨٠ ، الغيبة / ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، الاحتجاج / ٢٩٧ ، بحار الأنوار / ١٥ / ٣٦١ .

المراكز الشيعية المهمة في بغداد . وفي مراقد المعارف : ((مرقدُهُ ببغداد جانب الرصافة في سوق الهرج القديم قرب المستنصرية في الضّفة اليسرى من نهر دجلة ، يقع قبره في حُجْرةٍ بين السّوق وبين المسجد المعروف بمسجد القبلانية وهو اليوم عامر عليه قبة يزوره المسلمون خصوصاً وفود الشيعة الإمامية ، فهو يعتبر من المراكز الشيعية في بغداد . وقبرُهُ صغير ، ولم يفتح للزائرين منذ مُدّةٍ طويلة ، وعلى جدرانه آثار التبرّك من الزائرين ، ولا يُوجَدُ ما يشير إلى تاريخ العمارة الأولى على قبره)) .

أما في أيامنا هذه فصار قبرة مأوى للزائرين ، وقد اهتم الشيعة بتعمير قبره وتوسعته .

ويثير هذا التوقيع وغيره من الروايات التي يظهر منها نفي رؤيته في الغيبة الكبرى إشكالاً حول ما رواهُ علماء ومحدثّون كبار من علماء وأهل معرفةٍ وصلاحٍ من رؤيته ، والتشرُّف بخدمته عليه السلام وهو ما سنتناوله في البحث التالي .

تحقيق حول مسألة المشاهدة

قد ذكرنا بأنّ التوقيع الأخير يثيرُ جدلاً حول مسألة رؤيته عليه السلام وعدمها وقد وقع الخلاف بين أعلام الطائفة في هذا الخصوص، حيث نتجَ عن ذلك اعتقادان عن إمكانية الرؤية وجوازها، وعدمِ الإمكان وامتناع الرّؤية في زمن غيبته عليه السلام فمنهم مَنْ ذهَبَ إلى الإمكان، ومنهم من نفى ذلك على ما سوف تقف على التفاصيل.

وقبل توضيح ذلك علينا أنْ تذكر بأنّه لاشكّ ولا ريبَ عند اعلام الطائفة الإمامية جميعاً، أنّ الإمام المهديّ عليه السلام كان في عصر الغيبة الصُّغرى على اتّصالٍ دائم بشيعته ولم ينقطع عنه، إذ كان يتقصّى الشيعة ويتفقّد أخبارهم، وهكذا يتفقّدون أخباره عِبْرَ سُفَرائه الأربعة الذين مثّلوا حلقة الوصل بينه وبينهم. فكانت تَردُ عليه كتبهم، ورسائلهم فيَجِبُ عنها ويردّ على أسئلتهم، وتخْرُجُ إليهم تواقيعُ من ناحيته المقدَّسة، وقد وَرَدَتْ في بعض كُتُب الأعلام ودوّنها الثّقاتُ ممَّنْ لا يرد أدنى شكّ أو شبهة في صدقهم وإخلاصهم، فقد أوْرد الشّيخُ الطوسيّ رحمه الله تواقيعَ خَرَجَتْ من الناحية المقدّسة إلى جملة من الثّقات الأخيار كأبي الحسين محمّد بن جعفر الأسدي[1] وأورد غيره من الأعلام تواقيعَ لآخرين خرجتْ من ناحيتِهِ المقدّسة، كما

---

(١) الغيبة: ٤١٥

خرَجَتْ تواقيع أُخر عديدة تلعن الذين ادّعوا النيابة الخاصة كذباً وزوراً وتتبرأ منهم وأشخاصهم كالشَّريعيّ، ومحمّد بن نصير النُّميريّ، وأحمد بن هلال الكرخيّ، والشلمغاني وغيرهم كما ذكرنا ذلك.

كما وفّق جماعة من خواصّ الشيعة وثقاتهم لفيض لقائه عليه الصلاة والسلام في مواطن عدّة، بل كان الشّيعةُ يشدّون الرّحال إلى العراق والحجاز ـ لاسيّما في أيّامِ الحجّ وعند أداءِ مناسِكِه ـ بحثاً عنه وابتغاءِ الفوزِ بشرفِ لقائه عليه السلام فكَمْ من هؤلاءِ قد أدركوا ونوّابه الخواصّ، وأيقنوا بوجودِهِ وسلّموهم الوجوه الشرعية وأدّوا إليهم الحقوق التي كانت عليهم، وتلقوا إجابات ورُدُوداً على أسئلتهم التي بعثوها إلى ناحيته المقدسة، واشتهر ذلك عند الشيعة حتى غدا من المسلّمات لديهم لا تعتريه شكٌّ ولا شبهة، حرصاً منهم على تقصّي أخبار إمامهم، وتفقُّد أحواله، وتثبيتِ عقائدهم وترسيخ دعائم إيمانهم بأدلّةٍ قطعيّةٍ من العلم والوجدان، وتطهيرِ معتقداتهم من الخرافة والأوهام.

فقد أوْرَدَ الشّيخُ الصّدوقُ رحمه الله أسماء جماعةٍ ممن أدركوا المأمول وتحققّت لهم آمالهم بمشاهدَتهِ والفوز بلقائه وقرّت أعينهم برؤية حُسنهِ وجماله الملكوتي[1].

---

(١) كمال الدين / ٤٣٤.

المشاهدة في الغيبة الكبرى

لقد بذل الشيعةُ اهتماماً خاصّاً بموضوع الإمكان الوقوعيّ لرؤية الإمام المهديّ عجّل اللهُ تعالى فرَجَهُ ، وشرف اللّقاء به في عصر الغيبة الكبرى وألفّوا في ذلك كتباً استدلالية تَبْحَثُ الإمكان وعدمه ، فهل الرؤيةُ ممكنة في هذا العصر أولا ؟ وعلى فرض الإمكان فما حُدودُ الرؤية الممكنة ؟ هل ممكنةٌ لكلِّ أحدٍ أم للخواصّ والأوحديّ من الشيعة ؟ وهل هي مختصّة بظروف طارئة أم لا ؟ وهل يعرفه الرائي عند اللقاء أم لا يعرفه ؟ وهل يمكنُ أخذُ معالم الدّين والأحكام الشّرعية عنه ؟ وهل تُطرَحُ عليه الشُّبهاتُ فيجيب عنها ؟ فما الذي نطقتْ به الأحاديثُ والأخبار في هذا الخصوص ؟ وماذا قال عُلماءُ الطّائفة في ذلك ؟

وقع الخلافُ في أصل الرؤية وإمكانِ اللقاء بالإمام عليه السلام في عصر الغيبة الكبرى ، بين أعلامِ الطّائفة . فمنهم منْ قال بالإمكان ، ومنهم من نفى ذلك من الأساس ، ثمّ إنّهم اختلفوا في معنى الرؤية والمراد منها ؟ لذا علينا أنْ نبحث هذه الأبحاث على نحو التفصيل ، من ذكر معنى الرؤية ، وذكر أدّلة المبنيين هنا ، ثم ذكر أدلّة النافين والإجابة عليها لكي تتّضحَ الصُّورَةُ جلياً على تلك الأسئلة التي لا زالتْ تَشْغِلُ حيّزاً من بال الطائفة صّغيرهم وكبيرهم ، وشريحة واسعة من أهل العلم وعلماء الطائفة رغم كثرة التأليف والتصنيف والتحقيق في هذا الباب .

الفرق بين الرؤيا والمشاهدة

الرُّؤيَةُ هي أعمُّ من الرؤية مع المعرفة ، والرؤية من غير معرفة به عليه السلام إذ الرؤية تُطْلَقُ على ما رآه الإنسانُ بعينه مطلقاً ، سواء كانت مقرونه بالمعرفه أو كانت خالية من المعرفة .

وبعبارةٍ أخرى : الرّؤيَةُ هي الإبصار أعمُّ من كونها مع المعرفة الحالية أو المتأخرة ، أو عدم المعرفة بالمبصر المرئي أصلاً ، لا في الحال ولا في المستقبل .

بيان ذلك : أنّ المرء قد ينال شرف رؤية الإمام الغائب عليه السلام وهو لا يعرفه حينئذٍ ، بل يجهله ساعة رؤيته له عليه السلام وهو ربما عرفه بعد ذلك أي بعد ما غاب عنه وفارقه وغادر ذلك المكان ، لظهور قرائن قطعية دالة على أنّه الإمام صاحب الأمر صلوات الله عليه أو لشواهد وقرائن باعثة على الاطمئنان ، وقد يبقى جاهلاً به طيلة حياته ـ ويظلُّ في جهله لا يعرفه دهرا بل دهوراً ، وربّما حالفه الحظُّ وشمله التوفيق فنالَ شَرَفَ العلم وحاز على مرتبة المعرفة بأنّه هو الإمامُ أرواحنا فداه .

فالرؤيَةُ هي الابصار مطلقاً بغضّ النظر عن المعرفة وعدم المعرفة ، وهي :

١ـ إمّا خالية من المعرفة أصلاً سواء المعرفة الحاليّة أو المستقبلية المتأخرة عن زمن الرؤية .

٢ـ وإمّا ملحوقة بمعرفة بالمرئيّ والمبصر بعد ذِهَابِهِ وغيابه ومغادرته المكان ، وهي تسمى المعرفة اللاحقة أو المتأخرة .

٣ـ وإمّا أنْ تكون مصحوبة بالعلم والمعرفة ، فيكون الرّائي حال رؤيته عارفاً بالمرئيّ معرفة عينيّة خالية من كلُ شائبة ، وتسمّى المعرفة الحالية أو المتّصلة أو المتزامنة ، وتسمّى هذه الرؤية بالمشاهدة .

وهذا النوع من الرؤية ـ أعني المشاهدة ـ على قسمين ووجهين أيضاً :

أـ المشاهدة الخالية من المحادثة .

ب ـ المشاهدة التي ترافقها المحادثة والحوار والسؤال والجواب .

وهذا الأخير : إمّا الصُّحبة لساعات أو يوم أو أيام ، وإمّا من غير صُحْبه كذلك . فالمُشاهدة التي هي من أقسام الرؤية ، لكنّها الرؤية الخاصة عبارة عن المعاينة مع الحضور الحقيقي ـ الجسماني ـ والمعرفة العينية ، بحيث يعرف المرئي بشخصه ويميّزه عمّن سواه .

وقال صاحب كتاب اللمعة البيضاء : الشهادة تجيء بمعنى الحضور والمعاينة يقال : شهده متعدّياً بنفسه ، أي حضره وعاينه ، ومنه الشّاهد يرى ما لا يراهُ الغائب و﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1] . والشهود والشهادة حضور مع المعاينة والمشاهدة ، سواء كان بالبصر أو البصيرة ، والثاني يرجع إلى معنى العلم ، والأولى أن يستعمل في الحضور المجرد ـ الشهود ـ وفي الحضور مع المشاهدة ـ الشهادة ـ وإنَّ الشهادة قد تطلق على القول الصّادر

---

(١) سورة البقرة الايه / ١٨٥ .

من العلم الحاصل بالبصر أو البصيرة إلى أنْ يقول : ومنه المشاهَدَةُ بمعنى المعاينة ، وهو أعمُّ من الحضور لجوازِ الاطّلاع من بعد بدون صِفَةِ الحضور[1].

وذَكرَ الرّاغبُ أنَّ : الشّهودَ والشّهادة الحضورُ مع المشاهدة ، إمّا بالبصر أو بالبصيرة ، لكنَّ الشّهود بالحضور المجرّد أولى ، والشّهادة مع المشاهدة أولى ، ويُقالُ للمحضر مشهد[2]. وقال ابن منظور : والمشاهدة : المعاينة ، وشهد شهوداً أي : حضره فهو شاهد[3].

ومَنْ يَدّعي مشاهَدَة صاحب الأمر أرواحنا له الفداء ، فهو يدّعي رؤيته العينية مع العلم به ومعرفة شخصه عليه السلام وقد يزيدُ عليها أدّعاء المحادثة والمحاورة والمجالسة ، قليلاً أو كثيراً وطويلاً أو قصيراً . وهذا القسم الأخير أعلى مراتب التوفيق ، وأعظم درجاتِ المعرفة والنّعيم ، حيثُ لا بناله إلا ذو حظٍّ عظيمٍ من الخواصّ ، بل أخصّ الخواص .

وهناك الرؤيا المنامية : وهي ليست من الرؤية العينية ، لأنّها عن رؤية الشّيء أو الشخص في المنام لا في اليقظة .

وأخرى تسمّى برؤية الكشف والشهود : وهي عبارةٌ عن حصول العلم والمعرفة بوجودِ الإمام عليه السلام وحياتِهِ عن طرق السير والسلوك وتهذيب النفس والرياضات النفسانية والمكاشفات والإشراقات الروحانية ، كأنْ يدرك أهل الكشف والشّهود والعارفون الصّادقون بما لهم من قوى إشراقية مدركة

---

(١) اللمعة البيضاء / ٣٦٦ .

(٢) مفردات الراغب الاصفهاني / ٢٦٧ .

(٣) لسان العرب / ٣ / ٢٣٩ ، والصحاح / ٢ / ٢٩٤ ، وكتاب العين / ٣ / ٢٩٧ .

لحقائق العوالم العلوية والسّفلية والأكوان والطبيعة وما وراء الطبيعة أنّه لابدّ من حياته ويعرفونَهُ بعينه ، وقد يَزْعُمونَ رؤيَتَهُ بالعينِ المجردة أيضاً عن طريقِ المكاشفة الحضُوريّة والارتباط به عليه السلام كذلك .

فهذه أربعة أنواع ـ أي الرؤيا الأعمّ ، والمشاهدة بالبصر أو البصيرة ، والرؤيا المنامية ، ورؤية الكشف والشهود ـ أساسية من وجوه وطرق اللقاء والرؤية والتشرّف بمحضر مولانا صاحب الأمر وقطب دائرة الإمكان صلوات الله وسلامه عليه ، والكلامُ في مبحثنا هذا عن الرؤية بمعنى المشاهدة والمشاهدة بجميع أقسامها ووجوهها لأنّها موضع الشاهد والابتلاء .

وقد ذكَرْنا بأنّه وقَعَ النّزاعُ في إمكان المشاهدة في عصر الغيبة الكبرى بين مثبتٍ ونافٍ فيقَعُ الكلامُ فيها ، وفي المسالة قولان :

الأول : عدم الإمكان الوقوعي قطعاً ، أي لا يمكن المشاهدة لأحد قبل الظهور ، وهو امتناع وقوعي واستحالة وقوعيّة .

الثاني : إمكانُها واختصاصُها بالأولياء ، وأخصّ الخواصّ والأوحديّ من الناس .

وأمّا الكلامُ في القسم الأول وهو الرؤية مع الجهل المطلق ، والقسم الثاني من الرؤية ، وهو الرؤية مع المعرفة المتأخّرة فخارج عن محلّ الابتلاء بالتخصّص ، لعدم ترتّب أثر على الرؤية مع الجهل المطلق به عليه السلام .

كما أنّ الكلام في القسمين الآخرين ، أعني : الرؤية المنامية والرؤية الكشفيه الشهودية خارجان عن الموضوع بالتخصص لتأكيد النّصوص ولأنّ الأدلّة والنّصوص منعت وقوع المشاهدة ولم تمنع إمكان وقوع الرؤية مع

المعرفة اللاّحقة ، ولا وَجْهَ لردِّ مثل هذه الدّعاوى إنْ كانت تستندُ إلى شواهد ودلائل وقرائن قطعية ، وتنبعث من كراماتٍ ومعجزات ، وتعتمد عليها تورثُ العلم واليقين ، أو على الأقلّ ظنية تفيد وتبعث على الاطمئنان ، وقد أوردَ الشيخُ الطوسيُّ رحمه الله هذا القسم وذكَرَ جُملةً من الأحداث والقصص الحقّة التي في عَصرهِ وقبل زمانه ، الدالّة على وقوعِ الرُّؤيَةِ مع جهل بشخصه عليه السلام ثمّ معرفته بعد غيابه عليه السلام عن الأنظار وخصّ باباً من أبواب كتاب الغيبة بمن رأوه ثم عرفوه[1].

---

(1) الغيبة/٢٥٣

ذكر من قال باستحالة الرؤيا

ذهَب جمعٌ من الأعلام والمحقّقين إلى امتناع الاتصال بالإمام الحجة صلوات الله عليه مطلقاً، لا بطريقِ الرّؤية ولا اللّقاء ولا الحضور ولا المشاهدة، وقالوا بوجوب تكذيب مدّعي ذلك مطلقاً، أيّاً كان وبأيّ نحوٍ يكون وأبرز هؤلاء الأعلام هم:

١ـ الشيخ أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بابن أبي زينب النعماني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ صاحب كتاب الغيبة.

قال رحمه الله بعد أنْ ساقَ جملةً من روايات الغيبة: هذه الروايات التي قد جاءت متواترة تشهدُ بصحة الغيبة وباختفاء العلم، والمراد بالعلم الحجة للعالم، وهي مشتملة على أمرِ الأئمّة للشيعة بأنْ يكونوا فيها على ما كانوا عليه، لا يزولون ولا ينتقلون، بل يثبتون ولا يتحوّلون، ويكونون متوقعين لما وعدوا به، وهم معذورونَ في أنْ لا يعرفوه بعينه واسمه ونسبه، ومحظور عليهم الفحص والكشف عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الإشادة بذكره، فضلاً عن المطالبة بمعاينته، وقال لنا: إياكم والتنويه وكونوا على ما أنتم عليه، وإياكم والشكّ، فأهلُ الجهل لا علم لهم بما أتى عن الصّادقين عليهم السلام من هذه الروايات الواردة للغيبة وصاحبها يطالبون بالإرشاد إلى شخصِهِ والدّلالة على موضعه، يقترحون إظهاره لهم وينكرون غيبته لأنهم بمعزلٍ عن العلم.

وأهلُ المعرفة مسلّمون لما أمروا به ، ممتثلون له ، صابرون على ما ندبوا إلى الصّبر عليه وقد أوقفهم العلم والفقه مواقف الرّضا عن الله والتصديق لأولياء الله والامتثال لأمرهم ، والانتهاء عمّا نهوا عنه ، حذرون ما حذّر الله في كتابه من مخالفة رسول ﷺ الله والأئمة الذين هم في وجوب الطاعة بمنزلته لقوله ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] ولقوله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[2].

وفي الحديث الرابع من هذا الفصل ـ حديث عبد الله بن سنان : ((كيف أنتم إذا صرتم في حالٍ لا ترون فيها إمام هدىً ، ولا علماً نُرى)) دلالةٌ على ما جرى ، وشهادة بما حدث من أمر السّفراء الذين كانوا بين الإمام وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم ، وانقطاع نظامهم ، لأنَّ السفير بين الإمام حال غيبته وبين شيعته هو العَلَم ، فلمّا تمّت المحنة على الخلق ارتفعت الأعلام ولا نُرى حتّى يَظهَرَ صَاحِبُ الحقّ عليه السلام ووقعت الحيرة التي ذكرت[3].

٢ـ الشيخُ المفيد أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النّعمان المتوفى سنة ٤١٣ هـ الذي خصّ ذلك كلّه بخدّام الإمام عليه السلام .

قال رحمه الله : فأمّا بَعْدَ انقراض من سمّيناه من أصحاب أبيه وأصحابه عليهم السلام فقد كانت الأخبار عمّن تقدَّمَ من أئمة آل محمد ﷺ متناصرةً بأنه : لابُدَّ

---

[1] سورة النور الاية / ٦٣

[2] سورة المائدة الآية / ٩٢ .

[3] الغيبة النعماني / ١٦٤ .

للقائم المنتظر من غيبتين، إحداهما أطول من الأخرى، يعرف خبره الخاص في القصوى. ولا يعرف العام له مستقراً في الطولى، إلاّ مَنْ تولىّ خدمته من ثقات أوليائه، و لم ينقطع عنه إلى الاشتغال بغيره[1].

٣ـ الفيضُ الكاشاني المتوفىّ سنة ١٠٩١ هـ في كتابه الوافي في بيان الحديث المتضمّن أنَّ الغيبة الكبرى لا يعرفه إلاّ الخواص، قال رحمه الله: كأنه يريد بخاصّة الموالي الذين يخدمونه، لأنَّ سائر الشيعة ليس لهم فيها إليه سبيل. وأما الغيبة الأولى فكانَ له عليه السلام فيها سُفراءُ تخرج إلى شيعته بأيديهم توقيعات وكان أوّلهم...[2]

٤ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفّى سنة ١٢٢٨ هـ في كتابه الحقّ المبين في معرض ردّه على زعم بعض الأخباريين وجود الإمام عليه السلام وعياله في الجزيرة الخضراء المزعومة بقوله رحمه الله: وكأنّه لم يرَ الأخبار الدالّة على عدم وقوع الرؤية من أحدٍ بعد الغيبة الكبرى. ولا تتبع كلمات العلماء الدالة على ذلك[3]. وغير ذلك من الاعلام.

وقد استدلّوا برواياتٍ كثيرة دالّةٍ على هذا المعنى وهي على أربعة أصناف:

١ـ التواقيع، كتوقيعِهِ عليه السلام لعليّ بن محمّد السّمري رضي الله عنه.

٢ـ الروايات الدالة على عدمِ معرفة الناس به وخفاءه عليهم.

---

(١) مجموعة مؤلفات الشيخ المفيد / المسائل العشرة في الغيبة / ٩٢، الرسالة الأولى في الغيبة / ١٢.

(٢) الوافي / ٢ / ٤١٤، كتاب الحجة.

(٣) الحق المبين في تصويب المجتهدين وتخطئة الاخباريين ط الذخائر ٨٠، والطبعة الحجرية / ٨٧.

٣ـ الرّوايات الدالّة على عَدَمِ رؤيةِ النّاس له عليه السلام في موسم الحجّ وعدم ظهوره لهم، أو عدم معرفتهم له وهم يرونه.

٤ـ الرواياتُ الدالّة على امتحانِ الشّيعة واختبارهم وغَرْبَلَتهم في زَمَن الغيبة.

أدلة النافين لرؤيته بعد الغيبة الكبرى

أهمّ الأدلّة القائمة على نفي المشاهدة في الغيبة الكبرى وأبرزها هو التوقيع الذي خَرَجَ من الناحية المقدسة عن السّفير الرابع عليّ بن محمد السّمرى ، وقد رواهُ أكثر علمائنا في كتبهم الروائية كالشيخ الصدوق[1] وشيخ الطائفة[2] وأمين الإسلام الطبرسي[3] والسيد ابن طاووس[4] والأربلي[5] والعلامة المجلسي[6] والفيض الكاشاني[7] والقطب الراوندي[8] والحر العاملي[9] العاملي[9] وغيرهم وجميعهم نقل الرّواية عن الشّيخ الصّدوق عن كتابه كمال الدين وقد استفاد النافي من قوله عليه السلام ((وسيأتي شيعتي مَنْ يدّعي المشاهدة . ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السّفياني والصّيحة فهو كاذبٌ مفترٍ)) .

---

[1] كمال الدين / ٥١٦

[2] الغيبة / ٣٩٥

[3] الاحتجاج / ٤٧٨/٢ ، اعلام الورى بأعلام الهدى / ٤١٧ .

[4] مجمع الرجال القهپائي / ١٨٩/٧ ، نقلاً عن ربيع الشيعة ابن طاووس .

[5] كشف الغمه في معرفة الأئمة / ٣/ ٣٢٠ .

[6] بحار الأنوار / ٥١ ، ٣٦١ ، ومراة العقول / ٤/ ٥٣ .

[7] نوادر الأخبار / ٢٣٣ .

[8] الخرائج والجرائح / ٣/ ١٢٨ الحديث ٤٦ .

[9] إثبات الهداة / ٣/ ٦٩٣ الحديث ١١٢ .

الدّليل الأول : نفيُ الرّؤيةِ مُطْلقاً ، وذلك بمقتضى التوقيع المذكور وأنّ المدّعي أعمّ ممّن يطمئن إلى صدق ادّعائه ، أو كان كاذباً في ما يدّعيه ، أو التبس عليه الأمر فتوهّمَ ذلك حقاً ، فسواء كان محقّاً في دعواه بالأدلة والبراهين أو كان كاذباً أو متوهّماً وجَبَ تكذيبه ، وردّ دعواه اليه بعدم الاكتراثِ إليه ولا ترتيبَ الأثر على مزاعِمِهِ وتقوّلاته أو تصديقه في الصّورة الأولى وتكذيبه إذا ادّعى المشاهَدَةَ من غير دليلٍ ساطعٍ وبرهانٍ قاطعٍ .

والجواب على ذلك : يكونُ في علّة أجوبة :

الجوابُ الأوّل : حمَل التوقيع الشريف على دعوى المشاهدة مع ادعاء الوكالة أو السّفارة ـ معاً ـ عنه عليه السلام وإيصال الأخبار من جانبه إلى الشيعة على مثال السّفراء في الغيبة الصغرى ، وهذا الجواب للعلاّمة المجلسي[1].

الجواب الثاني : إنَّ المشاهدة التي نفاها التوقيع هي الوكالة منه عليه السلام مباشرة ومشافهة دون السّفارة معاً لعلم المدّعي بانتهاء السّفارة بموت السفير الرابع رضي الله عنه وكون الوكالة ممّا قام عليها الدّليلُ للفقهاء في الغيبة الكبرى ، وهو ـ أي التوقيع ـ إخبارٌ منه عليه السلام بما سيقَعُ في المستقبل وهو من القرائن التي تَشْهَدُ بصحّةِ الرّواية ، وقد شَهِدْنا اليومَ هذه النّماذج ، فمنْ ادّعاها في المدّة المبيّنة إنّما هو كذابٌ مُفترٍ كما قال الإمام المهدي عليه السلام . وهذا هو جوابنا على ذلك .

الجواب الثالث : إنّما قال عليه السلام ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته وغيرهم من فراعنة بني العباس ، حتّى أنَّ الشيعةَ يمنعُ بعضها بعضاً

---

(1) بحار الأنوار / ٥٢/ ١٥١ .

عن التحدُث بذكره، وفي هذا الزمان تطاولَت المدّة وأيس منه الأعداء[1].

وهذا الجوابُ نَقلَهُ الشَيخ الفاضل المازندراني.

الجوابُ الرّابعُ: ما ذَكرَهُ السيّد بحرُ العلوم رحمه الله في ترجمة الشيخ المفيد بعد ذكر التوقيعات المشهورة الصّادرة منه عليه السلام في حَقّهِ ما لَفْظُهُ: وقد نُشكّلُ أمر هذا التوقيع بوقوعه في الغيبة الكبرى مع جهالةِ المبلّغ ودعواه المشاهدة المنافية بعد الغيبة الصّغرى، ويمكن دَفْعُهُ باحتمالِ حُصولِ العلم بمقتضى القرائن، واشتمالِ التّوقيع على الملاحم، والإخبارِ عن الغيب الذي لا يطّلعُ عليه إلاّ الله وأولياؤه، بإظهارِهِ لهُمْ، وأنَّ المشاهَدَةَ المنفيّة أنْ نشاهد الإمام عليه السلام ويعْلمُ أنّه الحُجَّة عليه السلام حال مشاهَدَتِهِ له، ولم يعلم من المبلّغ ادّعاؤه لذلك

وقال رحمه الله في فوائده ـ في مسألة الإجماع بعد اشتراط دخولِ كُلِّ مَنْ لا يعرفه ـ: وربّما يحصل لبعض حفظة الأسرار من العلماء الأبرار العلم بقول الإمام عليه السلام بعينه على وجْهٍ لا يُنافي الرؤية في مدّة الغيبة، فلا يسعه التّصريحُ بنسبة القولِ إليه عليه السلام فيبرزه في صُورَةِ الإجماعِ جمعاً بين الأمرِ بإظهار الحقّ النهي عن إذاعة مثلِهِ بقولٍ مطلق[2].

قال المحدّث النّوري رحمه الله: ويمكن أنْ يكونَ نظره في هذا الكلامِ إلى الوجه الآتي[3].

---

(1) إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب/ ٢/ ٨٥

(2) رجال بحر العلوم/ ٣/ ٣٢٠ ـ ٣٢١

(3) جنة المأوى/ ٣٢٠

الجوابُ الخامس : ما ذَكَرهُ رحمه الله فيه أيضاً بقوله : وقد يمتنع أيضاً امتناعه في شأنِ الخواصّ وإنّ اقتضاء ظاهر النصوص بشهادة الاعتبار ودلالة بعض الآثار .

ويُعلِّقُ المحدّثُ على كلامِهِ هذا بقولِهِ : ولعلّ مراده بالآثار ، الوقائع السّابقة والتي من جُمْلَتِها وقائعه ، أو الخبر الذي رواهُ الخُصيني في كتابه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : يظهرَ صاحبُ الأمر وليس في عنقِهِ بيعةٌ لأحد ولا عَهْدَ ولا عَقْدَ ولا ذِمَّةَ ، يغيبُ عن الخلق إلى وقت ظهوره .

قال الرّاوي : يا أمير المؤمنين ! لا يرى قبل ظهوره ؟

قال : بل يرى وقت مولده ، وتظهرُ براهينُ ودلائلُ ، وتراهُ عيون العارفين بفضلِهِ الشّاكرين الكاملين ، ويُبَشّرُ به من يَشُكُّ فيه .

أو أنَّ المقصودَ مثل الخبر الذّي رواهُ الشيخ الكليني ، والنُّعماني ، والشيخُ الطّوسي ، بأسانيدِ معتبرة عن الإمامِ الصّادق عليه السلام أنّه قال : لابُدّ لصاحب هذا الأمر من غيبةٍ ، ولابُدَّ له في غيبةٍ من عُزْلةٍ ، وما بثلاثين من وَحْشَةٍ[1] .

يعني : يستأنس عليه السلام في غيبتِهِ بثلاثينَ نفر من أوليائه وشيعَتِهِ ، فلا يستوحِشُ من الخَلْقِ في عزلته ، كما فَهِمَهُ شارحوا الأحاديثُ من هذه العبارة .

(1) الكافي / ١/ ٣٤٠ رقم الحديث ١٦ ، غيبة النعماني / ١٨٨ ، غيبة الطوسي / ١٦٢ ، وفي بعض المصادر اختلاف يسير .

وقال بعضهم : أنّه عليه السلام في سَنّ الثلاثين سنة دائماً ، وصاحب هذا السنّ لا يستوحِشُ أبداً[١].

وهذا المعنى بعيدٌ للغاية[٢].

ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ أنّه عليه السلام على هيئةِ مَنْ سنه ثلاثونَ سنةً أبداً وما هذا السنّ من وحشة .

ثمّ قال رحمه الله : والظاهرُ أنَّ هؤلاء الثلاثين نَفَر هُمُ الذين يستأنسُ بهم الإمام عليه السلام أيّام غيبتِهِ ولابُدّ أن يبدلوا في القرون والأعصار ، فإنّه لم يثبت لهم من العمر ما ثُبتَ لسيّدِهِم ، فلابُدّ أنْ يُوجَدَ في كُلِّ عَصْرٍ ثلاثون نفَر من الخواصّ الذي يَفوزونَ بشَرَفِ الحضور .

وبروايةِ الطّبري أنه عندما التقى بذلك الفتى هو أحدُ خواصّهِ بل أحدُ أقربائه المختصّين به قال له ذلك الفتى : ما الذي تُريدُ يا أبا الحسن ؟

قال : الإمامُ المحجوبُ عن العالم .

قال : ما هو محجوبٌ عنكم ، ولكنْ حَجَبَهُ سُوءُ أعمالِكم ...[٣]

وفي هذا الكلام إشارةً إلى أنَّ مَنْ ليس له عَمَلُ سوءٍ وكان عَمَلُهُ وقولُهُ طاهراً ومطهرا من الأرجاسِ وما يُنافي سيرة أصحابه ، فليس هناك ما يحجبه عن لقائه عليه السلام .

---

(١) شرح أصول الكافي الملا محمد صالح المازندراني / ٦/ ٢٤٤ .

(٢) النجم الثاقب / ٢/ ٤٠٨ .

(٣) دلائل الإمامة ابن جرير الطبري ٢٩٦ ، وفي المطبوع ((ولكن جنّه سوء أعمالكم)) .

وقال السيّدُ المرتضى في كتابهِ تنزيهُ الأنبياءِ في جوابِ منْ قال : فإذا كانَ الإمامُ عليه السلام غائباً بحيثُ لا يصلُ إليه أحدٍ من الخلق ، ولا يُنْتفعُ به ، فما الفَرْقُ بينَ وجودِهِ وعَدَمِهِ ..

قلنا : الجَوابُ : أوّلُ ما نقولُهُ : أنَا غيرُ قاطِعَينِ على أنّ الإمامَ لا يَصلُ إليه أحدُ ، ولا يَلْقَاه بِشَرّ ، فهذا أمرٌ غيرُ مَعْلُومٍ ، ولا سبيلَ إلى القَطْع عليه ...

وقال أيضاً في جوابِ مَنْ قال : إذا كانَتْ العلّةُ في استتار الإمام خوفه من الظّالمين واتقّائه من المعاندين ، فهذِهِ العلّةُ زائلةُ في أوليائه وشيعته فيجبُ أنْ يكونَ ظهراً لهم .

وقال بعد كلامٍ له : وقلنا أيضاً أنّه غيرُ ممتنعٍ أنْ يكون الإمامُ عليه السلام يَظْهرُ لبعضِ أوليائه ممّن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف ، فإنّ هذا ممّا لا يمُكِن القَطْعُ على ارتفاعِهِ وامتناعِه ، وإنّما يَعْلَمُ كلُّ واحدٍ من شيعته حال نفسه ، ولا سبيل له إلى العالم بحال غيره[1] .

وقد صرَّحَ العلماء الأعلامُ ومَهَرةُ فنّ الأخبار بإمكان الرّؤيةِ في زمن الغيبة الكبرى[2] .

الجوابُ السّادِسُ : إنَّ المخفيّ والمستورَ عن الأنام إنّما هو مكانُهُ و مستقرّه عليه السلام فلا طريقَ لأحدٍ إليه ولا يصلُ إليه بَشَرٌ ، ولا يَعْرِفُهُ أحدٌ حتى خواصّه وأولاده"[1] .

---

(1) تنزيه الأنبياء / ١٨٢ ـ ١٨٤ .

(2) النجم الثاقب / ٢/ ٤٠٩ .

فلا ينافي لقائه ومشاهدته عليه السلام في الأماكن العامّةِ مع ظهورهِ عليه السلام عند المضطرّ المستغيث به الملتجئ إليه الذي انقطت عنه الأسبابُ والواله في وادي الشبهات، والحيران في مهالك الفلوات، بأنّ إجابةَ الملهوفِ وإغاثةَ المضطرّ إحدى مناصبه عليه السلام.

ويُؤيّدُ هذا الاحتمالَ الخَبرُ المرويّ في الكافي عن إسحاقِ بن عمّار أنّه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام للقائم غيبتان إحداهُما قصيرة، والأخرى طويلة.

الغيبة الأولى لا يعلم بمكانِهِ فيها إلاّ خاصّةَ شيعَتِهِ، والأخرى لا يعلم بمكانهِ فيها إلاّ خاصّة مواليه[٢].

وروى الشيخُ الطوسيّ والشيخُ النّعمانيُّ في كتابِ الغيبةِ بسندٍ معتبر عن المفضّل بن عمر أنّه قال: سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام يقولُ: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين إحداهما تطول حتّى يقولُ بعضُهم مات، ويقول بعضهم قتل، ويقولُ بعضُهُمْ ذَهَب، حتّى لا يبقى على أمره من أصحابه إلاّ نَفَرٌ يسير، لا يطّلع على موضعه أحدٌ من ولده، ولا غيره إلاّ ((المولى))الذي يلي أمره[٣].

وروى الشيخُ النّعمانيُّ عن إسحاق بن عَمَّار أنّه قال: سَمِعْتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: للقائم غيبتان إحداهما طويلة، والأخرى قصيرة، فالأولى

---

(١) نحنُ في صدد نقل هذا الاحتمال وإلاّ لم يثبت أنه عليه السلام عنده أولاد وعائلة، كما يتوهَّمُ البعض فمُمكنٌ حملُ لفظ الأولاد أو الزّوجات كما تشيرُ إليه بعضُ الرّوايات الغير مُعتبرة بالأصحاب أو مواليه أو الخواصّ أو خواصّ الخواصّ وغيرها وليس هنا محلّ التفصيل.

(٢) الكافي / ١/ ٣٤٠.

(٣) غيبة النعماني / ١٧١. غيبة الطوسي / ١٦٢.

يعلم بمكانه فيها خاصّة من شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصه مواليه في دينه[١].

ولا يخفى إنَّ خبر إسحاق هذا هو نفسُ خبر إسحاق المرويّ في الكافي ، وفي بعض النسخ كما ذكرناه ، وفي بعضها يطابقُ نسخة الكافي ، وفي النّسختين جواب لأصلِ المقصود ، فعلى خبرِ الكافي ففيه دلالة على أنّ خاصة مواليه يَعْلَمَونَ بمستقرّهِ ومكانِهِ عليه السلام في الغَيبَةِ الكُبرى وهو يُؤيّدُ الجواب الخامس .

وعلى بعضِ نسخ النعماني فيكون المقصود منها إنّ خاصّتَهُ في ذلك الوقت لا يعلمون بمحلّ إقامته عليه السلام فهي لا تنفي المشاهدة والرؤية في الأماكن الأخرى ، وليس في القصص دلالةٌ على ملاقاة أحدٍ له عليه السلام في ذلك المحلّ واللهُ تعالى هو العالم[٢].

الجوابَ السابع : وهو أنّ قوله عليه السلام ((ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيانيّ والصّيحة فهو كاذب مفتر)) هي قضية مهملة غير مسوّرة من أدواتِ سور القضية ، فتكونُ بقوّة القضيّة الجزئية ، ونتيجَتُها بعضٌ وليس كلّ ، بمعنى أنَّ البعض كاذب وليس الجميع مما ادّعى المشاهدة في زمن الغيبة الكبرى .

الجواب الثامن : هو من حيثُ الجنبةِ الفلسفية يقعُ تحت قانون الإمكان وتقريره : إنَّ الرؤيةَ واللقاء ممكن عقلاً ، ضرورة هذا الإمكان وشلّة بداهته إذ

---

(١) غيبة النعماني / ١٧٠ .

(٢) النجم الثاقب / ٢/ ٤١٦ .

لا يمنعُ العقل ولا يحيله ، بل يمنع خلافه بضرورة إمكان الرؤية والمشاهدة لكل مخلوق ذي جانبٍ مادي ، وكافّة الأجسام والطبيعيات ، وهو صلواتُ الله عليه مخلوقٌ روحانيٌ نورانيٌ في قالبٍ مادي جسماني .

الدليل الثاني : الاستدلالُ بالأخبار الدالّة على أنَّ الإمام عليه السلام يحضَرُ مجالسهم ويطأ فرشهم ، ويَشْهَدُ الموسمَ ويَعْرفهم ولا يعرفونه ، على أنّها دالة على نفي الرؤية مطلقاً كرواية الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه : لو خَلَتُ الأرضُ ساعةً واحدة من حجّة الله لساخت بأهلها ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه ، كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون[1].

وروايةُ سيّد الموحدين أمير المؤمنين صلوات الله عليه :

إنّ حُجّتها عليها قائمة ماشية في طرقها ، داخلة في دورها وقصورها جوّالة في شرق هذه الأرض وغربها ، تسمعُ الكلام ، وتسلّمُ على الجماعة ترى ولا تُرى إلى الوقت والوعد ونداء المنادي من السّماء ، ألا ذلك يوم سرور ولد علي وشيعته .

وقد عَلّقَ النعمانيُّ رحمه الله على الرواية بعد أنْ نقلها قائلاً :

وفي هذا الحديث عجائبُ وشواهِدُ على حقيّة ما تعتقدُهُ الإماميّةُ وتدين به ، والحمد لله ، فمن ذلك قول أميرِ المؤمنين صلوات الله عليه ((حتى إذا غاب المتغيّب من ولدي عن عيون الناس)) أليس هذا موجباً لهذه الغيبة وشاهداً على صحة قول من يعترف بهذا ويدين بإمامة صاحبها ؟

---

(1) الغيبة النعماني/ ١٣ .

ثمّ قوله عليه السلام ((وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته ... وأجمعوا على أنّ الحُجَّةَ ذاهبة ، والإمامة باطلة)) أليس هذا موافقاً لما عليه كافة الناس الان من تكذيب قول الإمامية في وجود صاحب الغيبة ؟ وهي محقّقة في وجوده ، وإنْ لم تَرَهُ ، وقوله عليه السلام ((ويحجُّ النّاسُ في تلك السنة للتجسّس)) وقد فعلوا ولم يروا له أثراً .

وقوله عليه السلام ((فعند ذلك سبّت شيعة علي سبّها أعداءها ، وظهرت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها)) يعني باحتجابها عليها في الظاهر . وقولها : فأين إمامكم ؟ دلّونا عليه ، وبهم لهم ، ونسبتهم إياهم إلى النقص والعجز والجهل ، لقولهم بالمفقود العين ، وإحالتهم على الغائب الشخص وهو السبّ ، وهذا القول من أمير المؤمنين عليه السلام في هذا شاهد لهم بالصدق ، وعلى مخاليفهم بالجهل والعناد للحق[1].

وقول الصادق عليه السلام : فما تنكر هذه الأمّة أنْ يكون اللهُ يَفْعَلُ ما فعل بيوسف ، وأنْ يكونَ صاحِبُكُمُ المظلوم المحجوب حقّه صاحب هذا الأمر ، يتردّد بينهُم ويمشي في أسواقِهِم ويطأُ فُرُشَهُم ولا يَعْرِفُهُم حتّى يأذَن اللهُ له أنْ يُعَرِّفهم ، نفسه كما أذن ليوسف حين قال له إخوته ﴿**أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ**﴾[2].

وما رُوي عن مولانا الرّضا صلواتُ الله عليه في معرض ردّهِ على السؤال عن القائم عَجَّلَ اللهُ فَرَجهُ حيثُ أجاب عليه السلام : لا يرى جسمه ، ولا

---

(١) نفس المصدر / ١٤٤ .

(٢) سورة يوسف الآية / ٩٠ ، وانظر غيبة النعماني / ١٤٦ .

يسمى باسمه[١]. وهكذا ما روي عن مولانا الإمام العسكري عليه السلام: إنكم لا نرون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه[٢].

والجواب على ذلك:

أولاً: أن كُلَّ ما يُستَفَادُ من تلك الرّوايات أنَّ الأرض لا تَبْقَى من غيرِ حُجّةِ اللهِ ولا تستقرُّ بدونِهِ، وهي بَعيدُ عمَّا نحنُ بصدده.

ثانياً: توضّح جملة من تلك الروايات إنَّ الإمامَ صلوات الله عليه يعيش بيننا ويشاركنا همومنا ويتنقل بين ظهرانينا وفي أسواقنا وطرقنا، بل يدخل بيوتنا فلا نعرفه، وهو يعرفنا كيوسف عليه السلام وإخوته.

ثالثا: أن الناس لا يرونه حتّى يسمعوا النداء السّماوي والصيحة المخبرة عن ظهوره عليه السلام.

رابعاً: لا يذكر اسمه صلوات الله عليه، وقد ذكرنا بأنَّ ذلك يكون في زمن الغيبة الصَغرى، وهذا كما ترى لا يصلَحُ الاستدلال بهذه الروايات لإثبات الدعوى.

الدليل الثالث: استدلّ النافون برواياتِ الحجّ، كقول مولانا الصادق عليه السلام: للقائم غيبتان: يشهد في إحداهما المواسم، يرى الناس ولا يرونه[٣].

---

(١) كمال الدين / ٣٧٠.

(٢) الكافي / ١ / ٣٣٢.

(٣) الكافي / ١ / ٣٣٩، وغيبة النعماني / ١٧٦.

واستدلّوا أيضاً بقولِ مولانا الصّادق : يَفْقِدُ الناسُ إمامهم ، فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه[١]. وقد نقله النعماني بسندٍ اخر عن أبي عليّ محمد همام عن الكليني[٢].

والجوابِ عن ذلك :

أمّا الروايةِ الأولى فيجاب عنها : بأنّ المراد من هذه الغيبة هي الكبرى والمراد من الرؤية في هذا الحديث هي الرؤية مع المعرفة ـ أي المشاهدة ـ أي يرونه ولا يعرفونه خلافاً للغيبة الصغرى ، حيث كان يعرفه السّفراء وبعض خواص مواليه وخدمه ممن يتشرفون بلقياه .

ويحتمل أنَّ المرادَ من هذه الغيبة هي الغيبةُ الصّغرى ، والمعنى ((يرى الناس)) أي يراه الناس ، وهم الخواصّ والموالي ، ولا يراهُ عمومُ النّاس أي لا يرونَهُ رؤيةً عن معرفةٍ فلا يُشَاهِدُهُ إلاّ خاصّةُ مواليه وأصحابه[٣].

وأمّا الرواية الثانية ، فقد حمل العلاّمة المجلسي رحمه الله هنا على الرؤية مع المعرفة مستدلاً بما رواه الحميري عن محمد بن عثمان العمري ﵁ وهو : والله إنّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلّ سنةٍ فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه[٤]. وعن زُراة قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ للقائم غيبتين يَرْجِعُ في إحداهما ، والأخرى لا يرى أين هو ، يشهد المواسم ، يرى الناس ولا يرونه . وبعد سرده للرواية علّق عليها قائلاً :

---

(١) الكافي /١/ ٣٣٧ ، غيبة الشيخ الطوسي / ٢٥١ ، كمال الدين / ٤٤٠ ، الوافي / ٢/ ٤١٣ .

(٢) غيبة النعماني / ١٧٥ .

(٣) مرآة العقول العلامة المجلسي / ٤/ ٤٧ .

(٤) كمال الدين / ٤٤٠ ، من لا يحضره الفقيه / ٢/ ٥٢٠

بيان : لعلّ المراد برجوعِهِ ، رجوعُهُ إلى خواصّ مواليه وسفرائه ، أو وصول خبره إلى الخلق[1].

فقد يُوفق الكثير من الناس في الغيبة الكبرى لرؤيتهِ في موسم الحجّ ، لكنّهم يرونَهُ ولا يعرفونه ، وأمّا في الغيبة الصّغرى فإنَّ مَنْ كانَ يعرفه من الأخيار كان يراهُ مع الحجيج ويعرفه كما حَصَلَ لسفيرِهِ محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه الذي قال مجيباً عن سؤال الحميري : فقلتُ له : أرأيت صاحبَ هذا الأمر ؟ فقال : نعم آخر عهدي به عند بيت الله الحرام وهو يقول : ((اللهم أنجز لي ما وعدتني)) وقوله رضي الله عنه : رأيتُهُ صلوات الله عليه متعلقاً بأستارِ الكعبة في المستجار ، وهو يقول : اللّهم انتقم لي من أعدائي[2].

ويعودُ السَّببُ في ذلك إلى أنَّ أحَدَاً من النّاس لا يَعْرِفُهُ في زمن الغيبة الكبرى بخلافِ الصّغرى التي كان بعض الأخيار قد ارتبط به وعرفه : إمّا منذ صباه في دار أبيه الإمام العسكري عليه السلام ، أو بنيل شرف لقائه في عصر السفراء .

الدليل الرابع : تمسّك بعضهم لنفي إمكان الرؤية والمشاهدة بما جاء في رواياتٍ عديدةٍ بلغت حَدَّ التواتر عن أئمّة الهدى صلوات الله عليهم أنّ لطول غيبته حكمةُ تمحيص شيعَتِهِ ليخرج الخبيثُ منهم ويميز الخبيث من الطبب حتّى يخرج دعاةُ التشيّع ويتميّزوا عن الشّيعة الصّادقين بالقول والفعل ، فيرتدّ كثير منهم ولا يبقى إلاّ العسل الخالص المصفى ، قالوا : لو

---

(1) بحار الأنوار / ٥٢ / ١٥٦ .

(2) كمال الدين / ٤٤٠ .

أمكنت المشاهدة لما بقي معنىً لإنكارهم إياه عليه السلام وارتدادهم عن الحقّ وسقوطهم في هاوية الاختيار ، إذ يمكِنُهُم مشاهدته ، أو التّصديقُ بوجوده المقدس من خلال إخبارِ من شَاهَدَهُ من الصالحين ، فلا يبقى مجالٌ للغربَلَةِ والتمّحيص وقد أُمروا أنْ يؤمنوا بالغيبِ أي بكُلِّ اياتِ الله وحُججه الغائبة عن الأنظار والمحجوبة عن الأبصار ، ولهذا علّلَ الشيخُ محمّد حسن كاشف الغطاء رحمه الله في كتابه : اختبار الناس بطول الغيبة ليميز المؤمنين المخلصين الصادقين[1].

ومن جملة تلك الروايات الدالة على هذا المعنى :

ما روي عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه : للقائم منا غيبة أمدُها طويلٌ كأنّي بالشيّعَةِ يجولونَ النّعم في غيبته ، يطلبون المرعى فلا يجدونه الا فَمَنْ يَثْبُتُ منهم على دينه لم يقسُ قلبه لطولِ أمَدِ غيبةِ إمامه ، فهو في دَرَجَتي يوم القيامة[2].

وعنه صلوات الله عليه أيضاً : ولكن بَعْدَ غيبةٍ وحيرة فلا يثبت فيها على دينه إلاّ المخلصون المباشرون لروح اليقين[3].

وما رُوي عنه صلوات الله عليه : حتّى إذا غابَ المتغيّبُ من ولدي عن عيون الناس وحاج الناس بفقدِهِ أو قَتْلِهِ أو بموتِهِ اطّلعت الفتنة ونزلَت البلية والتحَمَتْ العصبيّة ، وغلا الناسُ في دينهم ، وأجمعوا أنَّ الحُجَّةَ ذاهبة ،

---

(١) جنة المأوى / ٢٦٦ .

(٢) كمال الدين / ٣٠٣ .

(٣) كمال الدين / ٣٠٤ .

والإمامة باطلة وبحج الناس في تلك السنة من شيعة علي ونواصبه للتجسس والتحسس عن خلفِ الخَلَف، فلا يعرف له خبر ولا خَلَفٌ[1].

ولهذا أفرد النعمانيُّ فصلاً من كتابهِ الغَيبةَ للبَحْثِ عن امتناعِ المشاهدة في عصرِ الغيبة الكُبرى مُصرّحاً بذلك وبعَدمِ جوازِ السّعي إلى المشاهدة أيضاً وعذّرهم عن حجبهم وامتناع الرؤية والمشاهدة عليهم قائلاً: ومحضور عليهم الفحص عن صاحب الغيبة والمطالبة باسمه أو موضعه أو غيابه أو الاشارة بذكره فضلاً عن المطالبة بمعاينته[2].

سيّما إذا علمنا أنّ مثل هذا الكلام خَرجَ ممّن قَطَعَ الفيافي والبراري وانتقل من بلدٍ إلى بَلَدٍ ليصنّف كتابه هذا بعد جهد جهيد وعناء شديد، فهو رحل إلى شيراز وبغداد وطبرية والأردن ودمشق وحلب كلُّ ذلك سعياً وراء التفحّص والتحقيق[3]. لكن عَنَّاهُ البَحْثُ وكثرة السفر والتنقل من بلد لبلد لا يعني يقطع كالمصنف بعدم الرؤية.

والجواب عليه:

ويمكنُ الجوابُ على ذلك بأنَّ هذا الارتداد قد وَقَعَ بعد وفاةِ الإمام العسكريّ عليه السلام كما بحثنا ذلك فيما سبق، وليس له دخلٌ بالمشاهدة وعدمها فموضوعُ الروايات غريبٌ ممّا نحنُ بصَدَدِ البَحْثِ عنه، هذا أولاً، وثانياً لو فرضنا صحّة دعوى أنّ التمحيص مانعاً للمشاهَدَةِ فلا يرتَفِعُ بمجرّد مشاهدة

(1) غيبة النعماني/ ١٤٣

(2) غيبة النعماني/ ١٦٠

(3) خاتم الأوصياء الحلقة الثانية/ ٤٥٠.

فردٍ أو فرين حتّى لو وَصَلَ العددُ إلى المائة ، فإنّه يرتفعُ بمجرّدِ أنْ أصبحت المشاهدة حالةً مؤلّفة وكثيرة ، إضافةً إلى ذلك أنَّ روايات التمحيص ناظرة مطلق الغربلة والاختبار ، وليس هناكَ دليلٌ أو قرينةٌ تدلُّ على وقوع التمحيص في زَمَنِ الغيبة الكبرى دون سواها .

ذكرُ مَنْ قال إمكان الرؤية والمشاهدة

في قبال ذلك ذَهَبَ جمعٌ غفيرٌ من الأعلام ـ لا سيّما المتأخرين منهم ـ إلى إمكان المشاهدة، وأوّلُ من اختار هذا الرأي هو السيّدُ المرتضى علم الهدى رحمه الله في كتابه تنزيه الأنبياء، ورسالة في الغيبة، والشافي، والمقنع، فإنّه قال في معرض الرّد على مَنْ سأل عن فائدةِ إمامٍ غائبٍ عن الأنظار لا ينتفع به؟

الجوابُ: قلنا أوّلَ ما نقر له إنّا غيرُ قاطعين على أنَّ الإمام عليه السلام لا يصلُ إليه أحدٌ ولا يلقاهُ بَشَرٌ، فهذا أمرٌ غيرُ معلومٍ، ولا سبيلَ إلى القطع عليه[1].

وقال في موضعٍ اخر: نحنُ نجوّزُ أنْ يَصِلَ إليهِ كثيرٌ من أوليائه والقائلين بإمامته فينتفعون به[2].

وقال أيضاً: لسنا نقطعُ على أنَّ الإمامَ لا يظهر لبعض أوليائه وشيعته بل يجوزُ ذلك، ويجوزُ أيضاً أنْ لا يكون ظاهراً لأحدٍ منهم، وليس يُعْرَفُ كُلُّ واحدٍ منّا إلا حال نفسه، فإمّا حال غيره فغيرُ مَعْلومٍ له، ولأجلِ تجوّزنا أنْ لا يظهر لبعضهم أو لجميعهم ما ذكرنا العلّة المانعة من الظهور... ومع هذا فما نمنعُ من ظهورِهِ عليه السلام لبعضهم إمّا لتقويمٍ أو تأديبٍ أو وَعْظٍ وتنبيهٍ وتعليمٍ

(١) تنزيه الأنبياء / ١٨٢.

(٢) رسائل الشريف المرتضى / ٢ / ٢٩٧.

غير أنَّ ذلك كلّه واجبٌ ، فيطلب في فوتِهِ العللُ ، وتُتَمَحّلُ له الأسباب وإنّما يَصْعُبُ الكلامَ ويُشْبته إذا كان ظهوره للوليّ واجباً من حيثُ لا ينتفع أو يرتدعُ إلاّ مع الظهور ، وإذا كانَ الأمرُ خلاف ذلك سَقَطَ وجوب الظهور للوليّ ، لما دللنا عليه من حصولِ الانتفاع والارتداعِ من دونه ، فلم تبق شبهة[1].

وقال أيضاً في موضع آخر : أنّه غيرُ ممتنع أنْ يكون الإمامُ يظهرُ لبعض أوليائه ممّن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف ، وإنَّ هذا ممّا لا يمكن القطعُ على ارتفاعه وامتناعه ، وإنّما يعلم كُلُّ واحدٍ من شيعتِهِ حال نفسه ، ولا سبيل إلى العلم بحالِ غيره[2].

ثمَّ اشتهرَ بين الأعلام من المحقّقين كالشيخ الطوسي ، والمحقّق الكراجكي ، والمحدث النّوري وغيرهم طيّب الله ثراهُم وأعلى درجاتهم ، فالطبرسي رحمه الله أورد في أعلام الورى دعوى السيد المرتضى[3].

وهكذا الإربليّ في كشف الغمّة[4] واستعانَ سائرُ معاصريهِ بنقل قوله رحمه الله في الردّ على نفس الشُّبهة كما صَنَعَ الكراجكي فإنه قال : ولسنا مع ذلكَ نَقْطَعُ على أنَّ الإمامَ لا يعرفُهُ أحدٌ ، ولا يصلُ إليه ، بل قد يجوزُ أن يجتمع به طائفة من أوليائه تستر اجتماعها به وتخفيه[5].

---

(1) المقتع في الغيبة / ٧٧ ـ ٧٨ .

(2) المقنع / ٣٣٣ .

(3) اعلام الورى / ٤٤٠ .

(4) كشف الغمة / ٣ / ٣٢٨ .

(5) كنز الفوائد الكراجكي / ٢ / ٢١٨ .

ومنهم العلاّمة سديدُ الدين الحمصي في المنقذ من التقليد[١]، وشيخُ الطّائفة الطوسيّ في كتاب تلخيص الشافي ، وكتاب الغيبة ، فإنّه قال : إنّا أولاً : لا نقطعُ على استتاره عن جميعِ أوليائه ، بل يجوزُ أنْ يظهرَ لأكثرهم ، ولا يَعْلَمُ كُلُّ إنسانٍ إلاّ حالَ نفسه ، فإنْ كان ظاهراً له فعلّته مزاحة وإنْ لم يكن ظاهراً له علم أنه إنما لم يظهر لهُ لأمرٍ يرجعُ إليه ، وإنْ يعلمه مفصلاً من جهته[٢] .

ظَهر ممّا تقدّم أنَّ احتمالَ المشاهدَةِ وإمكان الرّؤية كانت مسألةً محسومة لدى جميع من أعلام الطائفة المتقدمين حتّى صارت قضيّةً يقينية مسلّماً بها منذ السيّد علم الهدى حتّى أَصْبَحَتْ من المشهورات في عهدِ السيّد ابن طاووس رحمه الله المتوفى سنة ٦٦٤ هـ بعد ما نقلت عنه لقاءاته الشّهيرة بالإمام عليه السلام وإنْ سبقتها حكاياتُ ابن قولويه رحمه الله ٣٣٩ هـ كما نقلها القطب الراوندي المتوفى ٥٧٣ هـ[٣] ، وهي قصّة الحجر الأسود الذي رَدَّهُ القرامطة بعد أنْ سرقوه وأعادَهُ الإمام إلى موضعه .

ونَفْهَمُ من كلامِ هؤلاءِ الأعلام طيَّبَ اللهُ ثراهم في معرض الردّ على شبهةِ المعاند كونَ الانتفاع بوجودِ الإمام عليه السلام لا تتحَقَّقُ إلاّ بالرؤية والمشاهَدَة لذا كانَ جوابهم مرتكزٌ على نقطتين مهمتين :

---

(١) المنقذ من التقليد / ٢/ ٣٧٨

(٢) تلخيص الشافي /٤/ ٢٢١ومابعدها ، الغيبة / ٩٩ .

(٣) الخرائج والجرائح / ١/ ٤٧٥ .

الأولى : كون الرؤية والمشاهدة متحققة في زمن الغيبة الكبرى ، ولكن لا يعلم من هم ، وليس من سبيل للقطع بعدم إمكان ذلك .

والثانية : أنَّه بمجرّد ثبوتِ وجودِ الإمام عليه السلام تتحقق الغاية ، وامتناع اللقاء به لا ينفي سائر وجوه الانتفاع به والحاجة إليه ، وهي كثيرة وضرورية للغاية ، فسواء أمكنت الرؤية والمشاهدة أو امتنعتا بقيت الحاجة إليه ولو بقاعدة اللطف .

أما النقطةُ الأولى فقد ركَز عليها علم الهدى رحمه الله وقدّم إجاباتِ ثلاث مرّ ذكرها ، وقال أيضاً : لأنَّهم مع علمهم بوجوده بينهم ، وقطعهم على وجوب طاعته عليهم ولزومها لهم لابُدّ من أنْ يخافوه ويهابوه في ارتكاب القبائح ويخشوا تأديبه ومؤاخذته فيقلّ منهم فعل القبيح ويكثر فعل الحسن ، أو يكون ذلك أقرب ، وهذه جهة الحاجة العقلية إليه[1] .

كما أنَّ الطبرسي في أعلامِ الورى قدّمَ أربعِ إجاباتٍ عن تلك الشبهة[2] وركَّزَ على ما ركّز عليه علم الهدى .

أما النقطة الثانية فقد ركّزَ عليها الشيخ المفيد رحمه الله بقوله : الدليل على ذلك أنَّ كُلَّ زمانٍ لابُدّ فيه من إمامٍ معصوم ، وإلاّ لخلا الزمانُ من إمام معصومٍ مع أنَّه لَطْفٌ ، واللّطفُ واجبٌ على الله تعالى في كل زمان[3] .

---

(1) رسائل الشريف المرتضى / ٢/ ٢٩٩ .

(2) اعلام الورى / ٤٤٠ .

(3) مجموعة مؤلفات الشيخ المفيد ، النكت الاعتقادية / ٤٤

كما ذكرنا بأنّ الشيخ المفيدَ لا يتمَسَّكُ باحتمالِ المشاهدة في معرض رَدِّهِ على شبهة الانتفاع ، وإنّما جَعَلَ نفْسَ معْرِفَةِ الإمام وانتظار فَرَجِهِ الشريف من فوائد وجوده خلف حجاب الغيب .

وقال الخواجة الطوسي في التجريد : انحصارُ اللّطف فيه معلومٌ للعقلاء ووجودُهُ لطفٌ وتصرّفُهُ لطفٌ اخرُ وعدمه منّا[1] .

كما ذكر اخرون : أنَّ للإمام عليه السلام تأثيراً معنوياً على بواطن ونفوس المؤمنين وأرواحهم ، وإنْ غاب عن أبصارهم الظاهرة ، وهو حَقٌّ أيضاً لا شكَّ فيه كما كان لموسى عليه السلام تأثيراً معنوياً قبل خروجِهِ تأثيرُ معنويٌ على نفوسِ بني إسرائيل تحتَ وَطْأةِ فرعون والأقباط ، وهكذا لسائر الأنبياء على أقوامهم عند غيابهم عنهم[2] .

---

(1) تجريد الاعتقاد / ٢٢٢ .

(2) الشيعة في الإسلام العلامه الطباطبائي / ١٥٢ .

أدلة القائلين بإمكان الرؤية والمشاهدة

للمثبتينَ أدلّةٌ وبراهينُ وشواهدُ على إمكان الرؤية والمشاهدة في زمن الغيبة الكبرى وهي على أصناف اربعة :

الأول : الروايات الدالة على المشاهدة .

الثاني : التوقيعُ الشريفُ الصّادرُ من الناحية المقدسة .

الثالث : الإجماع .

الرابع : القصص والحكايات والشواهد الصادقة .

الدليل الأول : وردت رواياتٌ كثيرةٌ فيها إشارةٌ واضحة ، والبعضُ منها فيه تلويحٌ يستفادُ منه بإمكان الرؤية والمشاهدة في زمن الغيبة الكبرى ، منها ـ كما في الكافي ـ عن مولانا الصّادق عليه السلام : لابدَّ لصاحبِ هذا الأمر من غيبة ولابدّ له في غيبته من عزلة ، ونعم المنزل طيّبة ، وما بثلاثين من وحشة[1] .

ووجهُ الاستدلال بهذه الرّواية ـ بغضّ النّظر عن صحّة سندها حيث عَلّق البعْضُ منهم بأنّها ضَعِيفَةٌ بعليّ بن أبي حمزة البطائني زعيم الواقفة ولكن يمكن قبولها من سندٍ آخر صحيح ، كما رواه النعماني في الغيبة .

هذا ويحتملُ جداً أنّه روى عليّ بن أبي حمزة قبل انحرافه كما تساعد على ذلك بعض القرائن ليس هنا محل اثباتها .

---

(١) الكافي / ١/ ٣٤٠ .

وعلى كُلِّ حالٍ فوجهُ الاستدلال حيثُ حملوا معنى الوَحشَة على زمن الغيبه الكبرى ، فلا معنى حينئذٍ لحملها على زمن الغيبة الصّغرى[1] فإنّها لا تتحقّقُ الوحشة فيها ، فإنّه كان يستأنس بالسّفراءِ وبخاصة الأولياء .

ويعلّق العلامة المجلسي قائلاً : وظاهر الخبر كما صرّح الأحاديث أنه عليه السلام يستأنس بثلاثين من أوليائه في غيبته ، وقيل : إنَّ المراد أنّه على هيئة مَنْ سِنُّهُ ثلاثون أبداً ، وما في هذا السنّ وحشة ، وهذا المعنى غريب ، بمكان من البعد والغرابة ، هؤلاء الثلاثون الذين يستأنس بهم الإمام عليه السلام في غيبته لابدّ أنْ يتبادلوا في كلّ قرن ، إذ لم يقدّر لهم من العمر ما قدّر لسيدّهم ففي كلّ عصرٍ يُوجَدَ ثلاثونَ مؤمناً وليّاً يتشرّفون بلقائه[2]. واختار العلامة في مراة العقول المعنى الأول أعني ((لابد له في غيبته من عزلة))[3].

الرواية الثانية : واستدلّ القائلون أيضاً بموثّقة عمّار عن مولانا الصادق عليه السلام : للقائم غيبتان : إحدهما قصيرة والأخرى طويلة ، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصة شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصة مواليه[4]. ورواها النعمانيُّ عن ابن عُقْدَة والكليني باختلاف يسير في السندَ وقوله عليه السلام ((إلاّ خاصة مواليه)) أي خدمه وأهله وأولاده أو الثلاثين الذين مضى ذكرهم ، وفي الغيبة الصّغرى كان بعضُ خواصّ شيعته مطّلعين

---

(1) الوافي / ٢/ ٤١٣ ، وقد ذكرنا عبارته هناك .

(2) بحار الأنوار / ٢٥ / ٣٢٠ ، وقد ذكرنا ذلك .

(3) مراة العقول / ٤/ ٥٠

(4) الكافي / ١/ ٣٤٠

(5) غيبة النعماني / ١٧٠ .

على مكانه كالسُّفراء وبعض الوكلاء[1]. وقال المازندراني رحمه الله ((المراد من خاصّة مواليه حواريّوه عليه السلام))[2].

الرواية الثالثة : الدالّة على إمكان الرّؤيا والمشاهدة في زمن الغيبة الكبرى كما في الغيبة عن المفضّل بن عمرو عن مولانا الصّادق عليه السلام : إن لصاحبِ هذا الأمر غيبتين إلى قوله عليه السلام : لا يطّلعُ على أحدٍ من وليٍّ ولا غيره إلاّ المولى الذي يلي أمره[3].

هذا وقد يُوجَدُ في بعض كُتُبِ الحديث لفظ : ((من ولده ولا غير)) بدل ((من وليّ ولا غير))[4] عن غيبة الشيخ الطوسي رحمه الله ، حيث نرى أنّ الشيخ رواه بلفظين تارة بلفظ ((من ولده))[5] كما في البحار ، وتارة أخرى خالياً من عبارتي ((من ولده)) و ((من وليّ)) كلتيهما مكتفياً بلفظ ((من غيره))[6]، وقد وافق المتّقي الهندي ما جاء في غيبة النعماني راوياً إياه عن الإمام الحسين عليه السلام[7].

---

(1) مراه العقول / ٤/ ٥٢ .

(2) شرح الكافي / ٦/ ٢٤٥ .

(3) غيبة النعماني / ١٧١ .

(4) بحار الأنوار / ٥٢ / ١٥٣ .

(5) غيبة الطوسي / ١٦٢ .

(6) غيبة الطوسي / ١٦١ .

(7) منتخب الأثر ٢٥٣ .

وكل هذا التغاير لا يضرُّ بوجهِ الاستدلال بالرواية فإنَّ المؤدى واحد وهو كونَ الإمام عليه السلام في غيبته الكبرى يوجَدُ ممّن يرعاه ويراه ويشاهده سواء أكان وليّ أو غيره.

الدّليل الثاني: وهو التوقيعُ الصّادر من النّاحية المقدّسة، وقد مرّ ذكره واسفاد منه ممّن يقول بإمكانِ الرؤية والمشاهدة، ولذلك لأمرين: أي الثاني وهما الصنعة المنطقية والجنبة الفلسفية كما ذكرنا سابقاً. ولو لم يكن دليل على إمكان الرؤية والمشاهدة غيرهما لكفى ذلك، ولا يمكن دفهما.

الدليلُ الثالث: الإجماع، ومعناه: أنْ يسمع بعضُ العلماء كلاماً أو حكما فقهياً من الإمام الحجّة أرواحنا فداه مباشرةً لا بالواسطة، معتبرة غاية الاعتبار، فينقله في قالب دعوى الاجماع خشيةَ تكذيبه وردّه إليه، يقول التستري رحمه الله في كشف القناع في إثبات الاجماع وأقسامه ما حاصله:

أنّ جماعة من حملة أسرارِ أهل البيت عليهم السلام يقطعون بكلامِ الإمام الغائب يعلمون به بواسطة نقل أحد السفراء أو مواليه عليه السلام لهم في السرّ بحيث يحصل من نقله القطع واليقين بصحّة نسبته إليه عليه السلام أو أنْ يبلغه ذلك بتوقيع ومراسلة من جهة الإمام عليه السلام أو أنْ يسمع كلامه مباشرة من غير واسطة في البين، بحيث لا ينافي امتناع الرؤية في زمن الغيبة الكبرى.

ولما كان مثل هذه الجماعة لا يجرأون على التصريح بذلك وإيصال قول الإمام عليه السلام إلى شخصه لمحذور امتناع ادّعاء المشاهدة، بل المشاهدة ذاتها كما حققناه هنا، وليس له دليل من الكتاب والسنة أو العقل عليه إلى أن يقول مضافاً إلى عدم تكليفه الكتمان، فهو حينئذٍ لا يجد بُدّاً من ادّعاء الاجماع عليه

للافصاح عنه والإدلاء به ، ولعلّ هذا الأصل هو المسوّغ الشرعي الذي تستندُ إليه الكثير من الزيارات والآداب والأعمال التي اشتهرت بين الإمامية ممّا لا سَنَدَ ظاهرَ لها من الأخبار وكتب السلف والماضين[١].

وهذا الإجماع يسمّى تارة بالإجماع الدّخولي ، وأخرى يسمّى الإجماع اللطفي ، وقد وقع بين الأعلام خلاف حول حجيته ، فمَنْ قال به أجاز الرؤية والمشاهدة في هذا العصر اعتماداً عليه ، ومن أرادَ المزيد والتفّصيل فعليه بكتب الأصول[٢].

الدليل الرابع : القصص والحكايات والشواهد الصادقة ، فقد ورد في كثيرٍ من الكتب والمؤلّفات قصصٌ وحكاياتٌ جمّة تدلُّ على إمكان المشاهدة ووقوعها صراحةً ممّن ادّعوا الرؤية والمشاهَدَة وعمّن نسبت إليهم بعض تلك الحكايات ، وحكايات تدل على إمكان الرؤية والمشاهدة ضمنا لا صراحة وأوّلُ هذه الحكايات ـ بحسب الظاهر ـ هي حكايةُ نَصْبِ الحجَر الأسودِ عام ٣٣٩ هـ المتعلّقة والمنسوبة إلى ابن قولويه المتوفى ٣٦٩ هـ ، والذي نَقلها القُطْبُ الرّاوندي المتوفّى ٥٧٣ هـ في كتابه الخرائج والجرائح[٣].

---

(١) كشف القناع عن وجوه حجية الاجماع / ٣٣٠ حجري .

(٢) الذريعة ،علم الهدى ، فرائد الأصول الشيخ الاعظم الانصاري ، منتقى الاصول محمد الروحاني ، كفاية الاصول الاخوند ، درر الفوائد الشيخ عبد الكريم الحائري ، اصول الفقه محمد رضا المظفر ، مبحث الاجماع ، وقد فصلنا ذلك من حيث المنشأ التاريخي للاجماع في كتابنا المسار التاريخي لنظرية التقليد في الأحكام الشرعية .

(٣) الخرائج والجرائح /١/ ٤٧٥ .

ثم جاء السيد ابن طاووس رحمه الله المتوفى ٦٤٤ هـ يذل اهتماماً مضاعفاً ليجمع ويروي جملة غفيرة من هذه القصص والحكايات[١].

وممّن عُني بنقل تلك الحكايات المحدّثُ النّوري رحمه الله في كتابه النّجم الثاقب ورسالته جنة المأوى وذكَرَ فيهما شواهدُ وقرائنُ لا تبقى معها ريبة ، ونجدُ أيضاً سعي العلامة المجلسي رحمه الله لجمع تلك الحكايات في كتابه بحار الأنوار ، وحاول الجمع بين هذه الحكايات والقصص ، وبين التوقيع الشريف من جهة أخرى بتأويل المشاهدة إلى خلاف ظاهر اللفظ ، كما سمعنا ذلك .

وازدادت هذه الحكاياتُ ورُواتُها ودُعَاتُها يوماً بعدَ يومٍ حتّى غدا أمر الرؤية والمشاهدة ضرورياً مسلماً .

والحقُّ أنْ يقال : أنَّ تلك القصص والحكايات لا يمكن لها أن تكون دليلاً ومقيّدة لإطلاقِ التوقيع الذي ينفي الرؤية والمشاهدة مطلقاً ، كما فهمه بعضهم ولا حاجة لتأويل ظاهر لفظ التوقيع جمعاً بينه وبين تلك القصص والحكايات الدالّة صراحةً على وقوع المشاهدة ، ولعلَّ أوّلَ مَنْ تَفطَّنَ لهذا التأويل هو العلاّمة المجلسي في كتابه بحار الأنوار ، فلو كانَ هذا التأويل معروفاً ومشهوراً عند أعلام الطائفة كالشّيخ والسيّد وغيرهما لنقل واشتهر من بعدهم ، ولا ننسى أن هؤلاء الأعلام الذين لم يدّخروا وسعاً في البحث عن المخارج لهذه المازق كما اجتهدوا كثيراً في التصنيف والتأليف والرواية والتحقيق فيما يخصّ أمْرَ الحُجّة صاحب الأمر أرواحنا فداه .

---

(١) فرج المهموم/٢٤٧

ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من الأعلام ممّنْ يقولُ بإمكان الرؤية والمشاهدة ـ فضلاً عمّن لم يقل بذلك ـ لم يسلّم بها بل رَفَضُوها وعدّوها من خيال القصاصين، كالعلامة المحقق الشيخ الاغا بزرك الطهراني[1] والشهيد القاضي رحمه الله معلّقاً على مقولةِ المحدّث النوري وروايته للقصص والحكايات لاسيّما قصة الجزيرة الخضراء ما هذا نصه:

وأمّا حياةُ مولانا الإمام المهدي المنتظر أرواحنا فداه وإثباتها، فلا احتاج لنا في إثباتها إلى هذه الحكايات والقصص وسردها في الكتب، مع أنَّ الله تعالى على كلِّ شيء قدير، ودلالةُ الآيات القرآنية والأخبار المتواترة بطرق السنة والشيعة، وضرورةُ مذهبِ الإماميّة كافيةٌ في إثباتها مع إثبات العلم اليوم إمكان الخلود للإنسان في الدّنيا ألفاً من السنين، وكذا لا احتاج إلى القول بأنّه عليه السلام يعيشُ في الإقليم الثامن أو في جابلقا أو جابلسا، أو يعش ببدنه المثاليِّ البرزخي، وأمثال هذه الأقاويل المنكَرَة المزخرفة المخالفه لضروره مذهب الإمامية فإنها من الدعاوى التي لا دليل عليها أصلاً[2].

هذا وأنَّ المتأمل في حكاية الجزيرة الخضراء يرى أنَّ صاحب الحكاية المزعومة الذي يدّعي أنَّ نسبه ينتهي إلى الإمام صاحب العصر صلوات الله عليه بستّ وسائط يصرّح أنه لم ير الإمام ولم يشاهده مع ادّعاء جيرته ورغم ادّعائه النيابة الخاصّة، خلافاً لنصّ التوقيع ولضرورة والمذهب وإجماع أهل الحل والعقد، فكيف بمن يدّعي السّفارة والجيرة فضلاً عن القرابة للإمام

---

(1) طبقات أعلام الشيعة ـ القرن الثامن / ١٤٥.

(2) تعليقة الشهيد القاضي على الأنوار النعمانية / ٢/ ٦٩. نقلاً عن كتاب خاتم الأوصياء.

أروحنا له الفداء ولا يدّعي رؤيته ولقائه ، بينما يراه الآخرون ؟ ! أليس يبدو الأمر غريباً ؟ فلا داعي حينئذٍ أن يتمسك بهذه القصص والحكايات التي هي من خيال القصاصين ، لإثبات الرؤية والمشاهدة .

مقارنة بين القولين

إذا ما قارنّا بين القولين نجدُ فيهما ثغرات واضحة من حيث الضّعف السّندي تارةً والمتن أخرى ، وكذا نجِدُ القوّةَ السّندية والمتن في كلا القولين وحال أدّلة النافين يَعْتَمِدُ على أمرٍ واحد وهو النفي الوارد في التوقيع تارة والنفي الوارد في الرّوايات مثل قوله : ((يعرف الناس ولا يعرفونه)) خصوصاً إذا أمعنّا النظر في أداةِ النفي الداخلة على الفعل المضارع وهي (لا) التي لا تؤكّدُ النفي المؤبَّدَ بخلافِ أداةِ (لن) فهي تؤكد مؤبداً ماضياً ومستقبلاً وحالياً لذا نرى الإمام عبّر ب(لا) ولم يقل : ((لن يعرفونه)) أمّا في أدلّة المثبتين فنجد النفيَ يأتي من بعدِه استثناء وهو مما يؤكّدُ انقطاعُ النفي مثل قوله : ((إلاّ خاصة مواليه)) على أنَّ ذلك يحتاجُ للقرائن التي تفيدُ الانقطاع وتؤكّدُ على أنَّ استمرارَ الكلام ليس مرادَ المتكلّم ، وهذا هو ملموسٌ في أدلّة المثبتين أكثر ما هو موجود في أدلّة النافين ، ويضافُ إلى ذلك أنَّ أدلّة المثبتين متنوعة من الإثبات اللفظي والعقليّ والمنطقيّ والنّحوي ، أمّا ما نجده من الطرف الاخر لبس له إلاّ نوعاً واحداً من الاستدلال هو الدليل اللفظي ، وكذا نرى الرواية ضعيفةَ السند ، وأخرى قوية السند ، ولكنّها قابلة للمناقشة من حيثُ المتن كما ذكرنا ذلك ، لذا نجدُ أنَّ أدلّة المثبتين أمتن وأقوى من الطرف الآخر .

توضيحُ رأي المحدّث النوري

يُذْكَرُ أنّ أولَ مَنْ أشكل على التوقيع وطَعَنَ فيه دلالةً وسنداً هو المحدّث النوري خاتمة المحدثين رحمه الله ، وتبعه في ذلك جمعٌ غفيرٌ ممن عاصروه أو تخلفوا وتأخروا عنه ، قال رحمه الله في كتابه جنة المأوى : أنّه خبرٌ واحدٍ مرسل غير موجبٍ علماً ، فلا يُعارِضُ تلك الوقائع والقصص التي يحصل القطع عن مجموعها ، بل ومن بعضها المتضمّن لكرامات ومفاخر لا يمكن صدورها من غيره عليه السلام فكيف يجوز الإعراض عنها لوجود خبرٍ ضعيف لم يعمل به ناقله وهو الشّيخُ في الكتاب المذكور ... فكيفَ بغيره ، والعلماء الأعلام تلقوّها بالقبول وذكروها في زبرهم وتصانيفهم معوّلين عليها معتنين بها .

وقد أعادَها بتفصيلٍ أكبر في كتابه النّجم الثاقب بعد أنْ أوردَ تسعاً وخمسين حكاية ، ثمّ ساقَ التوقيع الشريف في الفائدة الأولى من أصل فائدتين مهمتين : ((وهذا الخبر بظاهرِهِ يُنافي الحكايات السّابقة وغيرها مما هو مذكور في البحار...))[1]. وهكذا تطرق لهذه الإرادات صاحب منتخب الأثر على نحو آخر[2]. والحاصل أنّهم أوردوا على التوقيع الشريف إشكالاتٍ أربعة :

١ـ التوقيع خبر واحد لا يصحُّ الاعتماد عليه .

---

(١) النجم الثاقب / ٤٨٤ .

(٢) منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر / ٤٠٠ الصافي الكلبايكاني .

٢ـ خبرٌ مرسل وضعيف لا يوجب علماً.

٣ـ الذي نقله وهو شيخ الطائفة الطوسي رحمه الله لم يعمل به.

٤ـ أعرض عنه الأصحاب لأنّهم رووا ونقلوا أخباراً وقِصصاً وحكايات كثيرة عن الأخيار والصُّلحاء ممّن نالوا شرف لقائه عليه السلام.

الردّ على المحدّث النوري:

ويردُ على الاشكال الأول والثاني وهو الإشكال السندي أنّ التوقيع ليس مُرسلاً ولا ضعيفاً، بل هو خبرٌ واحدٍ ينتهي إلى أبي محمّد المكتّب رحمه الله مما ثبتتْ حُجيّته في مباحث الأصول، وأمكن الاستنادُ إليه والاعتماد عليه ولا معنى للخدش فيه، ولم يختلف علماء الأصول ـ سيّما المتأخرين ومتأخري المتأخرين إلى يومنا هذا ـ في حُجيّته كما لم ينكر حُجيّته من المتقدّمين سوى السيد المرتضى علم الهدى رحمه الله، فهو حُجّةٌ بلا أدنى شكّ، ولعلّ المحدّث النورى رحمه الله ظنَّ أنَّ الشيخ الطوسي قد تَفَرَّدَ بنقل التوقيع ولهذا عدّه مرسلا ضعيفاً أيضاً.

والذي ثبت بالقطع واليقين أنّ التوقيعَ السّالف الذكر مُسْنَدٌ ليس بمرسل، ذلك أنّ الشيخ الصدوق رحمه الله قام بنقله عن سماع بالمباشرة عن الشيخ أبي محمد المكتّب من غير إرسال، وأبو محمّد هذا من مشايخ الصّدوق واستنسخه أبو محمد عن الأصل في دار السّمري الذي خَرَجَ إليه التّوقيع من الناحية المقدسة وكان هو المعنيّ بها، فالصّدوق نقله بواسطة واحده، لأنه لم يدرك السمري.

وقد وَقَعَ خلطٌ واشتباه وتصحيفٌ في اسم وكنية راوي هذا التوقيع وهو أبو محمد الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب المؤدب الرازي والمكتب يعني الخطاط ومعلم الكتابة ، وهو يناسب ادّعائه استنساخ التوقيع في دار علي بن محمد السمري خاتم السفراء كان معاصراً لعلي بن عبد الله الوراق ، ومحمد بن أحمد السّناني بمدينة الريّ الشهيرة بشتغلون جميعاً بالكتابة والرواية عن مشايخ الشيعة[1] ، والمؤدب أي : مربّي القران ومعلّمه وقد اشتهر عنه أنّه كان كاتباً خطاطاً ، ومعلّماً للقران ، ومربياً للصّبيان ، فكلُّ هذه الألقاب والاوصاف تناسب الشخص المزبور .

ولعل هذا الخلط والاشتباه والتصحيف منشأه التعدُّد الذي ذكره الشيخ الصدوق رحمه الله في بعض كتبه من الألقاب والاوصاف لشيخه أبي محمد كما روى في علل الشرائع عن الحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب في ثمانيةِ مواضع وأضافَ إليه نسبة الرّازي في موضعين[2]. وفي كتابه الخصال بلفظ ((المكتب)) وفي موضع اخر ((المؤدب)) وقد علّق عليها في الحاشيه أنّ كلا اللقبين ((المكتب و المؤدب)) يرجعان إلى شخصٍ واحد والمرادُ منهما واحد[3].

---

(1) أمالي الصدوق / ١٥ .

(2) علل الشرائع / ٦٩ ، ٤٠٣ .

(3) الخصال / ٣٦٤ ، ٣٣٠ ، ٤٥١ ، ٥٤٣ .

وفي معاني الأخبار ذكر ـ طبقاً للمطبوعة ـ باسم الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن المؤدب ، ومكنّىً بأبي عبد الله ، وذكر جدّ أبيه هاشماً دون هشام المعروف ، وذكره أخرىً بهشام المكتّب[1].

وقد اشتبه الحال على صاحب كتاب مجمع الرجال حيثُ ظنّ أنّ الحسن بن أحمد المكتّب بدلاً من الحسين بن إبراهيم المكتّب[2] وادّعوا ـ بناءً على حاشية القهبائي ـ أنّ الحسين بن إبراهيم هو جدُّ أبي محمّد المكتّب حيث جعلوا التوقيع من مرويات أبي محمّد الحسن بن أحمد بن إبراهيم[3]. وأيضاً اشتَبَهَ الحالُ على المحدّث النوري رحمه الله حيثُ نَقَلَ في سند التوقيع بلفظ ((المؤذن)) بدل ((المؤدب))[4].

هذا وممن روى عنهم أبو محمد الحسين بن إبراهيم بن هشام المكتب المؤدب الرازي هم : أبو علي محمّد بن همّام ببغداد ، ومحمد بن يعقوب الكليني ، وأبو الحسين محمد بن جعفر الأسدي بمدينة الريّ ، وعلي بن إبراهيم بن هشام بمدينة قم الذي روى عنه عام ٣٠٧ هـ . وهؤلاء هم أركان الحديث والسند عند المدرسة الشيعية .

وكيف كان فليسَ الخبرْ واحداً ضعيفاً ولا مرسلاً ، بل الحقُّ أنه خبر واحد مسندٌ بسندِ صحيح أو مقبول أو معتبر لرواية الصّدوق له عن مشايخه المعتمدين ، وما قيل خلاف ذلك فليس بشيء ، سيّما إذا علمنا أنَّ الطاعنين

---

(1) معاني الأخبار / ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٩١ ، ٣٨٧ ، ٣٤٥ .

(2) مجمع الرجال / ٨/ ١٩٠ .

(3) مكيال المكارم / ٢/ ٥٠٧

(4) مستدرك الوسائل / ٣/ ٦٥٧ .

في سنده بعدما أوضحنا اللّبس الواقع عليهم إنّما أثاروا ضعف السند وإرساله لغرض إثبات تلك القصص والحكايات الصّادقة التي لا تطروها شك ولا شبهة ـ على حدّ زعمهم ـ والتّصديق بها إلاّ أنّه كان الأحرى بهم أنْ يبحثوا عن مخرجٍ اخر للجمع بين التوقيع الشّريف وتلك الوقائع والدّعاوى الصادقة من غير حاجة أو توسُّل إلى إنكار المرويّ والإعراض عنه لا سيّما أنَّ ذلك يُعَدُّ من معاجزِ الإمام وكراماته عليه السلام إذ أخبره عن تاريخ وفاته ، وإنكاره يستلزم إنكاراً لمعجزة مسلّمة وهو إذن قبيح من وجهين وجهتين ولهذا أورده المحدّث الحرّ العاملي في باب معجزاته عليه السلام[1].

وأمّا الردّ على الإشكال الثالث وهو أنّ الشيخ الطوسي رحمه الله أعرض عنه ونقضه وردّهُ حين بادر إلى نقلِ تلك الحكايات والقصص الصّادقة الدالة على إمكان المشاهدة بل وقوعها.

ويجابُ عنه بوجهين الأول : بملاحظة تلك الوقائع والرجوع إليها في كتابِ الغيبة يتّضِحُ للمتأمل جلياً أنّ تلك الأحداث والقصص إنّما تختصُّ بزمن الغيبة الصُّغرى ولا علاقة لها بالغيبة الكبرى . والحالُ أنّ التوقيع الشريفَ ناظرٌ إلى زَمَنِ الغيبة الكبرى وبالتالي فما قصد لم يقع وما وقع لم يقصد إذ لم يدّعِ أحد امتناع المشاهدة في عصر الغيبة الصّغرى ، بل لم يناقش أحدٌ في إمكانها ، ذلك أنَّ جملةً منها ترتبط بمشاهدته أو لقائه ورؤيته حال صغره عليه السلام وعلى عهد أبيه العسكري عليه السلام وذكر تواريخ بعض تلك

---

[1] إثبات الهداة / ٣ / ٦٩٣ .

الوقائع كالتي وقعتْ عام ٢٦٤ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٩[1] ، فلا وجْهَ حينئذٍ لما أوردهُ المحدّث النوريُّ على أنّه لا عَلاقَةَ لجملةٍ منها بالمشاهدة ، بل هي من قبيل الرؤية مع جهل الرائي له في الحال ، وهو خارجٌ عمّا نحنُ بصددِ البَحثِ فيه نفياً وإثباتاً .

أمّا الجواب الثاني : هو أنَّ الشيخ الطوسي رحمه الله إنّما ذكر ذلك في مقام بيانِ احتمال المشاهَدَةِ للردّ على المخالفين ، وأنَّه ذكر التوقيع الشريف في الأبوابِ التاليةِ بعد قوله : ((والذي ينبغي أنْ يُجابَ عن السؤال الذي ذكرناهُ عن المخالِفِ أنْ نقول : إنّا أوّلاً لا نَقْطعُ عن استتاره عن جميع أوليائه ، بل يجوزُ أنْ يظهر لأكثرهم ولا يعلم كلُّ إنسان إلاّ حال نفسه ، فإنْ كان ظاهراً له فَعِلّته مزاحة...))[2] لتكذيبِ دُعاة المشاهدة وبيان عدم المنافاة بين التوقيع الشريف وبين إمكان تشرّف بعض الأولياء ، وحصول التوفيق لهم للانتفاع غيرِ المباشر بوجودِ الإمام صلواتُ الله عليه ، أو نيلهم شرف لقائه من غيرِ ادّعاءِ المشاهدة فهو رحمه الله يرى إمكانَ الرؤية والمشاهدة غير أنّ من نالها لا يدّعيها ولا يكشف عنها ولا يفشيها ، ومن ادّعاها وكشف عنها فهو كذاب مفترٍ .

وأمّا الردّ على الإشكال الرّابع وهو أنّ الأصحاب وأكابر القوم قد أعرضوا عنه وخالفوه فباطلٌ أيضاً ، ذلك أنَ مَنْ أوردوا التوقيع الشريف من أعلام الطائفة ممّن تأخّروا عن الشّيخ الصّدوق لم يخدشوا ولم يطعنوا في سنده

( ) غيبة الطوسي / ٢٥٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

([1]) الغيبه / ٩٩

ودلالته ، بل نقلوه وأخذوا به أخذ المسلّمات كالشيخ الطوسي في الغيبة ، والطّبرسي في إعلام الورى ، والإربلي في كشف الغمّة ، وابن طاووس في ربيع الشيعة ، رُغْمَ أنَّهم ذكروا تلك الحكايات ، والوقائع وتناقلوها في كتبهم ولا دلالة على نقلِ تلكَ الحكايات على إعراضهم عن التوقيع ولا قرينة تدلُّ على رَفْضِهِم وإنكارهم له سنداً ولا دلالة .

أمّا راوي التوقيع الشريف فقد ذكر في كتب القوم بغاية الاحترام والتبجيل ، وعُدّ من مشايخ الشيخ الصدوق وقد ترحم عليه كثيراً في كتبه عندما يروي عنه بعض الأحاديث .

وفي نهاية المطاف :

أحمد الله حمداً ، وأشكره شكراً ، يليقُ بكرمه على ما وَفَّقني لإتمام هذا الكتاب الرابع من سلسلتنا معرفة أولياء الله ويليه إن شاء الله الكتاب الخامس وهو خاص بالبحث عن حياة إمامنا السبط الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين ، وقد أسميته ((جلل ومواقف)) مع الحسين في نهضته .

ومنه سبحانه وتعالى أستمدّ العون والتسديد فإنَّه أرحمُ الراحمين ، واخر دعوانا أنْ الحمدُ للهِ رَب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد واله الطاهرين .

* * *

المصادر

القران الكريم

الإرشاد .... الشيخ المفيد

الإحتجاج .... الشيخ الطبرسي

اعلام الورى .... الطبرسي

الإمام المهدي المنتظر وادعيه البابية .... السيد عدنان البكاء

إقبال الأعمال .... ابن طاووس

الانساب .... السمعاني

الاعتقادات .... الشيخ الصدوق

إثبات الهداة .... الحر العاملي

الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب .... علي الحائري

اصول الفقه .... محمد رضا المظفر

الأنوار النعمانية .... نعمة الله الجزائري

الأمالي .... الشيخ الصدوق

بحار الأنوار .... العلامة المجلسي

البستان .... عبد الله البستاني

البلد الأمين .... الكفعمي

البداية والنهاية .... ابن كثير

تاريخ بغداد .... الخطيب البغدادي

تاريخ اليعقوبي .... ابن واضح اليعقوبي

تاريخ الأمم والملوك .... الطبري

تاريخ وزراء الشيعة .... للمؤلف

تاريخ الخلفاء .... السيوطي

تاريخ ابن خلدون. .... عبد الرحمن بن خلدون

تنزيه الأنبياء .... السيد علم الهدى

تهذيب الأنساب ونهاية الأعقاب .... أبو الحسن العبيدلي

تاج العروس .... الزبيدي الحنفي

تلخيص الشافي .... الشيخ الطوسي

تجريد الاعتقاد .... العلامة الحلي

جامع الرواة .... أحمد بن محمد الأردبيلي

جنة المأوى .... المحدث النوري

الحق المبين في تصويب المجتهدين .... جعفر كاشف الغطاء

خلاصة الأقوال .... العلامة الحلي

خاتم الأوصياء .... محمد مهدي المؤمن

الخرائج والجرائح .... الراوندي

الخصال .... الشيخ الصدوق

دراسات في العصور العباسية المتأخرة .... الدوري

دلائل الإمامة .... ابن جرير الطبري

درر الفوائد .... الشيخ عبد الكريم الحائري

الذريعة .... علم الهدى

رجال .... الشيخ الكشي

رجال .... الشيخ النجاشي

رجال .... الشيخ الطوسي

رجال .... السيد بحر العلوم

الرحلة .... ابن جبير

رياض العلماء .... عبد الله الأفندي

ربيع الشيعة .... ابن طاووس

سفينة البحار .... عباس القمي

الشجرة المباركة في أنساب الطالبية .... الفخر الرازي

شرح نهج البلاغة .... ابن ابي الحديد

الشيعة في الإسلام .... العلامة الطباطبائي

شرح أصول الكافي .... الملا محمد صالح المازندراني

الصحاح .... الجوهري

طبقات أعلام الشيعة .... الآغا بزرك الطهراني

عيون أخبار الرضا .... الشيخ الصدوق

علل الشرائع .... الشيخ الصدوق

الغيبة .... الشيخ محمد بن الحسن الطوسي

الغيبة .... الشيخ محمد بن إبراهيم النعماني

فرق الشيعة .... النوبختي

الفهرست .... ابن النديم

الفخري في أنساب الطالبيين .... ابن الحسن المروزي

الآداب السلطانية والدول الإسلامية ....ابن الطقطقائي

الفصول المهمة في أحوال الأئمة .... ابن الصباغ المالكي

الفهرست .... الطوسي

فرائد الأصول .... الشيخ الاعظم الانصاري

فرج الهموم .... ابن طاووس

قاموس المحيط .... الفيروز آبادي

الكافي .... ثقة الإسلام الكليني

كمال الدين .... الشيخ الصدوق

الكامل في التاريخ .... ابن الأثير

كشف الغمة .... الأربلي

كتاب العين ....أحمد الفرهادي

كنز الفوائد .... الكراجكي

كشف القناع عن وجوه حجية الاجماع .... اسد الله التستري

كفاية الاصول .... الاخوند الخراساني

لسان العرب .... ابن منظور

لباب الأنساب .... ابن فندق

اللمعة البيضاء في شح خطبة الزهراء .... علي القراجة

المصباح .... الفيومي

مختار الصحاح .... محمد بن ابي بكر الرازي

المنتظم في تاريخ الملوك الأمم .... ابن الجوزي

منتخب الأثر .... فخر الدين الطريحي

معجم رجال الحديث .... السيد الخوئي

مناقب ال اب طالب .... ابن شهر آشوب

المجدي .... نجم الدين العمري

موسوعة العتبات المقدسة .... جعفر الخليلي

موسوعة الإمام المهدي .... السيد محمد صادق الصدر

مفاتيح النجان .... عباس القمي

منتهى المقال .... الماماقاني

مرآة الجنان وعبرة اليقظان .... ابن سليمان اليافعي

مرآة العقول .... العلامة المجلسي

مقاتل الطالبيين .... أبو الفرج الأصفهاني

معجم البلدان .... ياقوت الحموي

المصباح .... الكفعمي

من لا يحضره الفقيه .... الشيخ الصدوق

مروج الذهب .... المسعودي

مفردات الراغب .... الاصفهاني

مجمع الرجال .... القهبائي

المقنع .... السيد علم الهدى

المنقذ من التقليد .... سديد الدين الحمصي

منتخب الأثر .... لطف الله الصافي

منتقى الاصول .... محمد الروحاني

المسار التاريخي لنظرية التقليد في الأحكام الشرعية ...... للمؤلف

معاني الأخبار .... الشيخ الصدوق

مكيال المكارم .... محمد تقي الأصفهاني

مستدرك الوسائل .... المحدث النورى

النفحة العنبرية .... ابو الفتوح ابن سليمان

نوادر الأخبار .... الفيض الكاشاني

النجم الثاقب .... المحدث النوري

وسائل الشيعة .... الحر العاملي

وفيات الأعيان .... ابن خلكان

الوافي بالوفيات .... الصفدي

الوافي .... الفيض الكاشاني

محتويات الكتاب

حياة السفير الثالث

حياة السفير الرابع

أدلة النافين لرؤيته عليه السلام في زمن الغيبة الكبرى

صدر للمؤلف

١ـ الحواري كميل بن زياد

٢ـ اللآلئ النفيسة في حياة السيدة نفيسة

٣ـ الزهراء والحزب الحاكم

٤ـ المسار التاريخي لنظرية التقليد في الأحكام الشرعية

٥ـ حياة السفراء الأربعة للإمام المهدي

٦ـ تاريخ وزراء الشيعة ثلاثة أجزاء

٧ـ شرح أسماء فاطمة الزهراء ـ مهيئ للطبع ـ

٨ـ تاريخ دول الشيعة ثمانية أجزاء ـ مهيئ للطبع ـ